عوالم الإنسان ومنازله

العقل العملي وقضاياه

حوار
مع سماحة آية الله
الشيخ محمد السند



إعداد وتحقيق
إبراهيم حسين البغدادي

١٤٣١ هـ



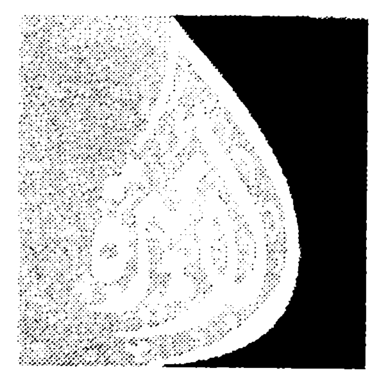
شبكة الفكر
alfeker.net

عوالم الإنسان ومنازله

العقل العملي وقضاياه

الكتاب:............... عوالم الإنسان ومنازله العقل العملي وقضاياه
حوار..........المحقق آية الله الشيخ محمد السند (دام ظله)
اعداد وتحقيق:..........إبراهيم حسين البغدادي
الطبعة:............................... الأولى
سنة الطبع:............................ ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

الأخراج الفني: محمد الخزرجي



للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان
هاتف: ٠٣/٩٤٦١٦١ - ٠٣/١١٥٤٢٥ - تلفاكس: ٠١/٢٧٦٩٨٨
http://www.Dar-Alamira.com
e-mail:info@dar-alamira.com

عوالم الإنسان ومنازله

العقل العملي وقضاياه

حوار

مع سماحة آية الله

الشيخ محمد السند

إعداد وتحقيق

إبراهيم حسين البغدادي

١٤٣١ هـ

الأميرة

للطباعة والنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين من الأولين والآخرين إلى يوم الدين

وبعد...

قال رسول الله ﷺ: إن الله تبارك وتعالى يبغض كل عالم بالدنيا وجاهل بالآخرة. إن الكثير منا له إحاطة لابأس بها عن عالم الدنيا ولذائذها ومكائدها، في حين نجهل الكثير من العوالم التي مررنا بها ـ كعالم الأرواح وعالم الفطرة وعالم الميثاق وعالم الذر ـ، والتي سوف نمر بها ـ كعالم البرزخ إلى عالم القيامة ـ، بل كثير من شؤون وخصائص عالم الدنيا قد لانعرف عنها شيء إلا اليسير منها كعالم الروح والروحانيات، وعالم الجن والشياطين وغير ذلك كثير.

ومن هنا توجد أسئلة كثيرة حول هذه العوالم وفلسفتها، فكل سؤال يدور في ذهنك ـ عزيزي القاريء ـ سوف تجد الجواب في طيات هذا الكتاب الذي بين يديك، حيث تناول سماحة الأستاذ آية الله الشيخ محمد السند (دام ظله) الأبعاد المختلفة والمتعددة لهذه العوالم.

ولا يخفى أن هذا الكتاب هو عبارة عن سلسلة حوار بثتها بعض الإذاعات والقنوات الإسلامية مع سماحة الأستاذ (دام ظله)، حيث عالج فيها كل مايخص تلك العوالم والمنازل التي نمر بها من عالم الذر وما قبله إلى عالم القيامة وما بعدها، ولأهمية هذا الموضوع أعددنا هذا الكتاب الذي بين يديك، فقمنا بترتيب العناوين حسب تسلسل تلك العوالم التي يمر بها الإنسان وأجرينا عليها مايلي:-

أولاً: جعلنا فهرسة خاصة تناسب تسلسل تلك العوالم.

ثانياً: بما أن كل حوار كانت الأسئلة فيه عامة فأرجعنا كل سؤال إلى موضوعه الخاص به.

ثالثاً: حذفنا المكرر من العبارات وكذلك أجرينا بعض التعديلات على صياغة أغلب الأسئلة.

رابعاً: أرجعنا الآيات والروايات إلى مصادرها المعروفة.

خامساً: قام سماحة الأستاذ بتغيير وإضافة بعض الأجوبة.

سادساً: إتماماً للفائدة جعلنا فصل ثاني للكتاب وهو الحوار الذي أجراه بعض الأساتذة الأكاديميين مع سماحته حول العقل العملي وقضاياه.

وختاماً نسأل من الله عزوجل القبول بمحمد وآله الطيبين الطاهرين إنه نعم المولى ونعم النصير.

١٥ رجب الأصب ١٤٣٠

وفاة السيدة زينب بنت علي (عليهما السلام)

إبراهيم حسين البغدادي

النجف الأشرف

الفصل الأول
عوالم الإنسان ومنازله

حقيقة وجود روح الإنسان

المحاور: سماحة الشيخ لدينا سؤال فيما يرتبط بحياة الانسان. هل إن حياة الانسان تبدأ بولادته في هذا العالم وتنتهي بمماته ام أن للأمر صورة أخرى؟.

الجواب: بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وبعد فان الآيات القرآنية تطالعنا بأن نشأة الإنسان قد مرت بمراحل سبقت مختلفة كما تشير إلى ذلك روايات أهل البيت عليهم السلام في ذيل هذه الآيات منها ما في سورة الإنسان وهي سورة الدهر ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾[1]

فعن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله: ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾ ' قال: كان شيئاً ولم يكن مذكور[2].عليه السلام

وعن سعيد الحذاء عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان مذكوراً في العلم ولم يكن مذكوراً في الخلق[3].

فظاهر معنى الآية أن الإنسان مر بمرحلة لم يكن شيئاً ثم كان شيئاً ولم يكن مذكورا ثم صار شيئاً مذكوراً، أو ما في الآيات الأخرى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ

---

(١) الإنسان: ١.

(٢) تفسير نور الثقلين ج٥: ٤٦٨.

(٣) المصدر السابق.

ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى. . . ﴾[1] فهناك آيات إذن تدلل على أن الإنسان قبل نشأته من علقة ومضغة وعظام وكسونا العظام لحماً ثم انشأناه خلقا آخر كان له تقرر في عالم الأصلاب وعالم ما قبل عالم الأصلاب عالم الذر كما هو التعبير القرآني (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم) ويستفاد أيضا من بعض الآيات تقرر شيئية الإنسان أو الفطرة واخذ ميثاق الفطرة عليه: ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾، فإذا تشير الآيات الكريمة إلى أن هناك عناوين نشئات سابقة للإنسان منها نشأة الميثاق ونشأة الفطرة ونشأة الذر ونشأة تقرر شيئية الإنسان. فهذه نشئات تطالعنا بها الآيات الكريمة وفي ذيل هذه الآيات روايات أهل البيت عليهم السلام الوارثين علوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهي أن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام وهذا المفاد من الروايات في الواقع ورد بطرق مستفيضة وكثيرة من طرق أهل البيت عليهم السلام.

المحاور: طيب هذا فيما يرتبط بالنشآت السابقة حبذا لو يكون هنالك تعريف بالنشآت اللاحقة يعني بهذه الحياة الدنيا؟

الجواب: أما بالنسبة إلى النشآت اللاحقة فتصفه الآيات الكريمة وهو ما بعد الموت: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[2]، وهناك عنوان نشأة البرزخ وهناك عنوان نشأة البعث والنشر والحشر والصراط والميزان والحوض وتطاير الكتب والعقبات وعرصات يوم القيامة وهناك حالات متعددة تصفها الآيات الكريمة حول القيامة وان كانت هذه الآيات الواردة في القيامة ليست كلها في القيامة الكبرى وان ظن ذلك المفسرون من الفريقين ولكن بحسب ما ينبه عليه أئمة أهل البيت عليهم السلام إن طائفة من آيات القيامة تشير إلى القيامة الوسطى وهي

---

(١) الأعراف: ١٧٢.

(٢) المؤمنون: ١٠٠.

المعبر عنها برجعة أهل البيت وكرتهم إلى الحكم في دار الدنيا. ونستطيع أن نقول هو رقي عالم الدنيا وانتهائه إلى مستوى النشأة المتطورة.

المحاور: من الأسئلة التي تعرض بشأن قضية عوالم الإنسان قبل دار الدنيا، أنتم أشرتم سابقاً إلى وجود عوالم سابقة لهذا العالم وعوالم لاحقة أيضا له، فيما يرتبط بالنظرة الإجمالية للعوالم السابقة، هل توجد رؤية قرآنية واضحة فيما يرتبط بإقرار عوالم وجودية للإنسان قبل هذه الحياة الدنيا؟.

الجواب: إن هناك جملة من الآيات تشير إلى عدة من النشآت للذات الإنسانية، والآيات الكريمة متعددة بحسب تعدد تلك النشآت، مثلاً في سورة الإنسان وهي سورة الدهر: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾، فتثبت هذه الآية الكريمة أن للإنسان شيئية، وان شيئيته مرت بمرحلتين مرحلة كان شيئاً لم يكن مذكوراً ثم صار شيئاً وصار مذكوراً بل قبلهما مرحلة أنه لم يكن شيئاً أصلاً.

المحاور: الاستدلال بكلمة شيء يعني انه لم يكن: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾، يعني في إثباته إنه كان شيئاً؟.

الجواب: نعم لأن النفي إذا ورد على نعت ومنعوت فإنما يرد على الوصف لا على الموصوف، فحينئذ هذا النفي الذي يكون مذكوراً في مرحلة من المراحل.

المحاور: في نفس الوقت إثبات لكونه كان شيئاً؟.

الجواب: كان شيئا ولم يكن مذكوراً ثم صار شيئاً مذكوراً وبل في هذه الآية دلالة أيضا على مرتبة ثالثة، وهو أن الإنسان مَرَّ بمرحلة لم تتقرر شيئيته ثم تقررت.

المحاور: ما مقصود هذه العبارة؟.

الجواب: المقصود إنه لم يكن شيئاً من الأساس.

المحاور: يعني هنا إثبات لثلاث حالات، لم يكن شيئاً، ثم كان شيئاً، ثم كان شيئاً مذكوراً.

الجواب: نعم لم تكن كينونته يطلق عليها شيئية ثم أطلقت عليها شيئيته ثم إنها مذكورة، ولها ذكر ولها نعت توصف.

المحاور: جزاك الله خيراً.

الجواب: فهذه الآية على أية حال كما في ظاهر القرآن، وأشارت إلى ذلك روايات أهل البيت عليهم السلام منها تشير إلى عدة مراتب ومراحل مرت بها الذات الإنسانية لكن بنحو الإجمال هذا الإجمال تفسره آيات أخرى وفي آية أخرى تشير إلى أن من نشأة الإنسانية هي نشأة فطرة اخذ فيه الميثاق: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾(١)، وهو إشارة إلى بحث الفطرة، وان هذه الفطرة فيها مواثيق وبأي معنى ونمط من تواجد المواثيق الإلهية فيها، فهذا يتكفل شرحه جملة من الآيات وجملة من الروايات عن أهل البيت عليهم السلام، ويمكن توضيح هذه النشأة أيضا ـ نشأت الفطرة ـ في فطرة طينة الانسان طينة، ذات الانسان، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾(٢)، فهذه الآية كما في الروايات تشير إلى نشأة الذر بإعتبار أنه عبر عنها بذرية آدم، وإنه قد أخذت من ظهور الآباء فيعبر عنها بنشأة الذر وهي نشأة تتقدم على عالمي الأصلاب والأرحام، وأيضاً هناك في الآيات الكريمة كما في سورة النور يشير الباري تعالى إلى أن: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ﴾(٣)، يعني نور المخلوق المضاف إلى الذات الآلهة إضافة خلقية وتشريفية لهذا النور: ﴿ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ

---

(١) الروم: ٣٠.

(٢) الأعراف: ١٧٢.

(٣) النور: ٣٥.

الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾[٤] ثم تضيف الآيات في هذه السورة ﴿فِي بُيُوتٍ﴾ يعني هذه الأنوار الخمسة ومن بعد هذه الأنوار الخمسة مثلاً أنوار أخرى، نور على نور متعاقبة هذه (في بيوت) أراد الله لها التعظيم ورفعة الشأن: ﴿ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾[١] وبعد ذلك تضيف الآية الثالثة من هذه السورة (رجال)، يعني مما يدلل على ترابط هذا النور الذي في بيوت أن هذه البيوت هي: ﴿ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾[٢].

المحاور: عفواً يعني هذا تقريب للإستدلال الذي تتفضلون به، يعني هذا النور الآلهي كان في عوالم سابقة، وكان في عوالم أخرى رجال.

الجواب: نعم، لأن الآية الكريمة عبرت أنها خلقة نورية وليست خلقة أرواح، ولا خلقة نفوس، ولا خلقة أبدان، خلقه أنوار ثم عبرت عن هذا النور إنه﴿نور السموات والأرض﴾، يعني أنه لو لا هذه الخلقة النورية لم تكن للسموات والأرض ظهور، لأن النور يظهر المتنور فكأنما السموات لم تكن لتبدو وتبرز في الوجود لولا ذلك النور، فإذن هذه الخلقة النورية هي متقدمة سابقة على خلقة السموات وهي خلقة الأنوار.

المحاور: بيّنتم أن النصوص الشرعية دالة بوضوح على أن ثمة عوالم ومنازل، إن صح التعبير، سبق الحياة الدنيوية للإنسان، يعني للإنسان وجود ما، في عوالم سابقة لحياته الدنيا، وكذلك في عوالم لاحقة إلى عوالم القيامة وغيرها.

فيما يرتبط بهذا الموضوع هل يمكن القول بأن للإنسان حقيقة وجودية غير هذه الحقيقة البدنية التي نعرفها.

---

(١) النور: ٣٥.

(٢) النور: ٣٧.

الجواب: نعم قد أطلقت الشرائع السماوية وبعثات الأنبياء والأديان السماوية إن صح هذا التعبير بعد كون الدين واحداً، على أن للإنسان حقيقة وراء بدنه وجسمه وقد اقر بذلك جملة من مدارس الحكماء والمتكلمين من الملل والنحل المختلفة، وحتى في الفلسفات الغربية تكاد تنقرض الآن النظرية المادية البحتة وتبزغ فلسفات روحية مفعمة ومركزة عند عموم الدول الأوربية والأمريكيتين وما يعرف بعلم الأثير وعلم الروح وعلم الأرواح وباراسايكلوجية وماشابه ذلك من العلوم التي تختص بالهينوتيزم وبحوث الروح وتلك السفسطات المادية سواء بالثوب القديم عند الدهريين أو بالثوب الحديث عند الماديين والديالكتيكين آلت إلى الانقراض.

المحاور: الحقيقة، حقيقة الانسان في بدنه أم في روحه؟.

الجواب: بالنسبة إلى حقيقة الانسان هي في الواقع بتمام طبقات روحه ويشهد بذلك الوصف القرآني عن الموت: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾[1] والتوفي كما قيل اخذ من الأصل اللغوي بمعني أخذ الشيء وفاءاً، أي تماماً مثل ما يقال: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[2]، يعني أتموها فالوفاء وفاء لكل مفاد العقد وإتمامه، فعندما يقال بأنه ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾[3] أي أن ملك الموت يقبض تمام حقيقة الانسان مما يدلل ويشير إلى أن حقيقة الانسان ليست في هذا البدن الغليظ الكثيف بل هي بلحاظ ماوراء هذا البدن الغليظ المحسوس المادي من أبدان أخرى لطيفة، وقوى روحية أخرى وفي الواقع ذات الانسان ذات طبقات وجودية متعددة.

---

(١) الزمر: ٤٢.

(٢) المائدة: ١.

(٣) السجدة: ١١.

المحاور: يعني العوالم ـ التي تشيرون إليها ـ التنقل يكون هو للروح في الواقع أو لهذه الحقيقة الوجودية للإنسان يعني الروح روح الانسان هي التي كانت في عوالم الأرواح وعوالم الاظلة والذر وهي التي تنتقل إلى عالم البرزخ؟.

الجواب: نعم هناك من النصوص القرآنية والنصوص الروائية بجانب قراءة الحكماء لتلك النصوص، ما يدلل على أن للإنسان كينونة سابقة وهي العلوية، وربما يصف القرآن الكريم عن الكينونة العقلية حيث نشأة العقلية بلفظ يعقلون، كما يشير القرآن الكريم إلى نشأة الأنوار فسورة النور في الواقع سميت بهذه التسمية لكون المحور الأصلي فيها إشارة إلى الخلقة النورية للمخلوقات لجولة ـ من عوالمها السابقة ـ ، لثلة شريفة من المخلوقات بدأ نشأتها بالنشأة النورية.

المحاور: إذاً يمكن القول بأنه حقيقة وجودية قد تكون اعم من الروح بل حتى اعم من الروح أو شيء آخر، أعلى مرتبة من الروح؟.

الجواب: نعم في الواقع الروح عنوان يشير إلى بعض طبقات ذات الانسان و ما فوق تلك الطبقات يشار إليها بالنشأة النورية أو العقلية أو ما شابه ذلك، وكذلك عنوان النفس وإن أطلق على تمام ذات الإنسان، ولكن هذا بتوسع تسامحي في الإستعمال وإلا فالنفس تشير إلى طبقات دنيا سفلى من الذات، تنزل عن درجات وطبقات الروح.

المحاور: إذن هل يمكن القول بـــأن هذه الحقيقة الوجودية ـ حقيقة الانسان الوجودية ـ لا يمكن بحالة من الأحوال أن تكون سيرها في عالم الدنيا وحده فقط ؟.

الجواب: لا ريب أن هذه الطبقات الوجودية من الإنسان ليست هي كلها محبوسة في عالم المادة، وإنما المتواجد في عالم المادة وعالم الدنيا هو بدن الإنسان وأما الطبقات الأخرى من ذات الانسان فهي في الواقع الآن وفي حال الحاضر هي متواجدة في نشآت أخرى بنحو تشرف على بدن الانسان في هذه النشأة.

المحاور: بينتم أن الرؤية القرآنية تؤكد من خلال مجموعة من الآيات الكريمة وجود عوالم أخرى، كان فيها الإنسان أو للإنسان فيها وجود قبل الحياة الدنيا وقبل هذه النشأة، كان

لدنيا سؤال فيما يرتبط بمراتب هذه العوالم، هل للقرآن رؤية فيما يرتبط بهذه القضية؟ وهل أن لهذه العوالم مراتب معينة؟.

الجواب: نعم كما مرت بنا الآيات فهي تشير إلى تعدد تلك العوالم، وهناك آيات وان كانت هي في سياق العوالم اللاحقة ولكن بالقاعدة المأثورة عن روايات أهل البيت، وربما أيضا تستفاد من الآية الكريمة وهي مبرهنة أن المنتهى يكون من حيث كان المبدأ، وتشير آيات عديدة إلى العوالم اللاحقة لان الأبرار مثلاً كتابهم في عليين: ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾[1] يشهده المقربون، والكتاب هذا: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾[2] هو النفس وتشير هذه الآيات إلى أن بعض النفوس نشأتها من عليين، أو كما في جملة من روايات عنهم عليهم السلام في توضيح مفاد ظهور هذه الآية أن جملة من النفوس هي كتب إلهية تحصي أعمال الانسان وهي من نشأة العليين فيما إذا كان من الأبرار، أو من نشأة السجين فيما إذا كان من الأشقياء.

المحاور: إذن معنى الكتاب هنا بمعنى النفس.

الجواب: كما في: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾ فجعل هناك صلة وطيدة بين الكتاب الذي يحصي كل شيء والنفس (كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ) يعني ذات النفس هي محصية لأعمال الانسان بالتالي يسجل فيها من الأثار. فعن أبي عبد الله عليه السلام في قوله (اقْرَأْ كِتَابَكَ......) قال: يذكر العبد جميع ما عمل وما كتب عليه، حتى كأنه فعله تلك

---

(١) المطففين: ١٨ - ٢١.

(٢) الإسراء: ١٤.

الساعة فلذلك: ﴿ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا ﴾[١].

المحاور: وكون هذا الكتاب في عليين يعني إشارة إلى عالم آخر تنزل منه هذا الكتاب وهذه النفس تنزلت من ذلك العالم إلى عالم الدنيا.

الجواب: وكذلك، إذا كان المقربون يشهدون الكتاب، يعني عندهم هيمنة وإشراف على كتاب الأبرار، في عليين، فنفوس المقربين من الواضح أنها من فوق العليين كما تشير إلى ذلك سورة المطففين وسور أخرى قرآنية. وفي روايات أهل البيت عليهم السلام إشارة إلى جملة من طوائف هذه الآيات وان هناك نشآت الطينة سواء طينة النفوس وطينة الأرواح أي الأجساد المتروّحة، أي المتلطفة المتشففة عن كثافة السماوات اللطيفة، أو يعني منشأ نشوئها، وكذلك هنـــاك طينة للأبدان أيضا، فهذه بالتالي عوالم سابقة أيضا عن الانسان، وتشير لها الآيات الكريمة إجمالاً، وترتيب هذه العوالم هو بالاستفادة من روايات أهل البيت والأدلة العقلية فنشأة الأنوار أو نشأة النور هي بدء النشآت، ويستفاد بعض الأحكام التي تبديها الآيات الكريمة استدلالاً على هذه المراتب، بأعتبار انه كان مثل نوره أو أن مثل نوره هو نور السموات والأرض أي فالنور سابق على نشأة السموات والأرض، لأنه هو الذي يظهر ويبرز السموات والأرض أي وجودها، فكل ما يتأخر من نشأة الانسان عن السموات والأرض فهو متأخر عن نشأة النور، ومن هذه الآية في سورة النور نستفيد أن نشأة النور كما أشارت وبينت الروايات الواردة في نشأة النور أنها هي النشأة الأولى، ثم تأتي نشأة الأرواح وهي ما بعد نشأة الاظلة كما قد يعبر عنها، وهي ما بعد نشأة الأنوار ولكن قبل النفوس، وقد اشرنا إلى بعض الآيات الدالة على ذلك والواضح أنها متأخرة عــن نشأة السموات والأرض، فهي متأخرة عن نشأة النور.

المحاور: هذا الترتيب الذي ذكرتموه وأشرتم إليه واضح إن التقدم والتأخر هنا ليس زماني.

---

(١) نور الثقلين ج٣: ١٤٤.

الجواب: نعم، لأن الزمان هو بدوره وبنوبته متأخر في النشأة، الزمان متأخر عن خلقة السموات والأرض.

المحاور: يعني خاص بعالم الدنيا؟

الجواب: نعم.

المحاور: يعني المحور أو الأمر الضابط هو التقدم والتأخر نسبة إلى الصدور عن مبدأ الخلق تبارك و تعالى؟.

الجواب: نعم المحاور بهذا الاعتبار، وكذلك هو في مسيرة المعاد تعاقب العوالم بلحاظ تعاقبها في بدء الخلقة، سوف يكون أيضا تعاقبها في انتهاء الخلقة.

المحاور: يعني هذا في الحقيقة هو تفسير إجمالي، لقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، يعني إنا الأولى فيها إشارة إلى هذه العوالم السابقة، وراجعون في مسار العوالم اللاحقة.

الجواب: نعم، وترتيبٌ هذه النشآت تكاملاً" في التعاقب.

المحاور: ما هو سر التأكيد في آلايات الكريمة والأحاديث الشريفة على وجود عوالم أخرى للإنسان قبل مجيئه إلى عالم الدنيا، ثم ماذا تنفعنا معرفة هذه العوالم؟.

الجواب: إن تركيز المعرفة بالعوالم السابقة في الحقيقة يعطي للإنسان بُعد من المعرفة، إنه ليس محتبساً ومقتصراً وجوده على النشأة المادية ودار الدنيا، وإنما هو متصل الأبعاد بعوالم أخرى له وثيق الصلة والكينونة والكنه بتلك العوالم. فذاته وهويته إذن متوفرة على تلك الأبعاد، ومن ثم يجب أن ينشد إلى تلك الأبعاد، فحينئذ تلك الأبعاد لابد أن يراعيها ويغذيها بما يناسبها من كمالاتها، كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: ((وليكن من أبناء الآخرة فإنه منها قدم وإليها ينقلب))[1]، فإذا أدرك ووعى وتنبه الإنسان إلى تلك الأبعاد التي هي في هويته وذاته من ثم حينئذ سوف يكون عالي الهمة، عالي النظر، وسيع الأفق، وبالتالي سيحذو نحو كمالاته الأرفع، دون أن يرعى في حبس الأرض كدابة البهيمة في ظل النشأة المادية، وهذا من مهام المعارف في ذلك.

(١) شرح نهج البلاغة (١٥٤)، ج٩: ١٠٥.

المحاور: هل يمكن القول بأن معرفة هذه الحقائق ومعرفة وجود الإنسان لا يقتصر على العالم الدنيوي، حيث يمكن أن تبعث هذه المعرفة فيه حالة من المقاومة والتحصين من أن يشعر بأن الأمر يقتصر: ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[1]، يعني عدم الشعور بالمعنى والهدف، وأن الوجود هو الحياة الدنيوية وهذا الأمر تنفيه هذه المعرفة، معرفة بان له عوالم أخرى قبل الدنيا و بعد الدنيا الحصر بالوجود المادي؟.

الجواب: نعم غالب أو جل الأزمات التي تعانيها البشرية لاسيما الغرب ذوالطابع والفلسفة المادية، الغرب بما يشمل حتى الشرق البعيد عن النشأة الإسلامية، يعيش أفراد مجتمعه غالب الأزمات والمشاكل النفسية لاحتباس الرؤيا في ضمن النشأة المادية فقط والحياة الأرضية؟!. فمن ثم ما أن تنتابه وتعتوره مشكله مدلهمة مادية في المعيشة حتى تراه ينهار نفسياً ويتحطم وتتبدد آماله، وهذا ما نراه لديهم في كثير من المشاكل العقلية والروحية التي يعانون هم منها بخلاف الحالة الإسلامية وبالذات الحالة الإيمانية نرى أن هناك ربيعا" روحياً يعيشه المؤمنون والمسلمون وكل ذلك بسبب ما يتمتعون به من النظرة العالية لأفق تلك النشآت التي يربيها فيهم القرآن الكريم والسنة النبوية وسنة أهل البيت.

المحاور: على ضوء ما تفضلتم به يمكن القول بان معرفة هذه الحقائق في الحقيقة تحصن الانسان مما عرف بتيار الفلسفات التشاؤمية التي انتشرت في القرون الأخيرة في الغرب وأيضاً انتقلت بعض سيوله إلى العالم الشرقي؟.

الجواب: نعم إن الإنسان يعيش كما هو مقرّر بالأمل وأما الإحتباس وإنسداد الطريق وانسداد الأفق وانسداد الحلول هو من ضيق النشأة المادية نشأة التضاد التي لاقاها بسبب هبوطه إلى الأرض: ﴿ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾[2]. فنشأة التزاحم هي النشأة الأرضية أما فسحة الروح وعوالم النشأة الآخروية. فلا اصطكاك ولا تزاحم ولا تناقض ولا تدافع.

---

(١) المؤمنون: ٣٧.

(٢) البقرة: ٣٦.

المحاور: هذه أيضا نقطة جميلة أشرتم إليها وهو أن التأثر بضغوطات الحياة الدنيا هو بحد ذاته يسبب له حالة من الشعور بتفاهة وجوده مثلاً؟.

الجواب: نعم، فإذا كان على غفلة من بقية أبعاد ودرجات وجوده فسوف يحصل لديه نوع من الإحباط والحبط والهبوط والانهيار النفسي والذاتي.

المحاور: في الواقع أنتم أجبتم أيضاً على الشطر الآخر من السؤال وهو بماذا تنفعنا معرفة ذلك وأتضح أن معرفة هذه العوالم تحصن الانسان من هذا الأمر.

الجواب: نعم، هي حالة أمن روحي وضمانة روحية للسلامة الروحية.

المحاور: وسر تأكيد القرآن في الشطر الأول من السؤال لهذه الثمار ثم ثمار أخرى قد لا نعلمها؟

الجواب: في الواقع لا تقتصر على الثمار من السعادة الدنيوية، بل ثمارها أشرف وأثمن في منطق القرآن ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، وكما في قول وصي النبي ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام: ((وليكن من أبناء الآخرة فإنه منها قدم وإليها ينقلب)).

عالم الذر

المحاور: بعد أن ذكرتم أن القرآن يصرّح أو يذكر بوضوح بأن للإنسان نشآت أخرى قبل هذه نشأة الدنيا.

هنالك سؤال يتبادر كثيراً إلى الأذهان، وهو لماذا لا نتذكر نحن الآن؟. فعندما نسأل أي شخص هل تتذكر عالم الأنوار يقول لك لا. هل تتذكر عالم الذر يقول لا فما سر ذلك؟

الجواب: إن التذكر أو النسيان، والعلم وعدم العلم في الواقع يقع على أنماط في طبيعة مراتب روح الانسان وذات الانسان، وهذا النفس صادق لو أردنا التذكر بنحو الذاكرة التفصيلية لما استودعناه من ذاكرة مشاهد وحوادث مرت علينا في دار الدنيا.

المحاور:نعم التذكر لتلك العوالم ليس بهذا النمط التفصيلي ولا نجده من أنفسنا.

المحاور: لماذا لان القوانين تختلف؟.

الجواب: نعم، نحن في صدد الخوض في ذلك، الآن مثلاً نحن ما مر بنا أمس، ما مر بنا في الطفولة، ما مر بنا في المراهقة، ما مر بنا في ريعان الشباب، ما مر بنا في الكهولة إلى أن يشيخ الانسان ربما يستطيع أن يستعرض ذلك تفصيلاً بأصواته بصوره المتحركة المتمايزة في ذاكرته بحسب قوة الحافظة والذاكرة وضعفها، لكن هذا باعتبار أن طبيعة تلقي الانسان لتلك المشاهد كانت بهذا النمط من التفاصيل، وأما لو تلقى الانسان معلومات لا بهذا النمط من الضخ والتعبئة والتزريق، مثلاً بعض الأحاسيس من الحب والبغض والنفرة وما شابه ذلك، طبيعة تذكر الانسان لها تختلف عن مايصدر من أفعال الجسم من المشاهد الحسية، بينما المشاهد غير الحسية ذات نمط آخر فيه إبهام آخر وفيه أدغال في الإجمال أكثر وما شابه ذلك، وبالتالي أنماط التذكر تختلف عند الانسان وهذا لابد أن نأخذ فيه بشيء من التفصيل وشرح البيان أن شاء الله، وجواب إجمالي آخر، أن الانسان يتعرض لنفس الموقف والحالة فيما بعد من عوالم بلحاظ هذا العالم الدنيوي وان هذا التذكر ليس بنحو تفصيلي كما يشير إليه القرآن الكريم، حتى في عالم الآخرة عندما يبعث الناس

يساءلون: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾[1] مما يدلل على أن الإنسان رغم مروره بعالم البرزخ وما لاقاه إما من روح وريحان أو ـ لاسامح الله ـ نزل من جحيم وما شابه ذلك، ومع ذلك تراه إنه عندما يبعث يوم القيامة أو يبعث في الرجعة لا يتذكر الانسان ما مرّ عليه، كما تشير إليه جملة من الآيات القرآنية التي هي ما قبل نشأة المعاد نشأة الرجعة حسب ما أرشدنا إلى هذه الحقائق القرآنية أهل البيت في رواياتهم.

(١) الكهف: ١٩.

النسيان في العوالم

المحاور: إذاً هذا الأمر لا يختص بعالم الدنيا فقط يعني حتى في القيامة هنالك قد يكون نسيان لما قبله من عالم البرزخ؟.

الجواب: بالضبط إن الإنسان عندما تمر به مرحلة انتقال من نشأة إلى نشآت أخرى، في النشآت الأخرى يغيب عن محضره ومشهده تفاصيل ما مر به من مشاهد سابقة. فسبب ذلك أن نفسه تنشد إلى حاضرها الراهن في تلك النشأة التي تبعث فيها، فبالتالي لا تكون على إحاطة ويقظة ونباهة وتذكر تام لما مر بها في نشآت سابقة، بل وهذا الحال نشاهده في يومياتنا نحن في عالم المنام والرؤى، ربما نشاهد سيل من المعلومات، سيل من الأفكار، سيل من الأمور ومن المطالب، ولكن عندما نبعث في اليقظة مستيقظين من النوم نشاهد إننا قد عشنا حالة من إجمال عما مر بنا سابقاً، مع أن تلك الأمور مرت علينا بنحو التفصيل ربما أُريناها واطلعنا وأشهدنا عليها، وربما إذا تمر علينا في اليقظة نتذكر أن هذا الذي كنا نعهد من قبل وربما ننسى من أين عهدناه ومن أين شاهدناه، وربما يحصل لنا التذكر انه شاهدنا جملة من رؤى هي تنبئنا وتطلعنا على الحدث قبل وقوعه فإذاً هذه حالات.

المحاور: عفواً يعني هو في الواقع نسيان ليس كاملاً، أصل الحقيقة تبقى موجودة في النفس.

الجواب: لا ريب، وإنما نمط التذكر يختلف.

المحاور: علماء الأخلاق وعلماء النفس يقولون بأن النسيان حتى في هذه الحياة الدنيا هو رحمة، رحمة للإنسان يعني فيها آثار ايجابية. فما هو تعليقكم؟.

الجواب: باعتبار أن القوة النازلة في النفس تتصدع ويتوزع عليها التدبير لوحاولت أن تلم بكل هذه المعلومات وهذه الأمور.

المحاور: إذن بالنسبة لنسيان ما في العوالم السابقة فيها هذا الجانب من الفائدة أيضا؟.

الجواب: في الصفحة الحاضرة في ذهن الانسان التي هي تدير قواه وأعضاء بدنه وما شابه ذلك، يعني ليست لها قابلية للإلمام بشكل دفعي بالمعلومات الهائلة وعلى ضوئها تنظم عزائمها وإرادتها، فلابد من قوى أخرى في النفس تستودع، وتكون مستودعا" لتلك المعلومات وتزق إلى ما دونها من قوى النفس بما يناسب ويروي لها تدبيرها بشكل حكيم تام.

المحاور: هل يمكن القول في عبارة جامعة، بأن لو لا هذا النسيان لما في العوالم السابقة لأختلت حياة الانسان في هذا العالم؟.

الجواب: نعم بالنسبة إلى التدبير التفصيلي النازل في الإنسان وأعود إلى توضيح التذكر بلحاظ المحور الأول، هناك مثلاً تطرح نظريات في الحكمة هي في الواقع أنواع من القراءة لروايات وآيات واردة في الكتاب والسنة، وهي انه هل العلم حقيقته إكتساب أو استذكار؟ القرآن الكريم يشير إلى ظاهرة وهي أن العلم تذكر، وان الأنبياء بعثوا مذكرين. وفي نهج البلاغة أن هدف بعثة الأنبياء هو (ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكروهم منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ ويثيروا لهم دفائن العقول...)، ومن هنا يتضح أن العلم هو عبارة عن التذكر هذه النظرية أو هذه المقولة المعرفية كيف يمكن تصورها؟.

أن المنطق الذي يطرحه القرآن الكريم والحقيقة المعرفية في جملة من الآيات والروايات الواردة عنهم عليهم السلام أن دور الأنبياء أنهم يوقضون ويوجدون في الانسان اهم علم بأهم معلوم وهو توحيد الله والإيمان بالباري والإيمان بالمعاد والإيمان بالأنبياء والمرسلين والأئمة وما شابه ذلك من العقائد الأصلية وأركان المعرفة، تشير الآيات الكريمة إلى أن هذا هو نوع من التفكير ليذكرهم منسيّ نعمته وخلقته وميثاقه وشروطه التي شرطها على الذوات الإنسانية، هذا في الواقع يمكن أن نتصوره ونلمسه كما عبر وذهب إلى ذلك جملة من الحكماء، منهم أفلاطون الحكيم أن الإنسان عندما يبحث عن دليل معين أو يريد أن ينقب عن مجهول معين من المجهولات، يعبر في علم المنطق حركة الفكر من المجهول إلى المعلوم أو إلى المجهول ثم إلى المعلوم ثم مرة ثانية إلى المجهول ليكشف النقاب عن الغموض وإجمال في المجهول ويصير معلوماً وبالتالي تكتشف النتيجة، المقصود انه لابد من مناسبة

بين المجهول الذي يراد كشف النقاب عن ظلمانية الجهل به لدى الإنسان حوله مع المعلوم إذا هناك رأس مال من المعلومات بتوسطها يستطيع الانسان أن يكشف النقاب عن المجهولات، وهذا يستدعي أن هناك مناسبة ذاتية بين المجهولات والمعلومات، بالتعبير طبعاً المنطقي يقال إنه أوسط واكبر واصغر وان الأوسط هو واسطة، مثلاً كل إنسان ناطق، وكل ناطق مدرك فكل إنسان مدرك، النتيجة وصلنا إليها عبر توسط واسطة هي تخلق أو واجدة للمناسبة بين المجهول المعلوم، الواسطة مثلاً هي في مثالنا الذي مربنا يكون الانسان ناطق فبالتالي هناك مناسبة لابد أن تكون ذاتية وليست هناك بينونة تامة بين المجهول والمعلوم وإلا لكان حركة الفكر من المعلوم إلى المجهول، أو من المجهول إلى المعلوم في حركة الدورتين عبثاً، إذ لايتمكن من الوصول إلى أستنتاج النتيجة بعد فرض البينونة ليستنتج النتيجة وينقب ويفحص ويسير ساعياً لوصول النتيجة لكانت تلك حركة سدى وعبث، فلابد إذاً من مناسبة ذاتية، فالمناسبة الذاتية تدلل على أن كل المجهولات في الواقع مكدسة بنحو علمي في المعلومات الاولى مثلا من باب المثال.

المحاور: يعني تقصدون البديهيات؟

الجواب: البديهيات سواءاً كانت تصورات أو تصديقيات مثلاً قضية التناقض، نحن نستعمل التناقض واستحالة التناقض في جملة الاستدلالات والتصديقات الأولية إلى نهاية التصديقات المترامية اللامتناهية، مما يدلل على أن هذه المعلومات ارتباطها بالتناقض ارتباط تكديسي، وكبس معلوماتي، حاشد في نفس معلومة القضية الاولى وهي استحالة التناقض، أو مثلاً الشيء والموجود معنى بديهي ومن بديهي التصورات أن الشيء موجود، أو إذا كان موجوداً يعني ليس معدوماً أنه موجود أو غير موجود فنفس معنى الموجود كمعلومة وتصور بديهي له مناسبة ذاتيه مع كل إفراد الموجود بعبارة أخرى، اذاً بين أفراد المعلومات المجهولة في التفاصيل وأفراد أفرادها و إلى مشجرات هرمية لامتناهية في المعلومات، ترجع إلى أس مخروطي في المعلومات تصوراً أو تصديقاً تكون أفراد تلك المعلومة الاولى وبالتالي هي موجودة في المعلومة الاولى بنحو مكدس فهذا هو نمط تفتق هذه المعلومات المحيرة من المعلومة الأولى الكلية هو نوع من التذكر، إذن فبالتالي لو لم

يكن يعلم الانسان بهذه المجهولات بنحو علم سابق ولو إجمالي لما استطاع أن يكتسب معرفة تفصيلية جديدة هذه المعرفة الجديدة هي نوع من التذكر وهو التفتق لما كان يعلم به الانسان وهو نوع اكتساب بمعنى اكتساب للعلم بأحوال تفاصيل جزئيات التطبيقية للمعلومة الكلية التي لها طبقات من المصاديق فهو نوع من الأكتساب وهو نوع من التذكر، تذكر باعتبار نفس هذه المعلومة الموجودة وفي كبدها موجودة كل هذه الركام من المعلومات للمجهولات ولكن الانسان لم يفتقها. إذن ذات الإنسانية بحسب طبقات قواها ووجودها السابق هو بالتالي الذي أهلها لان تكتسب مثل هذه الكمالات العملية أو العلمية في لاحق نشآتها.

المحاور: فيما يرتبط بالعوالم التي مر بها الوجود الإنساني أن صح التعبير قبل أن يصل أو يولد في هذه الحياة الدنيا، انتم بينتم مجموعة من الأدلة القرآنية على وجود هذه العوالم، وان الحياة الدنيا ليس هي بداية حياة الانسان في الواقع حسب الرؤية القرآنية.

سؤالنا هو عن الخصائص المشتركة والمشتركات بين هذه العوالم فيما يرتبط بوجود الانسان فيها؟.

الجواب: يشير القرآن الكريم إلى أن مرور الانسان بتلك العوالم وتنشأته في تلك العوالم، لها كبير التأثير والدخالة والتأثير في خيارات الانسان المطروحة في إرادته ومسيرته وعاقبته في هذه الدار وهي دار الدنيا، فحيث يقول تعالى بالنسبة إلى عالم الذر: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾[1] إلى أن تتابع الآية تفيد أن هذا النوع من الأشهاد هو نوع من النمط الذي جرى وحدث في ذلك العالم، لأجل أن يحدث في الانسان تذكرة ودعامة علمية بنيوية مركوزة في فطرته وذاكرته وفي هويته العلمية كي يتسلح بها ويتأهل بها للأمتحان التكليفي وامتحان الإيمان في هذه الدار.

---

(١) الأعراف: ١٧٢.

المحاور: فيما يرتبط بهذه العلاقة يعني هناك علاقة بين كل عالم والعوالم الأخرى التي مر بها الانسان؟.

الجواب: لاريب، فإن الآيات تشير إلى أن هذه المعدات التي أوجدت وجهز بها ذات الانسان، هي مؤثرة شديدة التأثير في استعداده لتقبل هذا الامتحان والنجاح والتغلب على عقبات وشدائد ومكابدة الإمتحان في دار الدنيا، ولاسيما إمتحان الإيمان والمعرفة والإدراك فمثلاً في الآية الأخرى ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾ تشير إلى مراتب، ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ﴾ فقد ذكر المفسرون في روايات أهل البيت إنه وشج على فطر وغرائز وتلقينات علميه يدركها ﴿أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾[1] ثم تشير إلى انه قبل مجيء الإنسان في دار الدنيا قد اغرز وجهز في ذاته بقوة إدراكية ومعارف معينة يتأهل ويستعد بها بالخوض في غمار الامتحان في هذه الدار، ومن ثم ورد في روايات الفريقين وبل في الآيات الكريمة ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾[2] وكما يقول أمير المؤمنين عليه السلام: (وواتر إليهم أنبيائه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول، ويروهم آيات المقدرة،...)[3] إذاً خلقت الفطرة وأوثقت وجهزت وبنيت بمثل هذه الرساميل العلمية الإدراكية الموجودة في الفطرة الإدراكية العقلية والعلمية لوجود الانسان.

المحاور: هل يمكن القول بإنه كما هنالك علاقة بين حياة الانسان في هذه الدنيا والعوالم السابقة، هنالك أيضاً علاقة بين حياة الانسان في هذه الدنيا والعوالم اللاحقة؟.

---

(١) الإنسان: ٢-٣.

(٢) الغاشية: ٢١.

(٣) نهج البلاغة ج١: ٧٤.

الجواب: نعم كما يشير المفاد القرآني ورؤية القرآن المنبهة والموجدة لهذا الفهم العلمي الحافل لدى البشرية، من أن هناك ترابطاً بين أعمال الإنسان وما سيأتي له في العوالم اللاحقة وسوف يكون في الحقيقة هناك ترابطا بين ما ياتي به الانسان ويتجسم من أعماله في العوالم اللاحقة وبين ما غرز و جهز به الانسان وهيأ به في العوالم السابقة وهذا العالم هناك أيضا ترابط طردي موجود لدى إدراك الذهن.

المحاور: بينتم فيما سبق كثيراً من الحقائق القرآنية فيما يرتبط بعوالم قبل عالم الدنيا ووجود الانسان في تلك العوالم، الآن سؤالنا عن عوالم أو عالم الذر بالخصوص وهو اقرب العوالم على ما يبدو من بعض الآيات القرآنية ما يفهم انه اقرب العوالم إلى عالم الدنيا ما هي خصائص هذا العالم أو ما هي الرؤية القرآنية فيما يرتبط بهذا العالم ووجود الانسان فيه؟.

الجواب: الملحوظ من مفاد آية الذر ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾ قال ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ ،ملحوظ فيها أن الآية الكريمة تشير إلى أن هناك نشأة إدراكية سابقة لذات وروح الانسان مرتبطة نحو ارتباط بعالم المادة، بعبارة أخرى عالم الذر ليس هو عالم أرواح مجرد عن الأبدان وعن المادة ولا هو عالم مادة محض يعني ليس هو كالعلقة، وليس هو كالنطفة والمضغة واللحم: ﴿ فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً﴾ ويشار إلى أن هناك جنبتان في نشأة عالم الذر، هي نشأة إدراكية لأنه خوطبوا لما لهم من ذوات مدركة وأجابوا لا لأن نمط الإجابة بأصوات وألفاظ أو نمط الإجابة هو في الواقع بتجاوب إدراكي متناسب مع تلك النشأة الإدراكية كما أن الانسان تمر به خواطر أو معاني في مراتب عقلية في ذهنه فيتجاوب معها وينساق معها بما يتناسب مع تلك المرتبة في قلبه وعقله وباطن روحه.

المقصود أن الآية الكريمة في عالم الذر تشير إلى هذا التنوع والتعدد، وان هناك جنبتين في عالم الذر جنبة إلى النشأة الإدراكية وجنبة مرتبطة أيضا بنحو بعالم المادة لان التعبير في

الآية الكريمة (من ظهورهم) حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ مما يدلل على انه له جنبة اتصال ونحو اتصال بعالم المادة، فإذاً ليس هو عالماً ادراكياً محضاً وليس عالماً روحانياً كما ورد في الحديث النبوي: ((خلق الله الأرواح قبل الأجساد بألفي عام))[1] ولا هو جانب إعدادي مادي محض كما في سلسلة أخرى من الآيات: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[2]، وحينئذ يمكن تصوير تنشأة الانسان في عالم المادة وتجسمه والفلاسفة الإسلاميين وحتى الأمامية منهم لم يفض ولم يبلور هذا البحث عندهم إذ نظرية ملا صدرا رغم أنها من ارشد النظريات الرائدة الآن على الصعيد الفلسفي حيث أنها تؤمن أن روح الانسان جسمانية الحدوث روحانية البقاء، وإن الروح حادثة بحدوث خلق البدن بينما تشير هذه الملفات الاعجازية العلمية الضخمة في القرآن الكريم إلى أن تنشأة عالم الذر هي تنشأة برزخية بين عالم الأرواح وقبل عالم الأبدان.

المحاور: هذه قضية مهمة يعني يقابل حياة البرزخ أو عالم البرزخ بعد وفاة الانسان.

الجواب: نعم كما في قوس الصعود كما يقولون أو قوس النزول في قوس المجيء ومسار المجيء ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ فمن حيث أفعال ومخلوقات الله تعالى في بدأ مراحل وعوالم الصدور، توجد هناك نشأة في الواقع هي شبيه للبرزخية تمثل عالم الارتباط بين عالم الروح وعالم المادة وهذا نحو في بداية تعلق الروح بالمادة قبل مرحلة النطفة والعلقة والمضغة، وفي الحقيقة الحكيم ملا صدرا فضلاً عمن قبله من الحكماء لم يسلط الضوء إلا على نشأة الجنين وكيفية ارتباط الروح بالإنسان بمرحلة الأجنة وكينونته جنيناً في بطون الأمهات والأرحام أما المراحل السابقة على ذلك ففي نظرية ملا صدرا ليس هناك أي

---

(١) البحار، ج٥٨: ١٣٢.

(٢) المؤمنون: ١٤.

تسليط للضوء عليها ولا أشارة لها وان كانت الأبحاث العلمية الحديثة الان تثبت أن الجيمن ونظام الوراثة والهندسة الوراثية الموجودة في الأصلاب في الواقع لها سبقة زمانية ممتدة بسبق وجود الانسان في ظهر آدم أبو البشر.

المحاور: يعني هي تقترب في الواقع من منطوق الآية الكريمة وإن الآية القرآنية ليست تسبق الفلاسفة فحسب في هذه الحقيقة العلمية بل تسبق أيضا" الأبحاث العلمية الحديثة؟.

الجواب: نعم مفاد الآية سابق على نظرية الهندسة الوراثية الحديثة، التي كشف الآن عنها العلم الحديث، حيث تبين أن النظام الوراثي أو أن الحياة بدرجة من الحياة الحيوانية موجودة لدى كل نسل البشر من آدم عليه السلام إلى يوم القيامة.

المحاور: يعني هذا أيضا ﴿مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ هذا التعبير؟.

الجواب: ففي الواقع علم الهندسة الوراثية الآن يصب بشكل مركز كمحاولة وكقراءة من القراءات الجارية في آية خلق عالم الذر، مما يدلل على أية حال إن هذه النشأة والتنشأة لم يخض غورها الحكماء إلى يومنا هذا.

المحاور: أنتم في الأسئلة السابقة بينتم خصوصيات عالم الذر والعوالم الأخرى التي سبقت الوجود الإنساني أي قبل الحياة الدنيا، والسؤال هو: فيما يرتبط بعالم الذر إلا يمكن أن تكون آية اخذ الميثاق تعبيراً رمزياً عن أن فطرة الانسان خلقت بصورة بحيث تقر بالتوحيد دون أن تعني هذه الآية الكريمة مرور الانسان بعالم آخر قبل عالم الدنيا؟

الجواب: هذا التقرير في الواقع أفاده العلامة الطباطبائي (رحمة الله عليه) في تفسير الميزان[1] فأوّل أو حمل معنى عالم الذر أو عالم الميثاق باعتبار إنهما عالمان بل لدينا إشارات في الآيات والروايات إلى عوالم متعددة قبل نشأة عالم الدنيا فقرر وبين معنى تلك العوالم بمثل هذا الإطار وهو وإن كان فيه جهة من المتانة إلا أن ذلك لا ينفي بالتدبر والتعمق والتحليل ما ورد في الروايات فإذا كانت الفطرة مدركة للتوحيد فهذه الفطرة هي ليست مادية، هذه الفطرة التي هي في كنه كينونتها موجود جوهري مجرد وبالتالي هذه النشأة

(١) تفسير الميزان ج٨: ٣١٦.

ليست كنشأة الأرحام والأصلاب بل نشأة علمية، ومنه يعلم إن النشآت العلمية ليست هي متأخرة عن النشأة المادية بل لها في مسير بدأ الخلقة موقع متقدم، كما أن لها في مسير منتهى الخلقة مرتبة وموقع لا حق، وهذا لا ينفي وجود تقرر نحو من النشاة السابقة التي يؤكد عليها القرآن، وإنه لو لا غرز الله تعالى في هوية وذات الانسان مثل هذه العلوم وهذه الإدراكات لما كان يصل إلى بصيص إبصار تلك المعارف وإلى عوالم الخلقة وتخلق عوالم الخلقة ووصولها إلى معدن العظمة وهو معرفة وإدراك الذات الأحادية السرمدية الآلهة.

المحاور: نعم بطبيعة الحال بما يستطيعه أو يتحمله الانسان، بإعتبار أن إدراك كنه الذات أمر محال، فيما يرتبط بجوابكم اعتقد أن العلامة السيد الطباطبائي (رضوان الله عليه) ذكر بان هناك حدود سبعة عشر رواية صحيحة السند، تصرح بوجود عالم الذر، ويمكن أن يثمن هذا الكلام انه عندما قال بهذا الرأي إنما قال نتيجة العوالم السابقة تكون بصورة بحيث جعلت فطرة الانسان مقرة بالتوحيد؟.

الجواب: إن تلك التنشئة العلمية التي مربها وخاضها الإنسان في تلك العوالم، هي التي تؤهله لان يدرك المعلومات في هذه النشأة وهو ما يعرف بنظرية التذكر سواء في لسان القرآن الكريم: ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ﴾[1] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[2] حيث يؤكد بقوة القرآن الكريم في نظرية المعرفة على أنها، لها ارتباط بالتذكر، فمما يدلل على أن مثل هذه المعلومات إذن مغروزة، مكدسة، مكبسة، في ذات الإنسان بشكل رق تفتق بتوصل الفهم والإدراك وكذلك ما ورد في الروايات، وبالتالي فإذا هذه الذات والهوية المجردة كان لها نحو من التنشئة السابقة.

المحاور: من أين جاء مصطلح عالم الذر وهو غير مذكور في الآية الكريمة؟!، إذ هو مذكور في الأحاديث الشريفة بهذا التعبير؟.

---

(١) الغاشية: ٢١-٢٢.

(٢) القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠.

الجواب: هذه التسمية لعالم الذر منشأها قرآني وثم روائي: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ فالذرية الذر إنما سميت الذرية بالذرية وان كانت الآن الحالة الاستعمالية في اللغة الأدبية العربية هي بلحاظ المواليد والتنسيل، ولكن في الاصطلاح نفس التعبير بالذر (ذريتهم) هي المواليد، ولكن بصورة وبهيئة موجودات صغيرة هي كحالة الذر في الهباء، فإذاً أطلق على مادة أخرى وأعضاء أخرى كلمة الذرية في أصل وضع معناها اللغوي وهو بلحاظ تلك النشاة وإنما توسع في الإستعمال إلى المواليد من الأرحام والأصلاب، وإلا هي في الحقيقة :﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ يطلق بلحاظ الموجود الصغير ذي الكينونة الصغيرة.

المحاور: الكينونة الصغيرة مقارنة بماذا؟.

الجواب: الكينونة الموجودة فعلية الآن كما ذكرنا هناك قراءة

محتملة بحسب ما في علم نظام الوراثة أو الهندسة الوراثية، من العلوم الحديثة المنظورة الآن ولسنا نحمل مفاد الآية بنحو التعيين والبت عليه ولكنه قراءة محتملة قد تذكر في ذيل الآية، ألا وهي إن هذه الجينات التي كانت في صلب آدم كنا نحن كلنا بنحو جينة حيوانية حية بحياة حيوانية وكلنا كنا في ظهر أبونا آدم، نحو الكروموسومات أو الجينات بنحو من الأنحاء.

المحاور: إذاً هي في الواقع إشارة قد تكون إلى عالم الذر المقصود منها، وانه هناك كيفيات معينة من الوجود غير الكيفية المألوفة في الحياة الدنيا.

الجواب: هذا في بعده المادي، وأما في بعده الشعوري والإدراكي هناك نشأة وتعلق من الروح بتلك الجينات أو تلك الكروموسومات إن صح التعبير أو ربما بعد وجودي مادي له بعد في الصغر آخر كان له تعلق ببعد مجرد إدراكي، كما ثبت الآن علمياً أن الجينات لها درجة من الإدراك والإحساس، ولسنا نحمل معنى الآية بنحو البت عليه ولكن هذه القراءة علمية في العلوم الحديثة إحتمال لمعنى الآية، وأيا ما كان فالآية تثبت إذن للإنسان

من جهة بعد المادي وجود كينوني صغير كالذر للهباء، ومن جهة التنشأة المجردة التي لها نحو إدراك وشعور كما مر أن هذه قراءة محتملة من علم الهندسة الوراثية.

الحياة قبل وبعد عالم الدنيا

المحاور: إشارة إلى ما تفضلتم به سابقاً من وجود عوالم أخرى تسبق مجيء الانسان إلى عالم الدنيا، ووجود عوالم لاحقه أيضا إلى يوم القيامة، وما بعدها، والسؤال هو: كيف هي حياة الانسان في عوالم قبل الدنيا وكيف ستكون حياته بعد هذا العالم إي عالم الدنيا؟.

الجواب: إن الآيات الكريمة وكذلك الروايات تشير إلى أن هناك نحو تطابق وتشابه وارتباط وثيق بين العوالم التي ستعقب هذا العالم، والعوالم التي سبق هذا العالم كما في التعبير القرآني ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ وكما فيه تعبير وارد في الروايات: ((وليكن من أبناء الآخرة فإنه منها قدم وإليها ينقلب))، مما يدلل على إن قوس النزول أو قوس البداية هو متطابق مع قوس النهاية أو قوس العود والمعاد والرجوع، وفي الحقيقة هناك أيضاً فوارق أن في قوس النزول هناك نحو من الظهور، أو قد يطلق عليه بالفتق أي فتق ما كان رتقا" بخلاف قوس العود و قوس النهاية فنحو رتق ما قد فتق إي نحو ما تفتق من الكمالات بشكل بارز في مبدأ النزول بالظهور، بخلافه على ما كان في النشآت السابقة بنحو مركوز رتقي غريزي، ومن ثم سميت الغرائز حتى العلمية غريزة لأنها بشكل مغروز مكدس مكبس يفتق بتوسط التفاصيل وسعي الانسان إلى البحث والسير قدماً، وبالتالي حينئذ تنفتق تلك العوالم لديه.

المحاور: يعني قبل أن يأتي الانسان إلى عالم الدنيا كانت له حياة بالمعنى الذي نفهمه للحياة؟.

الجواب: نعم، حياة يطلق عليها نمط من الحياة تختلف عن الحياة الظاهرة، ولكن لا تفتقد ولا تسلب عنها مطلق الشعور والإدراك ولكن شعور لاكما في الشعور في الحياة الظاهرة ونستطيع أن نوصل فكرة حول ذلك بالأرتكاز المركوز والتغريز في الغريزة حتى العلمية والفطرية في الانسان، يمثل له بعض بالشعور الذي في ذاكرة الانسان في اللاوعي كما

يقولون أو في العقل الباطن، وبعبارة أخرى أن الإنسان ربما يدرك قضية رياضية هذه القاعدة الرياضية الجمع والطرح أو القسمة أو ما شابه ذلك، يشاهد الانسان أن من خلال هذه القواعد الأولية البسيطة الساذجة بشكل إجمالي ومبهم ومركوز يستخرج الانسان نظريات غير متناهية في عالم الرياضيات وفي العلوم الأخرى، وفي الواقع تفتقت وانتشرت من أصول مجملة فهذا أصل المجمل في طياته وفي بطن ذاته موجودة تلك التفاصيل ولكن بنحو اللف، بنحو الشيء الملفوف وإنما يتنشر ويتفصل بعد ذلك بتوسط سير الانسان الفكري والذهني في هذه النشأة الدنيوية، فالفارق في الحياة إذاً بين ما سبق في قوس البداية أو قوس النزول كما قد يعبر عنه مع قوس النهاية وقوس الصعود كما قد يقال ويسمى ويطلق عليه هو أن في تلك النشأة كانت المعلومات موجودة بنحو الأجمال، وله نسبة من الإدراك والشعور ذات درجات وذات أنواع مختلفة في كل العوالم، تلك الوجودات التي لدى الانسان التي لا يدركها ولا يتذكرهـــا بنحو التفصيل لأنها بطبيعتها مجملة وهي بطبيعتها مكدسة، مكبسة تتفصل و تتفتق لديه تنتشر وتنفتح أكمامها لديه في هذه النشأة التي هي نشأة دار الدنيا والنشأة المادية، ومن ثم سيشاهد تفاصيلها وبشكل أكثر تفصيلاً وأكثر تفتقاً وأكثر بياناً في عالم البرزخ الذي سيذهب إليه ومايليه من عوالم أخرى من عالم الآخرة وعرصات يوم القيامة وما شابه ذلك.

المحاور: هل يمكن تمثيل ذلك مثلاً بطبيعة حياة الإنسان وهو جنين في بطن أمه وما بعد ذلك، فعندما يولد فالحياة هي موجودة في كلا الحالتين، ولكن طبيعة الإدراكات يعني بغض النظر عن قضية التفتق وقضية الإجمال والتفصيل، لكن الأصل المشترك وجود الحياة ووجود الإدراك في كلا المرحلتين ؟.

الجواب: نعم لأنه نستطيع أن نمثل بهذا البعد في الجنين بان له روح وله إدراك، ولكن تلك ليست مفعلة كما يقال الآن لازالت مجمدة وأنشطتها لازالت ليس بتلك الحيوية الفاعلة، ولكن ما أن يولد تفعل تلك الأنشطة بشكل أكثر وأكثر وستتفعل أكثر وأكثر بحسب صراط الانسان الذي انتخبه والنجد الذي اختاره في عالم البرزخ أكثر فأكثر، الآن حتى علماء الأثير في الغرب الذين هم علماء الروح والباراسيكولوجي والتليباثي والجلاء

السمعي والهيبنوتيزم وغيرها من العلوم الروحية التي لها الأن أكاديميات وجامعات وكليات معترف بها، وذات إنتاج ضخم يذكرون هذه النظرية على صعيد النظرية أو الفرضية، أن لكل الأجسام الجامدة التي نراها نحن الآن أمامنا هي لها أرواح مضمرة يقولون.

طبعاً هذه النظرية بغض النظر عن إثباتها والبرهان عليها، هذه النظرية التي تبنوها في النتائج حديثة، في الواقع نحو تفسير لكيفية شهادة الأشياء المحيطة بنا على ما نأتي به من أعمال، أن لها جنبه روحية وإدراك روحي يتحمل إدراكا ما يشاهده ثم يدلي بتلك الشهادة يوم القيامة.

قوس الصعود والنزول

المحاور: ما معنى قوسي الصعود والنزول اللذين ذكرتهما سابقاً؟.

الجواب: هذا التعبير عبر به الفلاسفة والحكماء عن مسار نشأة الخلقة، أن الأرواح أنزلت كي تتكامل فمرت بعوالم منها الميثاق والذر والأصلاب والأرحام إلى أن تصل إلى دار الدنيا وهي دار مكابدة ومحن وسباق وتحمل مشاق إلى أن يرتفع الانسان إلى حين دار البرزخ ثم الدار الآخرة والتي هي ألطف وأصفى من دار الدنيا وفيها من الطاقات ما لا يدرك في الدنيا، فإذن العوالم السابقة والعوالم اللاحقة على دار الدنيا هي عوالم في الواقع علوية من حيث الكمال واللطافة والصفاء والنقاء، ومن ثم عبر الحكماء عن تلك العوالم في طرف الصعود من جهة العوالم اللاحقة المتعاقبة أو من طرف النزول، وهو نزول من علو في مقابل الصعود إلى علو، وبالتالي تعد دار الدنيا من انزل العوالم وما ورد في الآيات الكريمة بأنه ﴿رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾[1] أو تعبير ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾[2] والتعبيرات العديدة وما ورد أن الله لم ينظر إلى الدنيا طرفة عين لأنه لو كانت الدنيا عند الله تسوى جناح بعوضة لما سقى فيها كافر قطرة دماء مما يدلل على أن نشأة الدار الدنيا من جهة الكمالات والنعم والحباوة والإقبال الإلهي هي من انزل العوالم.

المحاور: ولكن تبقى مزرعة للآخرة؟.

الجواب: نعم من هذا الجانب وهذه النظرة هي على أية حال لها قيمتها.

المحاور: وتكون منطلق قوس الصعود؟.

الجواب: نعم، وبالتالي تكون منشأ الخيرات والبركات فيستعد الانسان ويعد ويتعبأ لما يستحق به الكمالات في الآخرة.

---

(١) التين: ٥.

(٢) التوبة: ٣٨.

المحاور: الذي يصعد وينزل ما هو؟ حقيقة الوجود الإنساني؟.

الجواب: نعم بأعتبار أن الانسان هو حقيقة وجودية ذات طبقات وجودية متعددة، فيرتبط ويمت إلى عوالم كما أن الانسان في الآن الراهن في نشأة وجوده في دار الدنيا في الواقع طبقة وجوده ليست واحدة متحدة، وإنما هي ذات طبقات ومن ثم له قوى مختلفة عاقلة ومتخيلة وواهمة وقلب وروح وكل قوة بمن هذه القوى هي ذات تعلق بنشأة ودار أخرى.

فلسفة الروح

المحاور: الروح هي وجود مجرد فكيف يكون عيشها في العوالم الآخرة قبل الدنيا وبعدها، ونحن نعلم بأنها تعيش في عالم الدنيا بواسطة البدن. فكيف يكون عيشها في العوالم الأخرى؟.

الجواب: طبعاً الروح هي مجرد ولكن طبقات الوجودية للروح ليست على نسق واحد من التجرد، مثلاً الطبقة الوجودية لقوة العقل في الروح تلك ربما يقرر فيها أنها تجرد تام عن المادة الغليظة وأحكام المادة والجسم وما شابه ذلك، وأما درجة الوجودية في الــروح هي في الحس المشترك وقوة الحس المشترك والخيال، بل حتى الوهم فتلك ملحوظة فيها آثار المادة ولو المادة اللطيفة، ولتوضيح هذه الفكرة يمكن التمثيل بما يشاهده الانسان بالرؤيا في المنام، فان الذي يشاهده الرائي للمنام يلاحظ أن هناك جسم لطيف ذوابعاد وعمق وطول وعرض وما شابه ذلك، وبقية الحواس الخمسة فاعلة نشطة منشطة، وان كان هناك مادة لطيفة وليست المادة غليظة وهذا المشهود في المنام من الجسم في الرؤيا المنامية يسميه الفلاسفة بالحالة البرزخية، نعم أن المعاد بضرورة المسلمين هو معاد جسماني وان الجسم الذي بعث به الانسان في الآخرة وفي عرصة يوم القيامة أو في الجنة أو في النار هل هو نفسه هذا الجسم الغليظ أو جسم ألطف، أياً ما كان فإن الانسان يبعث بجسم، وحسب البراهين العقلية ضرورة الجسم ثابتة في عود الانسان في المعاد بلحاظ أن هناك القوة والحواس الخمس أيضا فاعلة نشطة مفعلة.

المحاور: هنالك خصوصيات للبدن الذي يعاد بعثه يختلف يعني لا يهرم لا يعتريه النصب أو التعب أو المرض وغير ذلك، أي هناك جسم أو بدن مناسب لذلك العالم.

الجواب: هذه بالنسبة إلى أهل الجنة وأما بالنسبة إلى أهل النار فلهم أيضا جسم يناسب تلك النشأة النازلة بخلاف حال أهل الجنة.

المحاور: هل نقول هنالك نوع من البدن في كل عالم يناسب ذلك العالم؟.

الجواب: بلحاظ العوالم اللاحقة هكذا الأمر، البرزخ والآخرة ويوم القيامة.

قاهرية الموت

المحاور: هناك عبارة في دعاء الصباح لأمير المؤمنين عليه السلام: (فيامن توحد بالعز والبقاء وقهر عباده بالموت والفناء) كيف يكون الموت قهراً للإنسان؟.

الجواب: الموت احد حيثياته هو انقطاع الروح عن البدن وعن سيطرتها وبالتالي منع استخدام الروح لقوى الجسم، والجسم هو نوع من الآلة والتدبير الذي تستطيع توسطه الروح أن تدبر أعمالها في عالم المادة، هذا الانقطاع وهذا الانفصال والانفصام هو نوع من سلب القوى والقدرات والهيمنة والسيطرة. حالة الموت التي هي نوع من المرارة أيضا ونوع من المخاض الذي تمر به الروح من عالم إلى عالم، فتدل على مدى ضعف الانسان ومدى كونه تحت حيطة وهيمنة قوة فوق قوته وهي قوة الباري تعالى، وبالتالي تدل على فقر وذل الانسان اتجاه قدرة يتعايش معها فطرة وارتكازاً من دون أن يلتفت إليها التفاتاً تفصيلياً.

المحاور: هل يمكن أن يقال بملاحظة المقابلة بين (فيامن توحد بالعز والبقاء)هنا عز وبقاء يقابله موت وفناء، فإن الانسان بطبيعته نازع إلى أن لا يموت إلى أن يبقى خالداً في هذه الدنيا فيكون الموت قهراً له من هذا الجانب؟.

الجواب: نعم هو تباعد عن الدنيا وانفصال عن البدن.

المحاور: بأعتبار انه يبين أن الحاكم في هذا الوجود ليست إرادة الانسان أو ما يريده الإنسان هو اكبر من قوة اكبر هي التي تهيمن عليه؟.

الجواب: نعم فبالتالي هو يشاهد نفسه كيف هو في حالة ضعف وانحسار قوته وقدرة بدنه والتصرف بها في الدنيا.

المحاور: الفناء المقصود هنا ما هو؟.

الجواب: الفناء قد يتبادر منه الانعدام، ليس المقصود بالضرورة هو الفناء المطلق، وإنما المراد منه نوع من الزوال النسبي بأعتبار أن الروح عندما تترك تعلقاتها بالبدن فيكون نوع

من الغروب، غروب الروح عن تصرفاتها في البدن الدنيوي والنشأة الدنيوية وان كانت هي تنزح إلى مأوى آخر: ﴿ وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

المحاور: اذاً ليس هو الفناء المطلق أو العدم؟.

الجواب: نعم ليس الفناء المطلق وإنما هو الانحسار والكينونة التي يكون فيها الانسان إلى عالم آخر وبالتالي فهو غروب وزوال واندثار.

الموت وسكراته

المحاور: بأي عين يرى الميت ملك الموت والأئمة عليهم السلام الذين يحضرونه عند الوفاة؟.

الجواب: نعم هناك نوع من الإدراك بالعين البرزخية التي هي في البدن البرزخي، ولكن هذا لا ينافي أن هناك نحو تناسب مع البدن الدنيوي أيضا، الحالات المشاهدة والكشف التي تحصل لبعض الأفراد هو عندما يدرك بعين بدنه الدنيوية ولكن في الحقيقة هو إدراكه بالعين المنامية والبدن المثالي البرزخي.

المحاور: عفواً نوع إدراك أم لا؟ يعني يشعر بالصورة التي يراها صورهم عليهم السلام أو صورة ملك الموت عليه السلام وليس يشعر بوجوده فقط بل حتى يتعرف على صورته، ولكن غاية الأمر هي تلك العين البرزخية يعني لو سئل كيف شكل أو صورة ملك الموت مثلاً يجيب ويقول بتلك الكيفية المعينة، هذا الأمر هل يستطيع أن يجيب عنه أم لا؟.

الجواب: نعم ملك الموت يتمثل لصورة برزخية لنفس الميت هذه الصور البرزخية، وهذا التمثل البرزخي وهذا الإدراك من الميت بجسمه وعينه البرزخية لتلك الأمور والصور والتمثيلات البرزخية لها نحو تعلق ومناسبة بالدار التي هو فيها وبالبدن الدنيوي الذي هو فيه، ففي الحقيقة هناك علاقة بين أرواحنا والعين البرزخية والبدن الدنيوي، نحو علاقة ونحو ارتباط ونحو مناسبة، فكذلك الحال في رؤية وإدراك ملك الموت في صورة معينة برزخية لها ارتباط بهذا البدن الدنيوي الذي نحن فيه وبهذا الموضع ولكن شاهد أو تمثل ملك الموت بصورة معينة في هذه الدار فلها علقة أيضا بهذه الدار وان كانت تلك الصورة التي تمثل بها ملك الموت هي صورة برزخية، ولكن البرزخ له نحو علقة متعددة بمواضع عديدة من هذه الدار وهذه المادة الغليظة الدنيوية.

المحاور: إذن يمكن القول أن الارتباط موجود على أية حال بين البرزخ وهذه الحياة الدنيا من خلال ما يقدمونه أهل الميت لميتهم من صدقات وزيارات وما شاكل ذلك؟.

الجواب: نعم بالطبع هناك ارتباط ونوع من التأثير والتأثر بنوع من المناسبة والانسجام، وان كان عالمين أو من نمطين مختلفين تماماً عن بعضهما البعض، لكنه تماماً كحال الارتباط بين روحنا وبدننا البرزخي أو بين بدننا المنامي البرزخي الذي نراه، البدن الذي نراه في المنام ليس يعادل البدن في اليقظة، موجود ولكنه يرتبط مع هذا البدن.

المحاور: رواية إغراء الشيطان للإنسان بالكفر عند الاحتضار هي روايات صحيحة؟ وإذا صحت فكيف يُمكن الله تبارك وتعالى الشيطان من الانسان وهو على حالة الضعف والتي قد يستجيب له الشيطان بحكم ضعفه فيخسر ما قدم من الأعمال الصالحة، إلا تقتضي الرحمة الإلهية أن يمد الله تبارك وتعالى يد العون للمحتضر في ساعات الضعف تلك؟.

الجواب: في الحقيقة الروايات في هذا المضمار مستفيضة وثابتة، ولكن هذا الافتتان والامتحان للمحتضر ليس عام وشامل لعموم المسلمين، وإنما هو افتتان وامتحان لتلك المجموعة من المؤمنين أو لذلك النمط من المؤمن أو المسلم الذي يمارس أعمال معينة تورث افتتانه وامتحانه بالشيطان ودعوته وإغراءه وتلبيسه على المؤمن في حالة الاحتضار في حالة سوقه إلى عالم البرزخ، وإلا فهناك جملة من الأعمال الخيرة مذكورة في الروايات وإذا مارسها الانسان يعصم ويؤمن ويحتصن ويحصن من تلك الفتنة وذلك الامتحان، فمثلاً منها دعاء العديلة، إذا الانسان أدمن على دعاء العديلة فأنه يورث الحصن الحصين من ذلك الافتتان وهناك جملة من الأعمال مذكورة ذكرها الصدوق في ثواب الأعمال، تورث الأمان من هذا الافتتان، وهناك أعمال سيئة قد تكون حتى مكروهة أو محرمة ينجم منها شدة الافتتان عند الموت بمكائد إبليس ومكائد الشيطان، فهي إذن نتيجة أعمال الانسان السابقة وكما يشير القران الكريم في موارد وآيات عديدة إلى أن العمل الصالح ينجم منه بيئة صالحة وحالات صالحة تساعده في الرقي على الصلاح أكثر فأكثر، والأعمال السيئة ـ لا سامح الله ـ هي تورث بيئة سيئة وتساعد على انزلاق الانسان والهوي في المهالك أكثر فأكثر، فمن ثم الانسان لا يستهين بالمعصية مهما صغرت، ومهما قلت ولا يستهين بالحسنة مهما قلت ومهما صغرت لان الحسنة تورث الحسنة والسيئة

تورث السيئة وهلم جراً، ولو أراد الانسان أن يورث هذه الحالة ربما لو أصاب الانسان ابتلاء شديد من قبيل امتحان فقد عزيز مثلاً، حالة إفلاس أو حالة خوف ورعب شديد أو مرض شديد المهم ابتلاء شديد يقض بمضجع الانسان، يشاهد الانسان بحسب درجة إيمانه ويقينه أن الوساوس وحالة التمرد الروحي ربما تبدأ عند الانسان تتفعل اتجاه الساحة الربوبية والعياذ بالله، وربما أساء السوء والإنكار وكفر النعمة مع الله (عزوجل)، هذا شبيه بحالات الاحتضار، اذاً هو حالة شدة وشدائد يمر بهولها الانسان، حينها يضعف وتخور قوى الانسان وبالتالي فقط يبقى إيمانه ويقينه ومن ثم يجد الشيطان حينئذ فرصة ومجالاً واسعاً وفسحة للانقباض على الانسان أن لم يكن قوي الإيمان، بأعتبار أن لو تخور قوى الانسان فحالة الاحتضار الشديدة حالة الابتلاء الشديد حالة المرض، حالة فقد عزيز، إذا كانت رباط العلاقة مع الله تبارك وتعالى عنده قوية فبيقينه وإيمانه وحبه لباريه وتوكله على باريه وحسن ظنه بباريه إذا كان قوياً جداً فلن يتمكن حينئذ الشيطان لا في حالة الشدائد التي تمر به في وسط العمر والحياة، ولا في حالة الاحتضار التي هي الشدة وشدائد شديدة جداً لم يمر بها الانسان من قبل.

المحاور: يمكن أن يقال أن ما تفضلتم به يشير إلى أن حالة الهجوم الشيطاني أو هذه التلبيسات عند الاحتضار لصدق الانسان بأرتباطه بالله تبارك وتعالى خلال حياته الدنيوية جمعاء؟.

الجواب: نعم بالضبط هكذا، امتحان لدرجة إيمان الانسان وبالتالي لدرجة إيمانه وحبه لباريه ومعرفته بباريه وتوكله عليه وحسن ظنه بباريه، حسن الظن يعكس مدى الحب وعلاقة المحبة بين العبد والباري وان كانت قوية والتوكل إذا كان قوياً يدل على صدق معرفته بباريه ويقينه بجود الباري وكرم الباري، وبالتالي صفاته وصفات جمال الباري تبارك وتعالى، وأما إذا كان ـ لا سامح الله ـ يقين الانسان ومعرفته ضعيفة بالتالي يتقاعس عن حسن الظن والتوكل.

ماهية الشيطان

المحاور: هناك من يسأل عن حقيقة الشيطان وكيف يحاول سلب الإيمان مـن الانسان عند موته، هل يتمثل له بصورة معينة أم ماذا؟.

الجواب: في الحقيقة قد شرح القرآن الكريم أنواع أفاعيل وأفعال الشيطان والشياطين بالنسبة للإنسان وفي عمومها كالأز والمس والوسوسة وماشابه ذلك، فهي تتخذ على كلام ربما قد بيّنها القرآن الكريم إلى ثمانية أو أكثر من الأفعال التي يمارسها الشيطان مع بني آدم، وعموماً من اخطر ما يمارسه هو أيحائاته الجحوذية والكفرانية والتمردية لأنعم الله والرضا بقضاء الله وقدره.

فيثير السخط لدى الانسان ـ والعياذ بالله ـ والنقمة وعدم الرضى وحالة الانزعاج عن مقادير الله عزوجل وإثارة سوء الظن بالله عزوجل ومن هذا القبيل، يعني بعبارة أوضح خلق علاقة في العداوة بين الانسان وبين الباري تعالى عبر سلسلة من الخواطر وسلسلة من المعاني وسلسلة من مساوئ الظن وسلسلة من اليأس، ولذلك كما يعبر القرآن الكريم ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾[1]، دائماً حالة التشاؤم وحالة اليأس وحالة الشر والتركيز بها والسخط، وبالتالي تثير لدى الانسان السخط والنقمة وعدم الرضى بقضاء الله وقدره، وبالتالي يصبح لدى الانسان حالة تمرد وحالة رعونة اتجاه الباري بدل أن تكون حالة ليونة وحالة طوعانية وخضوع وانقياد، شبيه بما لو مرّ الانسان بحالة مرض عصيبة جداً ولا تظن حالة موت حالة مرض عصيبة أو ابتلاءات شديدة جدا هنا تتزلزل أتزان والتزام النفس وربما تعرض على نفسه خواطر شيطانية شديدة هي باعثة على سوء الظن بالله (عزوجل) والعياذ بالله وبالتالي على خراب العلاقة التي بين قلب الانسان وروحه وبين الباري تعالى.

---

(١) البقرة: ٢٦٨.

المحاور: إنا أريد أن أقف عند هذه النقطة بالذات وما ذكرتموه من عبارة خواطر شيطانية، يعني هل يمكن القول أن حديث النفس هي أفكار معينة تمر على الذهن بحيث يكون منشأها الشيطان في الواقع، يعني الشيطان الذي يجري من بني آدم أو من ابن آدم مجرى الدم في العروق كما وردت في الأحاديث النبوية، هل المقصود هو هذا يعني انه يوجد خواطر وأفكار معينة عند الانسان؟.

الجواب: في الحقيقة كثير ما نسميه خواطر وأفكار هي ليست معاني ولا أفكار، وإنما هي كلام أثيري نسمعه نحن بإذننا الحسية من الشيطان.

المحاور: يعني بالحس مثلما نسمع باقي الأصوات؟.

الجواب: يعني المقصود ليس كما نسمع الصوت بالأذن البدنية الجسمانية التي توصل ذلك إلى الأذن الحسية التي هي الحس المشترك في الروح، بل لا ريب أن بين الصوت الشديد في الذبذبة الموجبة والصوت الخفيف موجبا" هناك فارق، مثل ما لو كان الانسان يقرأ قراءته بالجهر غير قراءته بالأخفات وغير قراءته بالقلب فهذه قراءات لكن على مستويات ودرجات متعددة.

المحاور: كذلك وسوسة الشيطان؟.

الجواب: نعم، في وساوس الشيطان صحيح ليس هو صوت وجهاز وذبذباب هوائية وماشابه ذلك، ولكن هي أثيرية كما هو الحال في الطاقة الخفية فبالتالي ذلك الكلام والخواطر نحسبها نحن ربما خواطر أو أفكار أو معاني منبعثة من ذهننا أو من ذاكرتنا أو من تجاربنا العلمية أو غير العلمية أو ما شابه ذلك، لكن هي في الحقيقة مجرد كلام، معانيها في أذهاننا وهو يرانا من حيث لا نراه ربما يرى نقاط ضعف صفاتنا النفسانية وماشابه ذلك، فمن ثم يحرك جوانب أو يضغط على جانب ضعف صفاتنا في قوانا النفسانية وبالتالي تهيج تلك وتصبح حالة تمرد في عموم مملكة النفس.

المحاور: إذن هذا قانون (يرانا من حيث لا نراه) وإنما يبث فينا بعض الأفكار والوساوس تصدق على حالة العديلة أو سلب الإيمان من الانسان عند الموت يعني لا يتمثل للإنسان بصورة معينة؟.

الجواب: قد يتمثل فهو يتخذ كما ذكرت أفعال من أنماط ثمانية ذكرت في القرآن الكريم.

فمنها: الهمز كما في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾[1]

ومنها: النزول على الأفاك (أي الكذاب المفتري) الآثم كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[2].

ومنها: الاستهواء كما في قوله تعالى: ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾[3].

ومنها: النزع كما في قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنْ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾[4].

ومنها: المس كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنْ الشَّيْطَانِ﴾[5].

ومنها: الأز كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَى أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾[6].

ومنها: الإلقاء كما في قوله تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾[7].

ومنها: الإيحاء كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[8].

---

(١) المؤمنون: ٩٧.

(٢) الشعراء:٢٢١–٢٢٢

(٣) الأنعام: ٧١

(٤) الاعراف: ٢٠٠.

(٥) الاعراف: ٢٠١

(٦) مريم: ٨٣.

(٧) الحج: ٥٣.

(٨) الأنعام:١٢١.

وربما هي اكثرمن ذلك، فهو يتخذ إشكال وألوان مختلفة ولكن تصب في النهاية إلى إثارة معاني وأفكار وإذعانات مغلوطة كاذبة تجاه علاقة العبد مع ربه في زعزعتها وإثارة السخط والرعونة والعياذ بالله تجاه الله.

إذا مات أبن آدم...

المحاور: فيما يرتبط بقضية الحديث (إذا مات ابن آدم قامت قيامته) ما معنى هذا الحديث؟.

الجواب: في الحقيقة إن هذا الحديث يعطي أن مظاهر وآثار القيامة تبدأ لدى الانسان منذ مماته، حيث انه يلاقي شيئاً من جزاءه أن كانت حسنة فحسنة وان سيئة فسيئة ـ والعياذ بالله ـ فيلاقي السوء في ذلك، فبالتالي أثار القيامة والحساب تبدأ في تداعياتها على الإنسان وحالاته منذ أن يموت، فكأنما يصفى حسابه أو يبدأ بإنجاز حسابه من ثم تظهر أثار ظلية قد يعبر عنه في المصطلحات العلمية بأثار شفافة مرققة تبدأ من يوم موت الانسان، ففي الواقع الموت هو القيامة الصغرى، فلذلك عبر في النصوص الواردة عن النبي ﷺ عن القيامة بالقيامة الكبرى مما يدل على أن هناك قيامه وسطى وقيامة صغرى وقيامه كبرى، وهلم جرى، كما ورد التعبير عن ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) وعند دولة الرجعة بأنها قيامة وسطى، وعن ظهور المهدي بأنها قيامة صغرى وموت الانسان قيامة فردية له وهلم جراً.

إلقاء النفس في التهلكة

المحاور: ما هو حكم عدم مراعاة الاحتياط في أمور تسبب الموت أو قد تسبب الموت، مثل قيادة السيارة بسرعة عالية، هل هي من مصاديق الانتحار أم أن لها علاقة معينة بقضية القضاء والقدر؟.

الجواب: في الحقيقة إلقاء الانسان نفسه في التهلكة لا يخرج ذلك من نوع من الانتحار ولا منافاة بين كون الفعل اختيار من الانسان ومقدر في القضاء والقدر، وكتابة الأمر في القضاء والقدر لا يوجب كون ذلك الفعل جبرياً أو أن الانسان ملجأً عليه، لإن لا منافاة بين علم الله في قضاءه وقدره وبين اختيارية أفعال الانسان وصدورها عن اختيار وإساءة الاختيار وإساءة التعبير ترجع اللائمة على الانسان نفسه.

المحاور: يعني عدم مراعاة الإحتياط يصدق عليها نوع من إلقاء النفس في التهلكة؟.

الجواب: طبعاً الاحتياط في الأمور الخطيرة والهامة شأنه يكون بنحو العزيمة مع معرفة الانسان لحفظ نفسه ونفوس الآخرين في نظم الحياة المعاشية في جملة من الموارد الخطيرة، لا يمكن، فرضاً مثل قائد الطائرة هو أدنى زلة أو غفلة أو إهمال تختلف عن بقية أعضاء المجتمع في تصرفاته لأنه مرتهن بعمله حياة مئات النفوس من ركاب الطائرة، كذلك في الحقيقة كل من يتولى موقعاً في النظـــام الاجتماعي سواء المهني أو السياسي أو الأمني أو العسكري، زلته قد تذهب فيها أرواح وضحايا أبرياء كثيرين فمن ثم اليقظة والحيطة وشدة الحفاظ تشتد أكثر وأكثر.

عالم البرزخ

المحاور: ما معنى ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: ((والله ما أخاف عليكم إلا البرزخ وأما إذا صار الأمر إلينا فنحن أولى بكم))[1]، وقوله بان شفاعة أهل البيت عليهم السلام لا تشملهم في هذا العالم؟.

الجواب: عالم البرزخ وهو نص الآية الكريمة: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[2]، عالم يبعث فيه بني آدم من بعد مماتهم حيث تبعث أرواحهم في أجسام ظلية كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام صور بلا مواد، يعني بلا مواد غليظة هي التي تتعلق بها أرواحهم في دار الدنيا وكما ورد في بعض الروايات التي رواها الفريقان عن النبي صلى الله عليه وآله: ((والذي بعثني بالحق لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون وما بعد الموت دار إلا جنة أو نار))[3].

فبين الحديث النبوي الشريف أن البرزخ نوع مسانخ ولون مقارب إلى الحالة المنامية وفي بعض الروايات الأخرى أن قوم بعض الأنبياء سأل نبيهم عن البرزخ والآخرة وما يدعوهم إليه فطلب من الله عزوجل أن يريهم آية يتعرفوا بها على الآخرة وما شابه ذلك فاحدث الله المنام للبشر رؤيا المنامية لم تكن في سابق عهد من أوائل خليقة البشرية بعد ذلك استحدثت نتيجة طلب قوم ذلك النبي فيدلل الحديث على أن ما يراه الإنسان من حالات منامية لاسيما الرؤى الصادقة هي تمثل طبيعة برزخية أخروية يستطيع الانسان من خلالها أن يتعرف على شؤون عالم البرزخ بذلك، وأما مورد أن شفاعتهم عليهم السلام لا تنال المؤمنين في البرزخ نعم فإن مضمون هذه الرواية وربما روايات متعددة بهذا المضمون وهذا أن كان فهو يمثل حالة غالبية وقاعدة عامة، طبعاً لكل قاعدة لها خصوص واستثناءات ولكن ظاهر الحديث أن الحالة الغالبة هي عدم نيل الشفاعة في البرزخ، لذلك الانسان

---

(١) نور الثقلين ج٣: ٥٥٣.

(٢) المؤمنون: ١٠٠.

(٣) البحار ج٧: ٤٧، ح ٣١.

يجب أن يوقي نفسه عن الوقوع في المعاصي والمخالفات وحينئذ التعاون والسير في صرامة التقوى والطاعة وما شابه ذلك في أمور سبل الخير، هناك روايات أخرى تدلل على انه نوع من الشفاعات تنال المؤمن في البرزخ ولكن بسبب أعمال خاصة معينة، مثلاً لدينا روايات انه من صلى صلاة الرغائب فان تلك الصلاة تأتيه في أول ليلة من ليالي القبر وتدفع عنه وحشة معينة من القبر أو انه لو صلى صلاة الوحشة للميت فإنها تبعث إليه في ظل نوع من البهجة والسرور، ووردت أعمال خاصة وبسبب تلك الأعمال الخاصة لمن يأتي بها ينال نوع من التخفيف أو رفع نوع من العذاب عنه، مثلا حسن خلق المرء مع أهله وعياله وأسرته فان هذا يوسع في قبره ومن هذا القبيل ورد عن الجزاء البرزخي الكثير من الأعمال، أما بنحو الغالب بغض النظر عن هذه الأعمال الخاصة التي أشرنا إليها، هناك قاعدة غالبة عامة أن شفاعتهم عليهم السلام إنما تفعل وتعمل في يوم القيامة عند الحساب في الآخرة.

المحاور: هل يمكن القول بأن البرزخ في الواقع هو أشبه ما يكون بمرحلة تطهيرية للمؤمنين، يعني مثل ما ورد في ما يرتبط في سكرات الموت وشدة النزع انه فيه نوع من التطهير للمؤمنين كذلك يكون البرزخ له هذه الخصوصية؟.

الجواب: في الحقيقة البرزخ هو على طبقات ومراتب ومن ذوي درجات الإيمان من لهم أنشطة وأدوار يقومون بها وهم في البرزخ، ففي جملة من الروايات أنه توكل لهم وظائف وأمور، والآن أكتشف في العلوم الحديثة الروحية الأثيرية من خلال الاتصال مع جملة من أهل البرزخ عبر وسطاء روحيين كما هو عندهم، لذلك نظام وبرنامج ونتائج هم اقروا وأذعنوا بها أن جملة من الأموات من أهل الخير والصلحاء وما شابه ذلك يكون لهم نوع من الرعاية مع الأحياء عبر التخاطر والإلهام وما شابه ذلك، مما يدل على أن هناك ادوار يقوم بها الميت في البرزخ في رعاية وتربية وإدارة الشؤون بطريقة روحية إلهامية في العقل الباطن للأحياء.

المحاور: كيف يرتبط أهل البرزخ مع أهل دار الدنيا؟.

الجواب: أصل ارتباط أهل البرزخ بأهل الدنيا قد وردت فيه روايات عديدة دالة على وجود مثل هذا الارتباط سواء عبر الرؤيا أو عبر ربما ألوان أخرى من الارتباط.

المحاور: هل تقصدون رؤية الأحياء مثلا للأموات في عالم الرؤيا؟.

الجواب: نعم، رؤيا المنام بأعتبار نفس الرؤية المنامية بالنسبة إلى الحي هي حالة نمط من البرزخ فيتم الارتباط بين أهل الدنيا وأهل الآخرة من هذا الطريق، وكم هناك من شاهد صدق قد شهدته البشرية في ذلك.

المحاور: عند جميع الأقوام، يعني لا يختص مثلاً بملة معينة أو أهل دين معين، من جميع الأديان من جميع الملل يقرون بان الرؤيا هي حالة غير عادية من الارتباط مع الأموات؟.

الجواب: نعم مع أهل البرزخ، وعلى ذلك فهناك ألوان أخرى بالارتباطات حتى أثبتتها العلوم الروحية الحديثة، من قبيل الإلهام ومن قبيل التخاطر وما شابه ذلك، فهذه أمور كلها مسجلة الآن ومشاهدة ومجربة ومحسوسة، وأما قضية تسلط الحي في جذب وجلب روح الميت فهذا الأمر في غالب من يدعي هذا الشأن، وهو من قبيل النصب والحيلة والشعوذة مع الجن والشياطين والشعبذة، وإن كان هذا الارتباط ممكن وغير منفي، وربما هناك نوع من المغنطة والجاذبية الروحية تقع بين الحي والميت هذا ما لا يمكن نفيه، كيف وقد وردت الروايات المستفيضة في زيارة أئمة أهل بيت النبي ﷺ هم يسمعون كلامنا ويشهدون مقامنا ويردون سلامنا إلا أننا لا نسمع كلامهم بل فتح الله باب فهمنا بلذيذ مناجاتهم، فإذن هناك نوع من الارتباط في هذه الموارد.

المحاور: حول شفاعة الأئمة عليهم السلام عند سكرات الموت وعند البرزخ ما المراد من الأحاديث الشريفة التي تقول وتخاطب المؤمنين: ((والله ما أخاف عليكم إلا البرزخ، وأما إذا صار الأمر إلينا فنحن أولى بكم)). فما هو المراد من هذه الوصايا؟.

الجواب: إن درجات الأعمال مختلفة، مثلاً العقائد والصفات الحسنة كما يقول بعض المحققين منهم المحقق الشاه آبادي ربما جزاءها يتجاوز حتى الجنة وبعض الصفات الحسنة أو لا سمح الله الرديئة جزاءها هو الجزاء الأخروي، وبعض الأعمال التي هي لم تصل بحد الصفات ولا بحد المعارف العقدية والاعتقادات التي ترسخ قلب الانسان عليها الذي

هي مجرد أعمال عابرة ومجموعة تراكمية من الأعمال المعينة، هذه آثارها وجزاءها حسب جملة من الروايات وحسب النصوص الواردة جزاءها يكون برزخياً، من ذلك يتضح ما ورد عنهم مستفيضاً أن شفاعتهم في الآخرة وفي عرصات يوم القيامة، وان في البرزخ ربما لا تمتد شفاعتهم أو لا يؤذن بأعمالها في البرزخ بصورة عامة، وان كان لكل قاعدة عامة استثناءات وخصوصيات كما قد شوهد ذلك في مشاهدات ومكاشفات مع أهل البرزخ من الموتى.

المحاور: إذن طريق الشفاعة ليس منقطعاً بالكامل فشفاعة أهل البيت حتى في البرزخ؟.

الجواب: بالضبط وإنما الحالة العامة والحالة الطبيعية أن رحاب الأعمال ما لم تتكون صفات وقناعات قلبية هو برزخي، وفي الواقع تلك الأعمال التي وقعت من المؤمنين مثلاً المحبين لأهل البيت إذا لم تكن في الجادة الشرعية فهي ليست مشايعة لأهل البيت، تلك الأعمال السيئة لم تصب في مسار التشيع لان مشايعة المتشيع وهو الإمام أو الأئمة يتبعه في كل قضية، وبالتالي تلك الأعمال حيث لن تقع في صراط الانقياد والمتابعة للأئمة عليهم السلام بالتالي فهو خارج عن ولايتهم، فيلاقي الانسان جزاءه بخلاف ما أحبه واعتقده من آل البيت من صفاتهم الكريمة وبما تكونت له بسبب محبة وولاية ومعرفة أهل البيت عليهم السلام فهذا الاختلاف بين جزاء العقائد والصفات وبين الأعمال أيضا يفسرها البحث والميزان العقلي، وهذا ليس بنحو عام، بل هناك حالات استثناء، وهي ربما في الواقع ترجع إلى الأعمال والصفات الراجعة إلى مشايعة ومتابعة أهل البيت فتغلب تلك الصفات الحسنة والأعمال الحسنة تلك السيئات في الأعمال وبالتالي ينال الشفاعة بالجملة أو بنحو استثناءها في البرزخ.

المحاور: هل يمكن القول وما تفضلتم به أن حضور مودة أهل البيت عليهم السلام في البرزخ، يكون في الواقع هو نوع من الإعانة ومصداق الشفاعة في البرزخ هو حضور الأعمال الحسنة التي قام بها تمثلاً بأهل البيت ومودة أهل البيت (سلام الله عليهم) تكون مرافقة له في البرزخ؟.

الجواب: نعم هذا نمط من ألوان الشفاعة، فعن أبي بصير عن أحدهما (عليهما السلام) قال: ((إذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره ستة صور، فيهن صورة أحسنهنّ وجهاً، وأبهاهنّ هيئة، وأطيبهنّ ريحاً، وأنظفهنّ صورة، فتقف صورة عن يمينه، وأخرى عن يساره، وأخرى بين يديه، وأخرى خلفه، وأخرى عند رجله، وتقف التي هي أحسنهنّ فوق رأسه، فإن أتي عن يمينه منعته التي عن يمينه، ثم كذلك إلى أن يؤتى من الجهات الست.

قال عليه السلام: فتقول أحسنهنّ صورة: ومن أنتم جزاكم الله عني خيراً؟

فتقول التي عن يمين العبد: أنا الصلاة، وتقول التي عن يساره: أنا الزكاة، وتقول التي بين يديه: أنا الصيام، وتقول التي خلفه: أنا الحج والعمرة، وتقول التي عند رجليه: أنا بِر من وصل إخوانه. ثم يقلن: من أنتِ، فأنت أحسننا وجهاً، وأطيبنا ريحاً، وأبهانا هيئة؟. فتقول: أنا الولاية لآل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين)))[1].

فهذا احد الأنواع من الشفاعة والارتباط.

المحاور: ملاحظة أخيرة، هل يمكن القول أن المقصود من هذه الأحاديث ـ انه لا شفاعة في البرزخ ـ حث المؤمنين على أن يكتسبوا في الدنيا ما يعينهم على حياة البرزخ؟.

الجواب: لا ريب في ذلك، لأنه فيه نوع من الحث وعدم التغرير، فقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام وهو يوصي جابر بن بزيد الجعفي: يا جابر بلّغ شيعتي مني السلام واعلمهم أنه لا قرابة بيننا وبين الله (عزوجل) ولا يتقرب إليه إلا بالطاعة، يا جابر من أطاع الله وأحبنا فهو ولينا ومن عصى الله لم ينفعه حبنا)[2].

فلابد منهما معاً جناحان، العمل والمودة، والمودة تدعو إلى العمل كما يسمى الشيعي شيعي لأنه شايع أهل البيت في المعرفة والولاية والعمل، ولو انه خالف وعصى ربه فقد نبذ تشيعه وبالتالي في عمله.

---

(١) البحار ج٦: ٢٣٥، ح ٥٠.

(٢) أمالي الشيخ: ٤٤٦.

المحاور: على ضوء ما تفضلتم به في الأسئلة السابقة من وجود عوالم أخرى سابقة لهذا العالم، وأشرتم إلى تسبيح المعصومين (سلام الله عليهم)، هل يمكن أن يحمل الخلق على الخلق في عالم الدنيا وفي الإمتحان قد يكون في عوالم سابقة لهذا العالم؟.

الجواب: نعم طبعاً يمكن أن يحمل، ولكن بأعتبار أن الخلق يطلق على عالم الذر أيضا ويطلق على نوع من العالم المادي المتقدم على عالم الدنيا وربما يطلق على عالم الأرواح بأعتبار عالم الأرواح لم يعبر عنه بالخلق إلا بالنوع العام كما في قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾[1] وعالم الأمر عالم إبداع كن فيكون.

المحاور: يعني على ضوء هذا الإبداع وعلى ضوء هذا التقسيم يمكن أن يكون الامتحان في عالم الأمر؟.

الجواب: قبل عالم الخلق، قابل لان يجد له تفسيراً ولكن ذلك التفسير الأخر لابد من فرضه أيضا.

المحاور: في الواقع هذه العبارة تبين سمو مقام الصديقة الزهراء (سلام الله عليها) والمراد منه انه مقام أهلية الصديقة الزهراء للمقامات التي أعطيت لها من قبل الله تبارك وتعالى.

الجواب: هذا في الواقع هو بعينه منطلق لتفسير العصمة أبداه الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) والإمام الصادق عليه السلام في دعاء الندبة، أن العصمة ليست جبرية كسبية وليست تفويضية بسببية كما هي وهبية اختيارية، يعني على ضوء ما يعلم الله من استقامة اختبار الأصفياء الأولياء المنتجبين يهبهم تلك العصمة.

المحاور: البرزخ من اهم العوالم بين الدنيا والآخرة أن صح التعبير، هل يحصل للإنسان تكامـــل وبلوغ مراتب أعلى خلال عيشه في عالم البرزخ؟.

الجواب: نعم قد أشير في الروايات أن في البرزخ نحو تكامل وغاية الأمر أن مسير التكامل في البرزخ لا يتصور انه نمط المسير والحركة في أعمال وأفعال الانسان في دار الدنيا، لا

---

(١) الأعراف: ٥٤.

ريب انه يختلف من أنماط معينة، بعبارة أخرى ربما نقول أن درجة نمط اختبار هناك يختلف حتى عن نمط الاختبار هاهنا الاختبار في عالم الذر وعالم الأصلاب وعوالم سابقة وعوالم الميثاق تختلف عن نمط الاختبار في هذا العالم وان كان...

المحاور: ما معنى الاختبار هنا في عالم البرزخ والأحاديث صريحة بأن الانسان بعد موته ينقطع عمله إلا من ثلاثة صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعوا، فما معنى الاختبار هناك وعمله قد ينقطع، يعني في البرزخ لا يستطيع أن يقوم بعمل؟.

الجواب: نعم في هذا النمط من الاختبار في دار الدنيا الذي يؤثر في حسم مصير الانسان، الاختيار هو النمط الحاسم لمصير الانسان وهو في دار الدنيا، ولكن هناك أنماط من ألوان أخرى من الاختبار في عالم البرزخ، هي في الواقع استزادة لطريق المصير الذي اختاره الانسان لا سيما في جانب التكامل.

المحاور: من الانسان نفسه، أو من الذي يرتبط به، مثلاً عائلة المتوفى، أو عمل صالح كان قام به في الدنيا وكانت أثاره مستمرة في البرزخ؟.

الجواب: هذا يؤكد أن هناك نمط من التكامل للإنسان، وانه حتى لو ذهب إلى تلك الدار فإنما أسسه من الأعمال السابقة، ويظل يرفده بالكمال والتكامل مما يدل على وجود نمط التكامل، ورد أن المؤمنين في قبورهم يعلّمون القرآن ويعلّمون العلوم وماشبه ذلك فيتكاملون عندما يحين وقت الجزاء بأعتبار أن الجزاء في كل درجة بحسب معرفة الانسان لكل آية من القرآن الكريم وغيرها من الروايات التي وردت.

المحاور:، سؤال فرعي ولكن يبدو انه مهم وفي جنبة عملية، وهي كيف يهيأ الانسان نفسه قبل الموت لمرحلة التكامل في البرزخ، بحيث يكون ممن يستمر تكامله وقربه من الله تبارك وتعالى وهو في عالم البرزخ؟.

الجواب: في طليعة ذلك المعرفة الحقة والتوسع في المعرفة الحقة والإيمان، وثم من بعد ذلك تأتي النية الصالحة نية الخير وهي: ((إنما الأعمال بالنيات))، فقمة الأعمال بالواقع هي في النية فإذا كانت النية موجودة وان كانت لم تتوفر لدى الانسان إمكانية انجاز تلك

الأعمال، إلا أن هذه النية بما لها من السعة وأنها تسع السموات والأرض هي تتكفل لان يعد الانسان نفسه أن يجود الله عليه بتلك الكمالات المنوية له وان لم يستطع أن ينجزها.

المحاور: يعني نية الخير تكون مستمرة في قلبه وينتقل بها إلى عالم البرزخ؟.

الجواب: نعم الأمر حساس، والخطب كبير بالنسبة إلى النية، صفات الانسان الرديئة ـ لاسامح الله ـ تحول دون أن ينوي الانسان نية الخير، مدى خطورة وعظمة وقيمة النية، في الواقع إنما يكترث بالعمل في واقع النية، صفاء النية ونفاذ النية واستقامة النية، أمر عظيم يأتي من ناحية النية، بل بالنية يستطيع الانسان أن ينوي كل الخير، وحينئذ يتساءل ويأمل أن يرفد ويجاد عليه بكل الكمالات في البرزخ بسبب مانواه من سعة تلك الخيرات ولكن من يوفق أن ينوي نية جادة تتعلق بكل الخير؟!. هذا يحتاج إلى صفاء الروح والقلب السليم، فضائل الصفات في النفس كي تتمكن النفس من النية الجادة المتعلقة بكل الخير وكل الخيرات.

المحاور: وحسن النية بالله تبارك وتعالى، يعني أن يحسن الانسان ظنه بالله تبارك وتعالى، ويسأله أن يرزقه القرب وما يقربه إليه في الدنيا وفي البرزخ، والله على كل شيء قدير؟.

الجواب: نعم هذه من فضائل صفاته التي تفتح الباب أمام تلك النية الدافعة للخير.

المحاور: الأرواح في عالم القبر والبرزخ هل تتلاقى؟ و كيف يكون هذا التلاقي مع الروايات التي تصرح بأن الانسان يقبر وحيداً في قبره؟.

الجواب: في الحقيقة أن الإقبار وان كان هو بداية الولوج في عالم البرزخ تكون هذه الحالة واقعة، ولكن بخلاف مآل الحال في المؤمنين كما يظهر من الآيات والروايات، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: ((لو كشف لكم لرأيتم أرواح المؤمنين في هذا الظهر حلقاً يتزاورون ويتحدثون، إن في هذا الظهر روح كل مؤمن))[1]، والظهر هنا هو وادي السلام، وفي رواية أخرى: ((لرأيتهم حلقاً حلقاً محتبين يتحادثون فقلت: أجسام أم أرواح، فقال: أرواح وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض إلا قيل لروحه: الحقي

(١) البحار ج٦: ٢٤٢، ح: ٦٥.

بوادي السلام وإنها لبقعة من جنة عدن))[١] حتى التعبير الوارد في الآية الكريمة ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾[٢] هذا دليل على حالة من الاجتماع.

المحاور: هذه خاصة بالمؤمنين أم عامة؟.

الجواب: في الحقيقة يظهر من الآيات أن هذه الحالة أيضا فيما بين المجرمين أو مع الهاوين، التعبير الوارد في الآية الكريمة ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ﴾[٣]، فيظهر أن هناك حالة التقاء واجتماع، قد تكون هي الوحدة والوحشة، نوع من الجزاء والتعذيب قبال ما أتاه الانسان من بعض الأعمال، هذه الأعمال ملحوظة في النص القرآني أو النص الروائي ولكن كحالة ثابتة ودائمة ليس كذلك.

المحاور: يمكن أن تكون في بداية الموت مثلاً، أو بعد الموت مباشرة تحدث هناك وحشة؟.

الجواب: نعم طبعاً هذا هو عموم طبيعة البرزخ لعموم طبيعة الفرد

البشري، وإلا كما مر بنا سابقاً، أن بعض المؤمنين أو المتقين يتجاوزون هذه العقبات من دون أن يمروا بها، بأعتبار أنهم مروا على عقبات امتحانيه في دار الدنيا ففازوا فيها، فمن ثم لا يمررون بها في حالات الاحتضار أو السوق إلى عالم البرزخ.

المحاور: هناك سؤال قريب من هذا المعنى أن الروح تلازم القبر بعد الموت، يعني تكون قريبة من المحل الذي دفن فيه البدن؟.

الجواب: الملازمة بمعنى الكينونة والمرابضة والمرابطة الدائمة، أو انه لا تنتقل إلى مكان آخر، وهذا المعنى ليس يراد نعم يكون للروح علقة بمحل الدفن والجسم والمثوى فإن بعض الروايات تدل على انه تنقل الأرواح كل يوم في ساعات كذا وترجع إلى مثواها كذا، مما يدل على انه نوع من العروج والهبوط موجود بلحاظ عالم البرزخ عالم أثيري خاص، لكن تكون للأرواح علقة وارتباط لمثاوي الأبدان.

---

(١) الكافي ج٣: ٢٤٣.

(٢) آل عمران: ١٧٠.

(٣) غافر: ٤٦.

المحاور: بالنسبة للروح وكونها مجردة، ما معنى هذا الانتقال، تعبير العلقة قد يكون هو الكاشف عن هذا المعنى الذي تفضلتم به يعني الروح متعلقة وغير محكومة بقوانين المكان؟.

الجواب: الروح حتى في دار الدنيا هي في عمدة عالي درجاتها مجردة عن المكان والزمان الدنيوي والبرزخي، ولكن مراتبها النازلة وقواها المتعلقة بالبدن الدنيوي تجعلها تشعر وتدرك أحكام المكان والزمان، وإلا فهي في ذاتها ﴿قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[1]، وكذلك في عالم البرزخ بأعتبار البدن البرزخي ذو طول وعرض وعمق وشبه ذلك، وله زمانه الخاص وله أمكنته الخاصة التي تتناسب مع ذلك العالم، أجسام لطيفة لذلك العالم وان كانت الروح في ذاتها ذات مراتب أعلى من ذلك.

المحاور: هل أن الميت يتذكر الأعمال التي قام بها في الحياة الدنيا، كيف ذلك وهي كثيرة؟.

الجواب: بالنسبة إلى مشهد الميزان والحساب وتطاير الصحف وما شابه ذلك، فهذا يسير على الله (عزوجل) للإنسان، وذاكرة أعماله المتمثلة في قوة خياله وذاكرته بل يشاهد بالتجربة الموارد الكثيرة التي تنتابهم وتطرأ عليهم بعض الحالات الروحية الشديدة والقوية، أو بعض من يمارس بعض الرياضات التي يقل فيها الأكل والشرب، ويكون هناك نوع من النزع والانشداد الروحي الشديد إلى أعماق الروح مما يسبب ذلك عود الذاكرة بذكريات ومشاهد حتى تعود إلى حالة الرضاع أو حتى تعود إلى حالة الحمل، بعض الأخوة الذي مارس أنواع من الطب المائي لمعالجة بدنه ولكن ما أن طرأت عليه حالات روحية عجيبة تعجب هو منها، مارس انقطاع الأكل والشرب، وان التداوي بالماء يعرف حالياً، واخذ يروج حتى في معالجة الداء الخبيث وهو داء السرطان، مارسه هو في بعده البدني ولكن تلقائياً أورث له حالات روحية شفافة جداً، لم تكن لديه في الحسبان بحيث حتى عادت لديه ذكريات ليست فقط الطفولة وفترة الرضاعة بل عادت إليه الذكريات حتى وهو في بطن أمه، كما يذكر ذلك علماء النفس والروح والحكماء

والبحوث العقلية، الروح ينطبع فيها المشاهد والصور بتوسط آلات الإحساس منذ أن تنفخ في بدن الانسان وهو في بطن أمه، بالتالي يستقطب الانسان في أعماق روحه وذاكرته كل هذه الأمور وتظل قائمة وراهنة في أعماق روحه، وان لم يكن يستطيع تذكرها بسبب انشداده إلى المعايشة اليومية بالمحيط الذي يعيشه الانسان، فتقل قوته على استرجاع اللوائح الروحية التي فيها انطباع كل ما مر عليه منذ نفخ الروح في بدنه، وإلا فأن الروح موجودة.

المحاور: هناك بعض الروايات تشير إلى قضية الإخفاء يعني أن الله تبارك وتعالى يخفي عن المؤمنين الأمور التي تسيئهم وفيما يرتبط بعوائلهم، على العكس بالنسبة للكافرين، لايخفي عنهم الأمور التي تكون مساوئ لهم، لكي تكون أيضا من مصاديق العذاب في البرزخ أو التنعم. مثل هذه الروايات هل يفهم منها أن الأساس أو الأصل هو اطلاع أهل البرزخ على أحوال أهل الدنيا وما يستثنى مثلاً بقيد آخر؟.

الجواب: الظاهر ليس الحال كذلك، لان عبر المشاهدات والروايات المذكورة في جملة من الحوادث وجملة من الوقائع، يظهر أن الاطلاع بحسب درجات الموتى، يعني بحسب درجته من القرب الإلهي وعلوه يمكن أن يطلع بشكل أكثر عن الأحياء، شوهدت أمور وموارد كثيرة في أمور حساسة بعض الأحيان في الظواهر الاجتماعية العامة قد لا يطلع عليها الموتى، وان كانوا من أهالي العلم والفضيلة أو من أصحاب الدرجات، هي في الحقيقة أمور نسبية.

المحاور: ولكن الأصل ثابت.

الجواب: نعم أصل الاطلاع بنسبة وبحسب درجات الموتى.

المحاور: ذكرتم أن ثمة بدن برزخي، والسؤال: هل أن هذا البدن البرزخي يحتاج إلى نوع من التغذية؟ هل يصيبه الهرم والشيخوخة ونظائر ذلك؟.

الجواب: المذكور في الآيات والروايات وكذلك هناك إشارات في الآيات، انه هناك نوع من التغذية في البرزخ للبدن البرزخي، ونوع من المواد قد تعد كالطعام بالنسبة لذلك البدن، وبالتالي له قدرة محدودة وهو ذو قدرة وذو حد ثم تنزف المادة هناك فتحتاج إلى تجديد وما شابه ذلك، هذا كله يظهر من الروايات، فعن إبراهيم بن إسحاق الجازي قال:

قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ((أين أرواح المؤمنين؟ فقال: أرواح المؤمنين في حجرات في الجنة، يأكلون من طعامها، ويشربون من شرابها، ويتزاورون فيها، ويقولون: ربنا أقم لنا الساعة لتنجز لنا ما وعدتنا))[1]، ويمكن أن يقرأ بقراءة عقلية حكمية أن الجسم البرزخي له مادة تناسبه وبالتالي تحتاج إلى نوع من التجديد ففي ذلك نفاذ وفي ذلك وفور وتمد بمدد، وعلى أية حال هذا أمر ملحوظ بصراحة في دلالات الآيات والروايات، وهو يقرأ بلغة حكمية وعقلية أن هناك مادة تختلف عن المادة الدنيوية وهي المادة البرزخية للجسم البرزخي، فلها نوع من التكامل ونوع من الحركة ونوع من الزيادة والنقصان، وإن كانت أحكامها تختلف عن مادة البدن الدنيوي حيث يعد ذلك الجسم صورة بلا مواد، فالمقصود هو بلا مواد غذائية دنيوية ترابية.

المحاور:وهذا لا يؤثر بأية صورة على تحقق استشعار الأذى للإنسان في عالم البرزخ بأعتبار أنها روضة من رياض الجنة للمؤمنين أو حفرة من حفر النيران يعني مهما كانت التركيبة فهذا الأمر متحقق؟.

الجواب: بلا شك، أن الجسم البرزخي أدوي أيضا، يعني له أدوات وهو بالتالي عبر تلك الأدوات ومن ثم التحسس والتلمس بأدوات الجسم البرزخي بنحو اشد من الجسم الدنيوي، وربما الواحد من أدوات وأعضاء الجسم البرزخي يمكن أن يتم بها الادراكات الخمس.

المحاور: كيف يعرف أهل البرزخ بعضهم بعضاً وقد تغيرت صورهم التي كانوا عليها في الحياة الدنيا؟.

الجواب: اختلاف صور أهل البرزخ عن صورهم وأجسامهم في دار الدنيا ليس بصحيح، وقد وردت الروايات في صور أهل البرزخ أنهم يعشون في صور ابدأنهم التي كانوا عليها في دار الدنيا، فعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((إن الأرواح في صفة الأجساد في شجرة في الجنة تعارف وتسائل فإذا قدمت الروح على الأرواح يقول:

---

(١) البحار ج٦: ٢٣٥، ح: ٤٩.

دعوها فإنها قد أفلتت من هول عظيم ثم يسألونها ما فعل فلان وما فعل فلان؟ فإن قالت لهم: تركته حياً أرتجوه وإن قالت لهم: قد هلك قالوا: قد هوى هوى))[1]. أو أن المؤمن يبعث بصورة اشد نورانية مما كان عليها في دار الدنيا بخلاف الكافر أو المنافق أو الفاسق فأنه يقتم لونه وتظلم روحه ويظلم جسمه، وهذا ما دعمته المشاهدات والرؤى التي تواترت من مشاهدة أهل البرزخ، وإنهم على إي حال يشاهدون بنفس الصورة التي كانوا عليها، كما يقول الإمام الصادق عليه السلام: ((... ولكن في أبدان كأبدانهم))[2].

المحاور: هل أن الكافر يعذب في عالم البرزخ والمؤمن ينعم، ((روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران))[3] فكيف يكون توجيه العدل الإلهي بالنسبة للكافر الذي مات قبل ألاف السنين والكافر الذي يموت قبيل يوم القيامة بقليل، والمؤمن الذي يتوفى قبل ألاف السنين والذي يتوفى قبيل يوم القيامة والبعث كيف يمكن توجيه هذه الحالة؟.

الجواب: أن النعيم و العذاب لا يعتمد في درجته على المدة الزمنية والكمية، بل هناك دلالات في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأحاديث المعصومين من أهل بيته، أن الكيفية أو الشدة والضعف هي أيضا من ضمن الدرجات المؤثرة في نوعية التنعيم والنعيم ونوعية العذاب والتعذيب، وربما يكون متأخراً ولكنه سابق من حيث الرتبة، في الدرجات، ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾[4] و﴿ثُلَّةٌ مِنْ الأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنْ الآخِرِينَ﴾[5] وان كانوا آخرين زمناً ولكنهم سابقون رتبة يتنعمون بدرجات عالية من حيث الكيف والموقعية لا سيما وان البرزخ في جنب الآخرة ليس إلا قطرة في بحر قمقام.

المحاور: هل أن عامل الزمان في عالم البرزخ مشابه لعامل الزمان في عالم الدنيا؟.

---

(١) الكافي ج٣: ٢٤٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) البحار ج٦: ٢٠٥.

(٤) الواقعة: ١٠.

(٥) الواقعة: ١٣-١٤.

الجـواب: باعتبار كون البرزخ نوع من الوجود الجسماني اللطيف، فهناك له مقادير وحركات ومدة ومقدارية وعينية تناسب مع تلك المادة اللطيفة الأثيرية، وبالتالي لها مقياس وان كانت تلك المقادير غير منطبقة على المادة الغليظة. الآن في عالم الدنيا هناك مقادير ونسب زمانية مختلفة بشدة موجودة حتى في الأجسام الفيزيائية في دار الدنيا، مثلاً حركة النيترون والبروتون والمنظومة والذرة لها زمان معين، وشبه ذلك من حيث الصغر واللطافة تختلف من حيث الصغر واللطافة عن الأجسام الغليظة والكبيرة مثل الكواكب والمجرات، بالتالي الأزمنة والمقادير مقاييسها ونسبها تختلف اختلافاً شاسعاً بسبب لطافة وغلظة ونوعية المادة بحسب كل نسبة في العالم الجسماني.

المحاور: هل أن عالم البرزخ وما يجري فيه يختص بالمسلمين أم يشمل غيرهم من الملل الأخرى، سواء السابقين منهم أم المعاصرين؟

الجواب: في الحقيقة عالم البرزخ عالم لكل البشرية ينتقلون إليه ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، فهذه مراحل لا تختص بالمسلمين ولا بالمؤمنين بل بعموم البشرية الطالح منهم والصالح، وتختلف الحالات لاريب.

المحاور: يعني البرزخ وما يجري فيه سواء كان ((روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران)) يشمل حتى غير المسلمين أيضا؟.

الجواب: نعم، كما ورد في الروايات أن المستضعف الذي لديه قصور فكري في المعرفة، المعرفة التي تبين ما هي عقيدة الحق وما هي رؤيته ذلك يلهى عنه في الروايات، يلهى عنه إلى يوم القيامة حيث يمتحن حينئذ امتحاناً نهائياً يسجل به مصيره يذهب به إلى الجنة أو يذهب به إلى النار، ولكن يلهى عنه يعني لا يسجل عليه الحساب، وإنما يترك في حسب بيئته البرزخية وحسب ما أكتسبه من بصيرة الفطرة، أن كان في الخير يتنعم خيراً، وان في الشر فيؤاخذ مقداراً من شروره التي ارتكبها بحسب إدراك فطرته، شرعته وشريعته هي حدود اليسيرة والقليلة التي هي على أية حال استبصرها بتوسط فطرته، لان دين الإسلام هو دين الفطرة ينفلق من دائرة مركزية هي الفطرة ويتوسع بالإنسان إلى مدارات وآفاق

أوسع. بل حتى الغربيون ربما استطاعوا أن يوثقوها بحسب تجاربهم الروحية والوساطة الروحية التي يستخدمونها فهم شاهدوا الكثير من الشعوب الإنسانية التي ليست ذا ذهنية عن العقيدة والمنهاج، أنها تعيش حسب مكتسبات فطرتها الأولية في عالم البرزخ، وأما من عرف نهج ونجد الحق والخير وطريق الشر فذلك يحاسب حساباً شديداً، وبالتالي فمن محض إيمانه كفراً فذلك يحاسب لان بلغت درجته العقلية الحد الذي يقام عليه فيصل التميز والقضاء منذ موته.

المحاور: أشرتم في طيات حديثكم إلى أن قضية العوالم الأخرى يعني عوالم قبل عالم الدنيا وعالم ما بعد عالم الدنيا أيضا هي عامة وتشمل جميع البشر؟.

الجواب: نعم كعالم الذر، أو عالم الأصلاب، أو عالم الأرحام، أو عالم الأنوار، أو عالم خلق الروح قبل البدن وكذلك عالم الآخرة لا يختص بالمسلمين ولا بالمؤمنين وإنما يشمل عموم الناس، غاية الأمر كما مر في عالم البرزخ الحالات تختلف، طينة البشر والنشأة التي نشأت منها الروح تلك سواء نشأة مجردة أم نشأة بأي نوع نستطيع أن نسميها، تختلف فيها حالات وأصناف وأنواع البشر أن كانوا مؤمنين، أو كانوا غير مؤمنين ولكن عموماً يمرون بحالات مختلفة، نعم بالنسبة لبعض العوالم العلوية جداً نستطيع القول أن الأصفياء المصطفون من الأنبياء والمرسلين والأولياء والأئمة الهادين المهديين، أولئك كانوا في عوالم أعلى لم يشاركهم فيها احد، هذا يمكن القول به، وكذلك يصلون في المآل والمعاد إلى عوالم عليا أكثر لا يشاركهم فيها احد بهذا الاعتبار يصح الأختصاص وعدم التعميم، ونستطيع أن نقول أن هنالك فوارق نظير ما ورد أن جنة الجن دون جنة الإنس، وذلك لقصور المرتبة العقلية عند مخلوق الجن عن مخلوق الإنس بهذا الاعتبار يمكن القول بأن مراتب المخلوقات في الإنس أيضا هي نزولاً من عوالم علوية تختلف في بعض تلك العوالم القصوى في التعالي، ولا يكون هنالك اشتراك، وكذلك في المعاد وله درجات ما وراء الجنة وما فوق الجنة من رضوان ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ وما يسبح فيه بعض الخواص من الأولياء والأصفياء في بحور الجمال الإلهي والجلال الإلهي ونعم مختصة ببعض النفوس والأرواح دون كل الأرواح.

عذاب القبر

المحاور: هل عذاب القبر، يحدث في بداية دخول الانسان عالم القبر فقط أم يبقى مستمراً إلى يوم يبعث؟.

الجواب: عذاب القبر تارة يطلق ويعبر ويسمى عن مطلق حالة البرزخ، وتارة يراد بعذاب القبر مرحلة القبر إي مرحلة الموت الأولي، فمراحل الموت الاولى تسمى حالة القبر وعذاب القبر أن كان عذاباً أو نعيماً، ولكن بعد ذلك يطوي الانسان منازل أخرى في البرزخ، ففي الحقيقة نفس مرحلة القبر سواء من الضغطة أو عدم الضغطة وبداية الإنس بهذا المنزل الجديد، أو كيفية الموت، وكيفية الوضع في القبر كيفية حمل الجنازة، كيفية تعلق الروح في بداياتها، وكيف تنفصل الروح عن هذا التعلق وهو ثاوي في التراب، هذه تسمى مراحل القبر الاولى، بنحو اخص، وأخرى لمطلق فترة البرزخ يسمى عذاب القبر أو مراحل القبر أن عذاباً أو نعيماً، فمن هذه المراحل يراد من القبر مطلق البرزخ، فيجب التفكيك بين الاستعمالين، الآن نتناول المعنى الأخص وهو عذاب القبر في هذه المراحل، في الواقع هي المراحل الاولى والمنازل الاولى من ضغطة القبر أو هول المطلع أو هول الذهاب إلى القبر، هول تناول الآخرين لبدن الانسان وكيفية تغسيله بحيث روي في بعض الروايات عن سلمان الفارسي انه أراد أن يستطلع ما يجري على الانسان بعد مفارقة الروح البدن فعلمه النبي ﷺ ورداً وذكراً أن يذهب إلى المقبرة ويسأل فلان من الموتى، ومن مقطوعات تلك الحوارية التي جاءت بين الميت وسلمان الفارسي، هو أن الميت عندما يغسل بتوسط ذويه يشعر انه يغرق في بحور المحيطات ثم يرفع من تلك حالة الغرق، اذاً أحوال مهولة بحسب موقعية الإنسان ومنزله وإلا فأن هذه المراحل الاولى من القبر ربما بعض الصالحين لا يمرون بها ولا يذوقون شدتها، كما نقل عن الشيخ الاقا رضا الهمداني، وهو من الفقهاء الكبار ومن تلاميذ الميرزا الكبير، وكان يقطن سامراء المشرفة التي نعيش هذه الأيام في عزاء وفاجعة كبرى من جراء هذه الجريمة في هتك هذا البيت

الذي هو بيت من بيوت النبي ﷺ وهذا الحرم من حرم الله (عزوجل)، دفن الشيخ آقا رضا الهمداني عند الضريح الشريف، هذه رؤية من تلامذته بعدما مات بأشهر طويلة فسأله الرائي في الرؤية انه كيف وجدت الموت؟!. قال لم اشعر إلا أني قد نمت واستيقظت من النوم فخوطبت بأن هذه مفاتيح لهذا القصر فأذهب وعش فيه، ويقول ذهبت وعشت فيه، وبعد مدة مديدة عرفت أني قد مت وان هذا قصر في البرزخ، فنزع الروح وكيفية الذهاب به، كل هذه المراحل لم يحس بها نظراً للامتحانات التي كابدها وهو في حياته، فقد نقل انه رغم فقاهته وتربيته لجيل مهم من رجال الدين الكبار والمراجع الذين تصدروا زعامة الفتيا والمرجعية انه عاش في فقر مدقع جداً وفي زهد عجيب، كان يعيش في سامراء وعند جوار العسكريين (سلام الله عليهما) ولم يرزق من الذكور شيء وإنما رزق أربع أو خمس إناث، على أية حال كانت المعيشة ضيقة به وكان رغم ذلك برحابة خلقة وسعة صدره ومصابرته وإنتاجه العلمي الذي لا تزال الحوزات العلمية ترفد من كتبه في التحقيقات الرشيقة أو ماشابه ذلك فهو شدائد البرزخ مر بها وهو في الدنيا ولا يعاود امتحانه بها في أوائل ذهابه إلى البرزخ كما يقال في علم المعرفة هو قد طواها وهو في الدنيا، فهناك لاقى النعيم بمجرد نومة الموت.

التربة الحسينية

المحاور: ما فائدة وضع التربة الحسينية مع الميت وهل ينتفع بها الانسان وقد مات الجسد؟.

الجواب: مما لا ريب فيه أن التربة الحسينية هي حرز عظيم، وقد ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام أنها يندب وضعها مع الميت وتوجب تقليل العذاب على الميت، وقد ورد ذلك أيضا في العودين الخضروين من النخل عندما يضعوه مع الميت، وكما ورد في ترطيب قبر الميت بالماء، فعن الإمام الصادق عليه السلام في رش الماء على القبر قال: ((يتجافى عنه العذاب ما دام الندى في التراب))[1]، فكيف بتربة سيد الشهداء عليه السلام.

المحاور: كأن السؤال هو أن البدن بأعتبار انه ذهبت عنه الروح ولا يشعر بالألم وإنما الألم والعذاب في القبر والبرزخ متوجه إلى الروح وليس إلى البدن، فالجسد لا روح فيه فما هو وجه انتفاع البدن بالذات بالتربة الحسينية وبترطيب القبر وما إلى ذلك؟.

الجواب: في الحقيقة انفصال الروح عن البدن ليس انفصالاً كاملاً بل تظل هناك العلقة بين الروح والبدن وان كانت تلك العلقة لا تعم الحياة بالبدن ولا الحياة الدنيوية، ولكن هناك نوع من الارتباط بين الروح والبدن بل وحتى إذا تآكل البدن وبقيت تربته ورد في الروايات أن الطينة تكون من مادة لطيفة وهي بمثابة الزبدة للبدن، وللإنسان نفسه تبقى تلك الطينة وهي مادة لطيفة جداً من المواد التي لا تكون مرئية حتى بالعين المسلحة، ولكنها عبارة عن نتاج لهذا البدن وتلك تبقى في القبر حتى بعد ذوبان البدن تراباً وصيرورته رفاتاً مع ذلك تبقى تلك الطينة مما يدل على انه تبقى علقة باقية مستمرة وان لم تكن حياة دنيوية ولم تكن موجبة لدبوب الحياة في البدن ولكن علقة، ولذلك موضع قبر الميت مؤثر على هواجس روح الميت و سرور خاطره وماشابه ذلك، وهذا ما يدلل أكثر ويؤكد على نحو من العلاقة تظل بين هذا البدن الدنيوي أو مـا يتحول ويصير وبين الروح.

---

(١) الكافي ج٣: ٢٠٠.

وجعلنا من الماء...

المحاور: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[1] ذكرتم سابقا" بان هنالك نوع من الحياة للإنسان وفي العوالم الأخرى في عالم الذر وفي عالم الاظلة وفي عالم البرزخ والقيامة وما بعدها، فهل أن هذه الآية تصدق على جميع هذه العوالم، ومـا هي حقيقة الماء والمقصود به في هذه العوالم وخاصة في عالم الدنيا؟

الجـواب: ظاهر الآية عامة وظاهرها ليس مختصاً في حياة النشأة الدنيوية بل مطلق النشئات، ولكن الكلام يقع سواء في النشأة الدنيوية أو النشئات الأخرى، أن الماء هل المراد به هذا الماء الذي نشربه ونشاهده في النشأة الدنيوية أو المراد به العلم أو المراد به ماهية الأشياء، كما نعلم في اللغة العربية أن الماء أصله أنه ليس عندنا في اللغة العربية همزة أصلية، وإنما هي معتلة من الواو والياء وألف فهو من موها من ماهية الشيء أو هوية الشيء وما شابه ذلك، على أية حال هناك عدة تفسيرات في لفظة الماء كما في بعض الروايات.

المحاور: هل ترتبط هـــذه التفسيرات بالماهية من زوايا مختلفة؟.

الجواب: بالماهية أو بأسباب إفاضة الوجود، وبعض هذا الوجود الولاية عبرعنها بالماء فايضاً الماء بمعنى الولاية، وهذا مما يدلل على الحياة في النشئآت المختلفة مارة عبر سلسلة. بعضهم فسرها بالوجود والإيجاد، نعم الماء الذي نشاهده الان هو مظهر من مظاهر الماء الأصلي ولذلك ربما يقول قائل بان الماء أصلا موضوع في اللغة ليس لخصوص السائل الخاص الذي نشاهده بل لكل ما يقوّم الحياة.

المحاور: هذا مستفادة من الآية الكريمة أم أن هذا سابق لها؟.

الجواب: بالحاضر العصر اللغوي وبالتالي الآية واردة بالاستعمال بلحاظ المعنى الأصلي وروح المعنى لا بلحاظ المنسبق الحسي من لفظة الماء.

---

(١) الأنبياء: ٣٠.

المحاور: إذن حقيقة الماء في عالم الدنيا أيضا تكون ذات مراتب وليس في ذات العوالم؟.
الجواب: في هذه النشأة وفي تلك النشئآت يعني في هذه النشأة ليس المراد على التحديد الأصلي هو السائل الذي نشاهده انه دخيل في هذه الحياة، نعم قد ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام أن أصل الخلقة للعالم الجسماني ورد كما في نهج البلاغة ابتداء حتى خلق السماوات هو من الماء، وأيضا في الآيـــة الكريمة ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾[1] قبل أن يخلق السماوات والأرض، العرش كان على الماء ففي الروايات ((إن الرب تبارك وتعالى خلق الهواء، ثم خلق القلم فأمره أن يجري، فقال: يا رب بما أجري، فقال: بما هو كائن، ثم خلق الظلمة من الهواء، وخلق النور من الهواء وخلق الماء من الهواء، وخلق العقيم من الهواء، وهو الريح الشديد، وخلق النار من الهواء وخلق الخلق كلهم من هذه الستة، فسلط العقيم على الماء فضربته، فأكثرت الموج والزبد وجعل يثور دخانه في الهواء، فلما بلغ الوقت الذي أراده، قال للزبد: أجمد فجمد، فجعل الزبد أرضاً، وجعل الموج جبالاً رواسي للأرض، فلما أجمدها، قال للروح والقدرة سويا عرشي إلى السماء...))[2]، وخلق العرش من الهواء أن هذا السائل مظهر من مظاهر الماء الأصلي وإلا فالماء الأصلي هو على أية حال كما ورد في الروايات يشير إلى ذلك الماء في رؤية الرائي في المنام الذي يعبر بالعلم، أو مطلق الخير أو العلم بالذات.
المحـــاور: يعــني هــذا الأمــر يــصدق علــى عــالم الــبرزخ وعــالم الــذر أيــضا؟.
الجواب: نعم كل نشأة فيها حياة جعل الماء منشأ إيجادها وان كان كثير من المفسرين ربما قصروا لفظ الحياة في هذه الآية ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾، على النشأة الدنيوية، ولكن ظاهر الآية مطلق الحياة لكل كائن حي كان وفي إي كينونة من النشئآت.

---

(١) هود: ٧.
(٢) تفسير القمي: ٢٦٠

قراءة سورة الفاتحة وإهداء الأعمال

المحاور: لماذا اختصت قراءة سورة الفاتحة بالخصوص في مجالس العزاء وإهداء ثوابها للموتى؟.

الجواب: سورة الفاتحة قد وردت في القرآن الكريم أنها تعادل القرآن كله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنْ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾[١] آيات من سورة الحمد ضمت الكتاب كله كما جاء في الروايات فقراءتها بمثابة قراءة القرآن كله ولما فيها من تبرك والإشادة العظيمة من الشرع حيث ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: ((لو قرأت الحمد على ميت سبعين مرة ثم ردت فيه الروح ما كان ذلك عجباً))[٢]، لهذا فأن فضلها عظيم.

المحاور: بالطبع هذا لا يعني انحصار الثواب فيها مثل استحباب سبع مرات سورة القدر عند قبر الميت ولا يعني الحصر بها كما لها الأولوية دون الحصر؟.

الجواب: نعم دون الحصر بل هناك ورد أن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال: ((من مَرَّ على المقابر وقرأ قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة ثم وهب أجره للأموات أعطي من الأجر بعدد الأموات))[٣].

المحاور: ما يقوم به الانسان من أعمال خير يهديها إلى الموتى من صالحي المؤمنين عموماً أو من أرحامه، هل يمكن أن تهدى هذه الأعمال لأكثر من شخص واحد، وهل تنفع هذه الأعمال في رفع درجات الموتى المؤمنين أم أنها ترفع عنهم بعض العذاب أو تزيد في نعيمهم فقط؟.

الجواب: نعم قد وردت النصوص الشرعية الكثيرة عن النبي وأهل بيته عليهم السلام انه يسوغ إهداء الثواب لأكثر من ميت ولو أهداها لجميع المؤمنين الأولين والآخرين لصح ذلك.

---

(١) الحجر: ٨٧.

(٢) نور الثقلين ج١:

(٣) نور الثقلين ج٥: ٧٠٢.

المحاور: يعني تصلهم بنسب متساوية؟.

الجواب: هذا يعود طبعاً لفضل الله الكريم ونية العامل في عمله، بل انه قد ورد عما يزيد في ذلك في النيابة في الموارد المشروعة كالحج مثلاً لان إهداء الثواب تختلف صيغته الفقهية والكلامية عن النيابة، النيابة ليس فقط إهداء ثواب بل ذات العمل من الأصل يكون بنية تنزيل صدوره عن الميت فورد انه في الحج النيابي هو أن يستنيب عن ميت أو اثنين أو ثلاثة أو أكثر أو عموم المؤمنين، أقول المؤمنين من محبي أهل البيت عليهم السلام فهذا اذاً سائغ، والحاصل أن النيابة في العبادات أمر غير إهداء الثواب وإهداء الثواب صيغته أسهل مؤونة واخف وطأة وسائغ لكل عدد، وتحضرني لفتة من احد أهل المعنى يقول بين احد المؤمنين والمؤمن الآخر طلبة ودين من الحقوق الأخوية الذي كان الأخ الآخر مكبل بها هذا الأخ الآخر المديون لتلك الحقوق التي ربما ما راعاها لأخيه المؤمن، كان يطوف في البيت الحرام نيابة عن شيعة أمير المؤمنين عليه السلام فسبحان الله هذا الأخ الآخر رأى فيما يرى الرائي، انه هناك شخص نوراني مما يتصرف في إرادته وفي قلبه من حيث لا يريد عفا عن ذلك الأخ المؤمن ولما رجع من سفر الحج اخبره بذلك قال له كنت حينها أطوف نيابة عن شيعة أمير المؤمنين عليه السلام.

المحاور: الشطر الآخر من السؤال رفع الدرجات يعني أعمال الخير يمكن أن ترفع درجات المؤمنين المتوفين أو تزيد من نعيمهم في عالم البرزخ؟.

الجواب: هذه الحسنات شأنها شأن عمل الميت، لو كان عمل بها في حياته أن كانت له سيئات تمحوها وان لم تكن له سيئات فتزيد من حسناته ودرجاته، وقد يكون كيفية العمل بدرجة خالصة وراقية مقبولة بشدة عند الله عزوجل فيكون تبديل السيئات في آن واحد تبديلها حسنات ودرجات، وهذا يعتمد على العمل ودرجة خلوصه. فعن ورام أبن أبي فراس في كتابه، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا تصدق الرجل بنية الميت، أمر الله جبرئيل

أن يحمل إلى قبره ويقولون: السلام عليك يا ولي الله، هذه هدية فلان بن فلان إليك...))[١].

وذكر أيضاً المرحوم المجلسي عن المرحوم الشهيد الأول في الذكرى عن المرحوم الصدوق: ((... قال لأبي عبد الله عليه السلام: أيصلى عن الميت؟.

فقال عليه السلام: نعم حتى إنه يكون في ضيق فيوسع الله عليه ذلك الضيق، ثم يؤتى فيقال له: خفف عنك هذا الضيق بصلاة فلان أخيك...))[٢]

المحاور: وهل تستمر آثار هذه الأعمال إلى يوم القيامة؟.

الجواب: هذا يرتبط طبعاً مع نمط العمل لابد يدخر له ومدى آثار الأعمال الصالحة تختلف عن بعضها البعض، والأعمال الصالحة آثارها فقط برزخية وليست أخروية، وبعض آثارها في عرصات يوم القيامة والصراط، وبعض آثارها في الجنة، وبعض آثارها كما ذكر المحدث الشاه آبادي (رحمة الله عليه) آثارها ما فوق الجنة، آثارها ورضوان من الله اكبر من الجنة.

المحاور: هل الميت يعلم أو يسمع من يقرأ شيء من القرآن عند قبره، أم أن الأمر مرتهن بقضايا أخرى؟.

الجواب: يعني عند زيارة الحي للميت؟.

المحاور: نعم يعني عند زيارة مقصودة أو غير مقصودة، عند قبر الميت جماعة يتحدثون أو يقرأون شيئاً، الميت قهراً يسمع لكلامهم أو انه إذا كانوا متوجهين إليه يسمعهم؟.

الجواب: الذي يتبين من روايات أهل البيت عليهم السلام وروايات سيد الأنبياء أن بنسبة معينة هناك اطلاع من الموتى عندما يزورهم الأحياء، فعن أسحق بن عمار عن أبي الحسن عليه السلام قال: ((قلت له: المؤمن يعلم بمن يزور قبره؟.

---

(١) وسائل الشيعة، ج٢: ٦٥٦، ح:٩، سفينة البحار ج٢: ٥٥.

(٢) بحار الأنوار، ج٨٨: ٣٠٩.

قال: نعم، ولا يزال مستأنساً به مادام عند قبره، فإذا قام وأنصرف من قبره دخله من انصرافه عن قبره وحشه))[١].

أما أن الموتى يطلعون على كل ما عند الأحياء فأن كانوا في قرب من مثاويهم وقبورهم أو بعد عنهم فهذا أمر آخر، ويشاهد من الروايات أنهم لا يطلعون على كل شيء وهذا في غير المعصومين، فقد ذكر المرحوم المجلسي عن أسحق بن عمار:... عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: سألته عن الميت هل يزور أهله؟.

قال: نعم. فقلت: في كم يزور؟.

قال عليه السلام: في الجمعة، وفي الشهر، وفي السنة على قدر منزلته[٢]. وفي بعض الروايات على قدر فضائلهم[٣].

أما في جملة من أوساط الناس من الموتى، فالظاهر أنهم لا يتمكنون أو لا تجري سنة الله على أن يطلعوا على ما عند الأحياء، وتختلف بنسبة معينة مايطلعون عليه.

---

(١) الكافي ج٣: ٢٢٨، الحديث: ٤.

(٢) بحار الأنوار ج٦: ٢٥٧، الحديث: ٩١.

(٣) المصدر السابق، الحديث ٩٣.

زيارة الميت لإهله

المحاور: في إي كيفية يزور الميت أهله، على أية حال زيارات متبادلة وما يقصده هنا يزور أهله بأعتبار انه ورد في بعض الأحاديث الشريفة انه يزورهم بهيئة طائر، فهل يرون هم هذا الطائر أم أن الأمر مجرد تشبيه؟.

الجواب: أن التعبير على تقدير وروده كطائر، المراد من ذلك وهو انه ببدنه البرزخي يحصل له نحو يتعلق بموضع أهله الذين هم فيه من بيتهم وماشابه ذلك، ولا يمنع من ذلك انه قد يتمثل لهم، إذ انه بأستطاعة أهل البرزخ أن يتمثلوا لأهل الدنيا، وهذا التمثل ليس من الضرورة أن يكون نوع من التكسب لمادة دنيوية، وإنما هو تمثل وارتباط بالعين البرزخية التي الأحياء يرون بها كما يقال انه كشف عن بصره لأنه في الحقيقة للإنسان عين وأذن ولسان في بدنه البرزخي، وهي التي يشاهد بها الرؤى المنامية، هذه هي قد تكون مفاعلة في اليقظة ويدرك بها الانسان مايجانسها من وجودات برزخية، وموجودات برزخية، وفي الحقيقة عندما لاينشغل الانسان بآلات حسه البدني الدنيوي بل وينشد إليها ويعزب عنها وهي ادراكاته التي هي بتوسط ذلك الجسم البرزخي، ومن ثم يستطيع أن يرى بتلك العين في حال اليقظة.

عالم رؤية الميت

المحاور: يسأل البعض إنه ارغب كثيراً أن أرى والدي في المنام في رؤيا صادقة، وقد دعوت الله مراراً ولكني لم أوفق لذلك رغم إنهما كانا من الصالحين فما هو سر ذلك؟

الجواب: هناك بعض الروايات قد وردت ذكرها المحدث الشيخ عباس القمي (رحمة الله عليه) في مفاتيح الجنان: ((عن الكفعمي في المصباح والمحدث الفيض، في خلاصة الأذكار، وجدت في بعض كتب الإمامية أن من أراد أن يرى في منامه أحد الأنبياء والأئمة عليهم السلام أو أحد الناس أو والديه فليقرأ: سورة الشمس والليل والقدر وسورة الكافرون وسورة الإخلاص والمعوذتين، ثم يقرأ سورة الإخلاص مائة مرة، ويصلي على النبي وآله مائة مرة، ولينم على وضوء، وعلى جانبه الأيمن، فإنه يرى في المنام من شاء إن شاء الله، ويتكلم معه إن شاء الله، ما شاء، ووجدت في نسخة أخرى أنه يعمل ما ذكر سبع ليالي بعدما يدعو بهذا الدعاء:

((اللهم أنت الحي الذي لا يوصف، والإيمان يعرف منه، منك بدت الأشياء وإليك تعود، فما أقبل منها كنت ملجأه ومنجاه، وما أدبر منها لم يكن له ملجأ ولا منجىً منك إلا إليك، فأسألك بلا إله إلا أنت وأسألك ببسم الله الرحمن الرحيم، وبحقّ حبيبك محمد صلى الله عليه وآله سيد النبيين، وبحق علي خير الوصيين، وبحقّ فاطمة سيدة نساء العالمين، وبحقّ الحسن والحسين اللذين جعلتهما سيدي شباب أهل الجنة عليهم أجمعين السلام، أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تُريني ميتي في الحال التي هو فيها))[1]. ولابد من التنويه بنقطة يجدر الالتفات إليها، وهي أن الرؤيا الصادقة فضلاً عن اقسام الرؤيا الأخرى ليست يعول عليها كمنبع ومصدر شرعي يستند إليه ولا حجة شرعية، وإنما الرؤيا الصادقة كما ورد في الروايات دورها كمنبه إلى تطبيق نفس الموازين التي

---

(١) مفاتيح الجنان: ٤٨٤ الباقيات الصالحات.

يتلقاها الانسان من الكتاب وسنة المعصومين، وعلى ضوء الكتاب وسنة النبي وأهل بيته يستهدي الانسان في طريقه، والرؤيا تنبهه إلى بعض البيئات الموضوعية التي ربما يكون غافل عنها سينتبه إلى آليات وأدوات هي في نفسها حجة شرعية يلتفت إلى الموضوع المناسب والحجة المناسبة، فأن الرؤيا مؤداها فقط تنبيه وهذا لابد للأخوة المؤمنين أن يلتفتوا إليه.

المحاور: يعني هي مؤيدات في الواقع وليست أصول، يقول البعض تحدث لدي حالات هي أنني أتذكر وقوع بعض الحوادث أو رؤية بعض الأشخاص، أنني قد رأيت ذلك الشخص أو تلك الواقعة في أحلام نسيتها ولم أتذكرها إلا عندما رأيت مصاديقها فما تفسير هذه الحالات؟.

الجواب: نعم هذه تحدث للكثير أن لم يكن اغلب الناس فأن روح الانسان لا سيما المؤمن تصاعد في منامه، وكما ورد في جملة من الروايات إلى جملة من السموات، وعلى أية حال يرى حينئذ ويفتح له أن يرى جملة بعض ما قد قدر له أو قضى في قضاء الله وقدره ومن ثم يذر في ذاكرة الانسان وكما يعبر في الثقافة الحديثة بالعقل الباطن للإنسان، يزرق تلك المعلومة وبالتالي يزود بها الانسان ليكون على استهداء ويقظة مما يجيء له من أمور، وهذا نوع من العناية من الله (عزوجل).

المحاور: بالنسبة لنسيانها، فلابد أن هنالك حكمة ومصلحة في نسيان هذه الرؤى وهذه الأحلام؟.

الجواب: هذا بالاصطلاح العلمي العقلي لايقال له نسيان، إنما هو نسيان التفاصيل ولكن أصل المعلومة بنحو مدمج مطوي في ذاكرة الانسان وفي عقل الانسان في أعماق ذاكرته أو ما في وراء الحواس التفصيلية، قد يقال عنه في العلوم الروحية الحديثة في العقل الباطن أو الذاكرة الباطنة الآن الكثير من الناس لديهم ذكريات وعلوم وذاكرة علوم وذاكرة تجارب ومهنة وماشابه ذلك، لكنهم لا يستحضرون هذا الأمر بالتفصيل ولكنه عند الحاجة وعند الارتطام بالبيئات المختلفة في الحياة ينتزعون تلك المعلومات من باطن ذاكرتهم الإجمالية بنحو مطوي اندماجي علمي في ذاكرتهم العلمية، ولكن المعلومات وجودها في الواقع على نمطين نمط اندماجي إجمالي وربما نمط تفصيلي.

صورة الميت

المحاور: قضية حشر الناس على بعض صور الحيوانات كما ورد في بعض الأحاديث النبوية، كيف ينسجم هذا مع المعاد الجسماني الذي يفهم منه أن الله يعيد نفس الإنسان بنفس حالته المفترض، فكيف يحشر على صورة حيوان هي بلاشك صورته في الحياة الدنيا؟ و هل أن حشر الناس يكون في مرحلة الشباب يعني وهم في عمر الشباب أم الشيخوخة؟.

الجواب: في الحقيقة قد وردت روايات في ذيل الآية الكريمة ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾[١] وغيرها من الآيات الأخرى أن هناك أناس من العصاة والمذنبين يحشرون بصور قبيحة يحسن عندها صورة القردة والخنازير، يعني تكون أقبح من صور القردة[٢] وقبائح الحيوانات، في الحقيقة هذه الصور هي نتيجة تجسم وتمثل أعمالهم كما في بعض الروايات الواردة أن صوركم في دار الدنيا ليست مثلاً باختياركم ولكن صوركم في الآخرة هي بموجب قرار الأعمال التي يبديها وينجزها الإنسان ومن ثم ورد عن رسول الله ﷺ: ((إن الله تبارك وتعالى لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم))[٣]، لان النوايا والأعمال هي صور الآخرة وهي ما سيكون عليه الإنسان من صور، إذن ما يحصده الإنسان من أشكال ومنازل ومقامات أخروية هي نتائج أعماله التي يتبناها ويلتزمها ويخوض فيها.

أما بالنسبة للإشكالية بأن لو حشر العصاة والمذنبين بصور ممسوخة أو ما شابه ذلك فكيف تكون وحدة شخصية محفوظة. هناك الوحدة والتشابه بين شخصيتهم وهويتهم في دار الدنيا ودار الآخرة، هذا الأمر ليس بكثير عضال لأنه سواء في جانب القبائح أو في جانب

---

(١) التكوير: ٥.

(٢) فقد روي عن رسول الله (ص): والذي نفسي بيده ليخرجن من أمتي من قبورهم في صورة القردة والخنازير بمداهنتهم في المعاصي، وكفهم عن النهي وهم يستطيعون. كنز العمال ج٣٠: ٨٣، الحديث: ٥٦٠٥.

(٣) ميزان الحكمة ج٦:٢٦٠١، الحديث: ١٦٩١٧.

المحاسن أن المطيعين والصالحين وأهل التقوى واليقين، ايضاً سوف يحشرون بصور جميلة جداً غير ما كانت عليه صورهم في دار الدنيا الظاهرية، مثلاً المعروف أن لقمان الحكيم كان شديد السواد لأنه من الحبشة فقيل إنه كان عبداً أسود حبشياً قبيح المنظر مشقوق الرجلين في زمن داود عليه السلام ((وقيل له: ما أقبح وجهك؟! قال: تعيب على النقش أو على فاعل النقش))[1]. وكان النبي داود عليه السلام يستأنس في ندامته مع لقمان بنحو منقطع النظير ولا يأنس بأحد من أهل زمانه كلقمان، المقصود أن لقمان كانت له تلك الموقعية وكان بذلك الشكل، يوم القيامة سوف يحشر بصورة بهية ومنظر رائق جميل، وهذا لا يعني التفاوت والتغاير والتباين في شخصيته، لان كما حقق في لسان الآيات والروايات والمباحث العقلية أن هوية الإنسان بروحه وشخصيته بنفسه، لابصورة بدنه فقط، كما نشاهد ألان الصغير عندما يكبر تتغير شمائله من مراهقة إلى شباب إلى عنفوان الشباب إلى الكهولة إلى الشيخوخة إلى أرذل العمر ومع ذلك هو، هو والوحدة في شخصيته وهويته منحفظة بتوسط روحه ونفسه ومن ثم الإنسان لو يشاهد من كان يافعاً صغيراً ويشاهده في شيخوخته، أو أرذل العمر ويلمس منه هويته أو شخصيته فيقول نعم هذا فلان، كما التفت إخوة يوسف مع انه تركوه صغيراً وشاهدوه كهلاً فقالوا انك لأنت يوسف.

المحاور: لكن بالنسبة للبدن يعني الصورة هنا صورة ظاهرية، يعني حقيقة البدن هو نفس البدن؟.

الجواب: مـا ورد في الآية الكريمة ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ المراد أن الباري تعالى لا يعجزه تسوية حتى البنان، لبيان القدرة الإلهية في الظرافة. والآن اكتشف علمياً أن في البنان أسرار كثيرة، فتحمل هوية الإنسان شخصيته الفسلجية الروحية أو ما شابه ذلك، ما في الآية الكريمة إشارة إلى سعة القدرة الإلهية، لا أن الإنسان

---

(١) البحار ج١٣: ٢٩٤.

لن يكون له نوع من التغيرات والتحولات التي تجري عليه بسبب إعماله ونتائج إعماله، كما أن الفارق بين صور الحيوانات وصور الإنسان المتحيون هو أن ذلك إنسان قرد وليس قرد محض.

المحاور: يعني إنسان بصورة قرد؟.

الجواب: يعني صورة فيها بعد إنساني ولكن للأسف تردى إلى أسفل السافلين فصار جنبة السبع أو القرد أو الخنزيرية فيه، فهو تركيب تراكمي دمجي، من ثم كثير من الممسوخين ممن وقع المسخ عليهم في دار الدنيا في الأمم السابقة، أهاليهم وعيالاتهم يلمسون منهم هويتهم، في حين هم شاهدوهم في الصورة الممسوخة، هذا يدل على انه هناك امتزاج وتركيب بين الشخصية الإنسانية المتسفلة والصورة الممسوخة والمتردية التي وصل إليها ذلك الإنسان، كما هو الحال والعكس في الصورة الإنسانية المترقية إلى الدرجات العالية، يرى تلك الهوية التي كانت عليها في دار الدنيا من شخصية روحه ونفسه ويرى ما وصل إليه من ترقي في الصور والكمالات وما شابه ذلك.

المحاور: يعني يعرف لقمان ولكن بصورة بهية. بالنسبة للشطر الثاني يحشرون شباب أم شيب اعتقد انه اتضح يعني بصورة تتناسب مع أعمالهم في الدنيا.

الجواب: وإنما أهل الجنة شباب يدخلونها شباباً.

كن فيكون

المحاور: القرآن الكريم ينص بأن أهل الجنة لهم فيها ما تشتهي أنفسهم، فإذا أرادوا شيئاً حضر عندهم فوراً، فهل أن هذا الأمر يمكن أن يتحقق في عالم الدنيا ايضاً طبق قانون عبدي اطعني تكون مثلي أقول للشيء كن فيكون وتقول للشيء كن فيكون؟.

الجواب: في الحقيقة هناك عدة تعاليم في المعارف الواردة من القرآن الكريم وسنة أهل بيته تفيدان المؤمن إذا ارتقى في درجاته من الكمال والإيمان يتصاعد إلى بعض الشؤون والحالات الأخروية والجناوية كما ورد مثلاً هذا التعبير النبوي [موتوا قبل أن تموتوا]، مما يدل على أن الإنسان يمكن أن يتجاوز الكثير من المراحل ويتعايش مع الكثير من النشآت اللاحقة وهو في سيره وسلوكه مع رعايته تقواه وأعماله وخواطره وسلوكه، فإذا بلغ تلك المنازل حينئذ تكون له نوع من الشؤون والكرامات والحبوات والعطيات الإلهية، طبعاً تلك العطيات ليس من الضروري أن تتجسم بمادة الدنيا، وقد يتعايش معها حتى وهي في نشأتها في عالمها يتعايش معها يدركها يتذوقها ويشهدها وتكون مشهودةً له، وهو على أية حال في ضمن قوة درجات روحيه وكمالاتها وبالتالي يتمكن من هذا المقام ولهم ما يشتهون.

المحاور: هذا فيما يرتبط في داخل اطر عالم الدنيا يعني تكون كن فيكون في الجنة وفي عالم الآخرة أسمى مرتبة من عالم الدنيا.

الجواب: هو بالطبع الحال كذلك لكن ليس المراد من وصول المؤمن أو المتقي أو أهل اليقين أو أهل الإخلاص إلى تلك الدرجات أن يوجد لهم مما يشاءون من مشيئة في ظل المادة الدنيوية، لان طبيعة المادة الدنيوية ليست هي قابلة للكمالات الأخروية، اذاً من غير الممكن أن تتحقق تلك المشتهيات وتنجز وهي مادتها وظرفها ذلك الصفاء في مادة الآخرة وجسمانية عالم الآخرة إلا أن تعايش المؤمن الذي وصل إلى درجات عالية كالمعصوم أن حقيقة مقامهم أنهم في مشهدهم الكثير من الشؤون من عالم الآخرة يخبرون عنها ولهم نوع تعايش معها.

مقام المعصوم

المحاور: على ذكركم للمعصومين عليهم السلام هل أن أئمة أهل البيت عليهم السلام تتسع حياتهم لتشمل منازل الدنيا ظاهراً والاطلاع على منازل الدنيا والآخرة والبرزخ؟.

الجواب: بالطبع أن المؤمن الذي راعى سلوك التقوى وسلوك اليقين وسلوك الإخلاص يصل إلى درجات من مشاهدات عديدة لشؤون البرزخ، أو بعض شؤون البرزخ أو بعض شؤون الآخرة، فكيف بك بمقامات المعصومين، الحقيقة كل إنسان مؤمن حتى وان قلت درجة إيمانه وكل بشر وحتى أن انحرف به السبيل إلى سبيل الغي هو في الحقيقة طبيعة جهاز مركب من وجود الإنسان وبناء وجوده ذو طبقات وذو عوالم، شعر بذلك الإنسان أو غفل عنه، الإنسان بحسب جهازه الوجودي هو موجود ذو نشأت وفي آن واحد، وهو كما يعيش ويدبر معيشة دنياه هو الآن في حالة تعايش مع المقام والمنزل البرزخي الذي هو فيه، وكذلك هو في مقام تعايش مع منزل الآخرة وان لم يشعر به فإذاً حالة التعايش الوجودي مع طبقات وجود الإنسان مع هذه العوالم أمر ثابت للكل وإنما الذي يختلف بين المعصومين ولايقاس بهم أحد وغيرهم، أو من هو دون المعصومين وغيرهم هو مشاهدة تلك العوالم وبالطبع إن المعصوم لما أوتي من علم لدني وطهارة وصفاء فائق يشاهد مثل تلك العوالم في مراتب أكثر وتستحضرني رواية رواها الشيخ الصدوق بسنده عن أبي عبد الله بكر الأرجاني قال: صحبت أبا عبد الله عليه السلام في طريق مكة من المدينة فنزل منزلاً يقال له عسفان، ثم مررنا بجبل أسود، على يسار الطريق وحش، فقلت: يا ابن رسول الله ما أوحش هذا الجبل؟ ما رأيت في الطريق جبلاً مثله؟ فقال: يا ابن بكر أتدري أي جبلاً هذا؟ هذا جبل يقال له: الكمد وهو على واد من أودية جهنم فيه قتلة أبي الحسين عليه السلام استودعهم الله، يجري من تحته مياه جهنم من الغسلين والصديد والحميم الآن وما يخرج من جهنم وما يخرج من طينة خبال وما يخرج من لظى وما يخرج من الحطمة وما يخرج من سقر وما يخرج من الجحيم وما يخرج من الهاوية وما يخرج من السعير، وما مررت بهذا الجبل في مسيري فوقفت إلا رأيتهما يستغيثان ويتضرعان وإني لأنظر إلى قتلة

أبي فأقول لهما: إن هؤلاء إنما فعلوا لما أسستما، لم ترحمونا إذ وليتم، وقتلتمونا وحرمتمونا ووثبتم على حقنا، واستبدتم بالأمر دوننا، فلا يرحم الله من يرحمكما ذوقا وبال ما صنعتما وما الله بظلام للعبيد))[1]. فقالوا له وهل يمكنك العيش مع سماع ومشاهدة كل ذلك، فقال: إن لنا قلوب غير قلوبكم ومسامع غير مسامعكم.

ولو كانوا هم بما أوتوا من الله قابليتهم محدودة كما هي الحال في أرواحنا، لما استطاعوا أن ينبؤا عن آثار الأعمال وعن طريق الشريعة وعن طريق منهاج الأحكام وكيف أثارها الأخروية، الحقيقة وراثة عن النبي ﷺ كما كان النبي ﷺ يتحدث عن أثار وخواص وعقبى ونتائج الأعمال فهو يشاهدها ﷺ ويشاهدها أيضاً أهل بيته وراثة علميه منه، وكيف هي الآن تتجسد وتتولد منها نتائج في البرزخ والآخرة وفي الصراط وفي عرصات العوالم الأخرى.

---

(١) ثواب الأعمال٢٥٨- ٢٥٩.

تفسخ البدن

المحاور: هل يتأذى البدن من ضيق القبر ويشعر بالديدان، وهل يشعر بتفسخه أم أن الأمر يرتبط بالروح، وما هو سر التأكيد على بعض الآداب المرتبطة بالقبر مثل رش الماء عليه ووضع جرائد أو جريدتين تحت بدن المتوفى ونظائر ذلك؟.

الجواب: في الحقيقة وان عرف واشتهر عند الفلاسفة والحكماء والمتكلمين، أن الروح تنفصل عن البدن في الموت وبالتالي تفترق عن البدن، ولكن ما تشير إليه جملة من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية وأحاديث أهل البيت عليهم السلام وكذلك ما تشير إليه جملة من المشاهدات والمكاشفات بل وفي العلوم الحديثة في الغرب انه ليس هناك انقطاع كامل بين الروح والبدن، بل هناك درجات من العلقة تبقى مستمرة بين الروح، أو كما يعبر مع الطينة الأصلية في البدن، وهذا البدن لا ريب انه تتوارد عليه التغييرات وتتبدل الخلايا ربما كل سبع سنين كما يثبتها العلم الحديث، ولكن هناك أنواع من الطينة الأصلية الباقية، مادة طاقية أو مادة لطيفة أثيرية يروق لبعض علماء الروح المحدثين التعبير عنها بمادة الاكتوبلازم وهي مادة بيضاء بخارية كما يعبر عنها في الكثير من المشاهدات، وفي العلم الحديث يعبر عنها بمادة بيضاء بخارية سواء كانت الطينة الأصلية هي تلك أو غيرها وأيا ما كان فقد ورد في الروايات أن طينة الإنسان الأصلية في بدنه الدنيوي تسيخ في التراب ويبقى التراب حافظاً لها.

المحاور: تريدون أن تقولوا في البدن يبقى شيئاً يشعر يعني له شعور؟.

الجواب: نعم، يبقى من البدن مادة يحتمل تطابقها مع مايذكر الآن في العلوم الحديثة ويعبرون عنها بأنها هي المادة الاكتوبلازمية أو مادة طاقية وسواء كانت هي هذه المادة أو ألطف منها فللروح تعلق بها ويتم لها شعور بالمادة الترابية.

المحاور: يعني تغيرت التسمية بمعنى مادة لها شعور أي تشعر بما ينزل في البدن؟.

الجواب: كلا، المقصود أن هذه المادة تبقى آلة للروح من البدن وان الانفصال لا يكون كاملاً بين الروح والبدن وعلى بقاء العلقة والعلاقة بين الروح ومادة البدن وهنالك شواهد عديدة في الروايات المتواترة بين الروح ومثواها، تبقى تلك العلقة ومن ثم الميت عندما يزوره الزائر أو بعد مئات وآلاف السنين يشاهد من يزوره ويسمع ويحدث نوع من التلاقي، فعن إسحاق بن عمار عن أبي الحسن ﷺ قال: قلت له: المؤمن يعلم بمن يزور قبره؟ قال: نعم ولا يزال مستأنساً به ما دام عند قبره فإذا قام وأنصرف من قبره دخله من أنصرافه عن قبره وحشة))[1]. ذلك مما يدل على أن مثوى البدن وما فيه من الطينة الأصلية للإنسان تبقى الروح ذات علقة حتى بعد صيرورة العظام رميم وحتى بعد تفسخ وتبدد البدن إلى تراب، في الحقيقة هنالك طينة أصلية تبقى وتسوخ وتتفشى وتحتفظ بنوع من الكينونة، الكينونة الآن هذه الأجهزة الحديثة لا تستطيع أن ترصدها لان هذه الأجهزة لا تستطيع أن ترصد أكثر الطاقات الدنيوية وهي من عالم الدنيا ومع ذلك لا تتمكن، مثلاً مادة الاكتوبلازم التي لانريد أن نجزم بأنها هي الطينة الأصلية، إلى عقود وسنين قريبة لم يستطيعوا أن يرصدوها إلا بعد استحداث أجهزة جديدة استطاعوا أن يرصدوا حتى ما فوق الأشعة البنفسجية أو ما تحت الأشعة الحمراء وما شابه ذلك، فهناك سيل كبير من مواد الطاقات الدنيوية في عالم الدنيا، والكشف البشري لم يتوصل إليها، إذا كان هذا بعد مضي حقب عديدة من بعد موت الإنسان وتبدد أوصاله هكذا حالها فكيف بك والإنسان في بداية حالة موته وبعد نزع روحه بدقائق أو ساعات، لا ريب أن تكون العلقة وطيدة موجودة.

المحاور: يعني يكون لرش الماء تأثير ونفترض تربة سيد الشهداء على البدن نفسه؟.

الجواب: نعم. لكل هذا تأثير وحتى وضعية البدن وكيف يكون كل ذلك مؤثر حتى مراعاة كيفية الدفن وكيفية الغسل.

---

(١) الكافي، ج٣: ٢٢٨.

نعم في بيان كيفية علاقة الروح بعد الموت بالبدن وذات العلاقة، مثلاً قوله ﷺ: (كما تنامون تموتون وكما تستيقظون تبعثون)، وكما في الآية الكريمة ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ فالمنام حالة من الوفاة، يستطيع الإنسان أن يتلمس في الحالة المنامية وبقية البدن من كيفية وضع البدن على أي جانب، ربما هناك مثلاً ضيق في الموضع الذي طرح الإنسان بدنه فيه رغم أن الروح في حالة منام، ولكن يشاهد هذا الضيق ينعكس على الروح نفسها أو ربما يشاهد ثقل معين شديد جداً وكالكابوس الروحي في حالة المنام أو الرؤية مثلاً من وقوع شيء ثقيل على البدن، أو الطعام الثقيل أو ربما كان الإنسان في حالة برودة في بدنه، أو حالة حرارة، بعبارة أخرى الحالات التي تطرأ على البدن تنعكس تلقائياً على الروح سلباً أو ايجاباً ومن ثم وصلت توصيات كثيرة في آداب الاحتضار وآداب حمل الميت وآداب تغسيله وآداب دفنه ومراحل هذه الأمور، ورد في الروايات انه لا يوضع ثقل على بطن الميت أثناء الاحتضار ولا أثناء التغسيل لان هذا يجهد الميت، وهذا شبيه النائم لو وضع عليه شيء ثقيل وربما يشاهد كابوس بالنسبة له وأيضا ورد في الروايات انه في حالة الاحتضار لا يلمس بدن الميت لان من لمس أعضاء المحتضر كأنه أعان عليه لأنه يوجب نوع من الشدة بأعتبار نزع الروح هي حالة من الشدة فإذا وجد شيء من الشدة أو المؤثر الخارجي الضاغط ستكون شدته على الميت أكثر.

المحاور: هل هذه الأمور المستحبة تبقى جارية إلى يوم القيامة، كرش الماء على القبر وزيارة الميت وما يصيب الميت من الوحشة والإيناس، أم تختص بالفترة الأولى التي تلي الوفاة؟.

الجواب: هناك جملة من الروايات تقول أن جملة من هذه الحالات تبقى، وان الموتى يأنون ويعانون مع كون أبدانهم رميمة في تلك القبور ولكنهم يتأذون فيما لو جعلت مزبلة قريبة من قبورهم حتى ولو بعد طوال سنين، أو مثلاً جعل كنيفاً وبالوعة من القاذورات قريبة من مثاويهم، بأعتبار الكرامة للقبور والمأوى مؤثر ولا سيما إذا كانوا من الأولياء والخلص الذين تبقى أبدانهم طرية كما شوهد ذلك في جملة أو مراراً في الصلحاء.

المحاور: حتى الذين لم تبقى أبدانهم كما أشرتم في الأسئلة السابقة إلى بقاء نوع من الطينة؟.

الجواب: نعم الطينة الأصلية التي تسوخ في التراب وان لم تشاهد في الحس تبقى للروح مرتبة من الشعور بتلك الطينة لدينا، فمن آداب تجهيز الميت عندما يغسل مثلاً لا يدخل الماء في منخريه أو أذنيه فأن ذلك يوجب الصمم في الميت مما يدل على انه تبقى آلية البدن لبعض أنشطة الروح على حالها في الأيام الأولى من الموت، وقد ورد عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام: ((لا تفدح ميتك بالقبر ولكن ضعه أسفل منه بذراعين أو ثلاثة ودعه يأخذ أهبته))[1]. فأنه مقبل على بيت جديد وهول عظيم فهذا نوع من التهيئة النفسية فهذه أمور كما لو أراد السامع أن يتمثل انه كان في حالة منامية ويشاهد بدنه في بعض الحالات المنامية فكيف يؤخذ به إلى مكان، فالروح وان كانت هي في موضع ولكن من بعد تشاهد ما يجري على البدن.

---

(١) الكافي ج٣: ١٩١.

الجن

المحاور: ذكرنا مجموعة من العوالم والمنازل التي يمر بها الإنسان في مسيرته الوجودية. فهل الجن ايضاً يمرون بهذه العوالم وهل المرور بها مرتبط بشأن التكليف أم لا لكي يشمل المخلوقات الأخرى غير الجن والإنس؟.

الجواب: هناك من النصوص الدينية والقرآنية والنبوية ما يدلل على أن الجن لاريب يمرون بمراحل يمر بها الإنس، غاية الأمر انه ورد في بعض الروايات أن جنة الجن هي دون جنة الإنس، لأنه الطبيعة العقلية المتكاملة عند الإنس ترتفع على الجن، ومن ثم فأن جنة الإنس تعلو جنة الجن، مما يدلل أن الجن أيضاً لديهم عالم برزخ، لديهم حياة وممات، لديهم محاسبة لديهم تلك النشأة البرزخية بنمط آخر، ولديهم ايضاً الأشياء الأخروية وسيبعثون والمراحل شاملة ايضاً للجن ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾[1] هذه التعابير القرآنية واردة كثيراً ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[2] هذا يدلل على وحدة الشريعة والتكليف، والشريعة والتكليف هي عبارة عن صورة في دار الدنيا بمنظومة تشريعية وحقيقتها تكوينية يمر بها كلا الثقلين، هذا بالنسبة إلى الجن وهناك من الشواهد الكثيرة على هذا المطلب في خضم النصوص القرآنية، وأما بالنسبة إلى بقية الكائنات فأيضاً يستشعر من بقية النصوص أن لها حالة برزخية ولها نوع من الحالة الأخروية ايضاً، وورد في نصوص أهل البيت انه لا يدخل الجنة من الحيوانات إلا أربع، ناقة صالح، والذئب الذي قتل في قصة يوسف، والخروف الذي ذبح فداء عن إسماعيل وكلب أصحاب الكهف أو حمارة بلعم بن باعورا، مما يدلل على أن جنة الإنس لا يدخلها سائر الحيوانات مما يدلل على أن الحيوانات لها نوع من النشأة الأخروية هي دون الإنس ودون الجن، لكنها نوع من النشأة، والبحوث الحكمية تتشاهد مع تلك النصوص الوحيانية.

---

(١) الرحمن: ٣١.

(٢) الذاريات: ٥٦.

عالم الروحانيات

المحاور: ما هو علم الروحانيات، هل هذا العلم متداول وصحيح وكيف يمكن الحصول عليه؟.

الجواب: هذا الاصطلاح وهو علم الروحانيات قد يطلق على علوم عديدة، منها علم العرفان، ومنها علم الفلسفة، وعلوم المعارف، وربما يطلق على بعض العلوم ما قد تسمى بالعلوم الغريبة، ربما علم التسخير وعلم الطلسمات وعلم الجفر عموماً العلوم التي تبحث حول القضايا الأثيرية منه علم محرم كالسحر وبعض أقسام التسخير، فهذه كما يقال لفظة أو اسم واصطلاح لعلوم عديــدة ولا يطلق على علم واحد.

المحاور: حبذا لو تبينون يعني الصحيح منها والذي لا أشكال فيه والنافع منه ولو على نحو الإجمال.

الجواب: منها علوم محرمة مثل علم السحر وعلم العزائم، وبعض أقسام الطلسمات وبعض أقسام علم النيرنجات والشعبذة. هذه علوم يطلق عليها اسم الروحانيات ولكن قد ذكر الفقهاء قائمة بأسمائها المحرمة، ويطلق عليها في الواقع علم الروحانيات يعني ما يرتبط بعالم ماوراء المادة مما تتدخل فيه الأمور الروحية سواء روحيات الجن أو روحيات الملائكة أو روحيات الإنس هذه مصطلحات عامة ما وراء علم المادة ومنها ما هو ربما مكروه مثل علم الرمل أو راجح مثل علم الجفر ومشابه ذلك ومنه ما هو راجح بالإجمال وتعلمه لأجل كسب المعارف الشرعية مثل الفلسفة الصحيحة وعلم العرفان الصحيح المطابق للمعارف الدينية وشبه ذلك وهذه ايضاً من علم الروحانيات بأعتبار فيها ذكر نظم وبرامج مرتبطة بعالم الروح وعالم ماوراء المادة.

المحاور: بالنسبة للعلوم التي أشرتم إلى تحريم الفقهاء لها، هل أن لهذه العلوم أثار حقيقية أم أنها مجرد أوهام مثل بعض العلوم الغريبة أو بعض علم السحر وغيره؟.

الجواب: في الحقيقة هذه العلوم لا يمكن أن يقال أنها أوهام مجردة، بل في هذه العلوم الوهم والخيال نفسه له تأثيرات تكوينية، وبعبارة أخرى يشير إلى ذلك القرآن الكريم إلى

تأثير السحر ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾[1]. وفي الحقيقة هي تسويلات الوهم وتخيلات الوهم وبدورها لها تأثيرات على المتوهم وعلى طرف المتوهم، فبالتالي لها تأثيرات في النفوس وان لم تكن تأثيراتها في المادة وبالتالي في المادة عبر النفوس فأقل ما يمكن أن يقال فيها ذلك، ولكن لها تأثيرات ربما على إعاقة الأشخاص ايضاً عبر الوهم والتخيل والإرهاب والخوف والقلق والشؤم واليأس، وما هي من حالات السقوط وحالات الانزلاق والانحدار وما شابه ذلك. هذه كلها تشاهد في تلك العلوم وآثارها وأن كان يراد منها حالات ايجابية، ولكن تظل هذه العلوم محرمة حتى في سياق الغايات الايجابية لأنه طريق محرم فلا تسوغ شرعاً.

المحاور: الأقسام التي ذكرتموها من علوم الروحانيات التي يكون نفعها مضمون وضررها مأمون، ما هي هذه العلوم؟.

الجواب: طبعاً عموم علوم المعارف والعقائد، من معارف القرآن ومعارف الحديث الشريف سواء بلغة عرفانية أو بلغة فلسفية أو لغة كلامية أو بلغة أدبية، هذه كلها تصب في صقل أفاق الروح سواء من الجانب العملي أو من جانب بعد الإدراك للعوالم والمعارف، ولا ريب أن هذه تستوسع الروح أفقا وسعة وتصعد بها درجة مضافاً إلى برنامج تهذيب السلوكيات وما شابه ذلك من البرنامج العملي، هذا ايضاً يصقل الروح والأخلاق كلها ترتبط بالروح، فبالحقيقة التعرف على قضايا الروح أمر بالغ الثمرة وبالغ النتيجة، وحتى أن العلوم الغريبة أو ما يصطلح عليه بالعلوم الغريبة أي غير المتداولة وغير المأنوسة، مقصود المحلل منها مثل علم الجفر بأقسامه، وعلم الرمل، وعلم الحروف، علم المعاني، علم الحساب والاشتقاقات المختلفة هذه كلها تفيد الإنسان، افرض الأطلاع على علم التخاطر الروحي والسمعي والبصري وعلم الأثير والوقوف عليها لا ريب أنه يوجب اطلاع السعة للإنسان واقل ما فيها أن توقي الإنسان من الانغرار والانزلاق أمام أهل الحيل والنصب والدجل في القضايا الروحية، فالأطلاع عليها يكوّن لدى الإنسان بصيرة

---

(١) البقرة: ١٠٢.

مميزة فاصلة بين ما هو كرامة حق وبين ما هو دجل وحيل ونصب وما شابه ذلك، نحن نشاهد القرآن الكريم يسطر لنا بعض الأمثلة أن عفريتاً من الشيطان يستطيع أن يأتي بعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين ملك النبي سليمان على نبينا وآله السلام في ظرف زماني بمدة يستغرق الجلوس في مجلس حسب مـا هو مضـمون الآية: ﴿قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾[1].

فمثل هذه الأمور مثلاً يمكن أن يأتي بها قوى غير خيرة، فإطلاع الإنسان عموماً على مثل هذه الأمور يزيده بصيرة ويزيده تمييزاً بين ماهو صحيح وصدق وما هو خطأ وكذب، وما هو الخير وما هو الشر.

---

(١) النمل: ٣٩.

عالم الأرواح

المحاور: بالنسبة إلى تحضير أرواح الموتى هل هو أمر ممكن حقاً، والإجابات التي تعطيها الأرواح عند تحضيرها هل هي إجابات صحيحة يعتمد عليها أم لا؟.

الجواب: غالب من يدعي تحضير الأرواح والقدرة على تحضير الأرواح ـ حسب بعض التجارب وحسب بعض المتضلعين من أهل المعنى والعلم ـ هو من تحضير الجن والمحضر يحسب انه احضر أرواح المؤمنين وربما يحضر من الجن من يعلم الصغيرة والكبيرة عن الميت، وبالتالي يظن المستمع الجالس في تلك الجلسة التي يتم فيها التحضير أن إجابات ذلك المجيب ربما دقيقة وصحيحة، وبالتالي فهي صادرة من روح المتوفاة لأنها تفيد كل الخصائص الخفية للمتوفى، وليس هناك عامل جسمي وحسي يجزم به وان كان بعض متضلعي أهل المعنى يصر على صدقيته في بعض الموارد نظير ما يحكيه العلامة الطباطبائي لبعض تلاميذه من أساتذتنا، أن أخاه السيد حسن رحمة الله عليه كانت لدية القدرة على تحضير الأرواح أو الارتباط بأرواح العظماء من العلماء ومشابه ذلك.

علي أية حال هذا ليس ممتنعاً، والارتباط بأرواح الموتى يثبته علماء الغرب ايضاً بأنه عبر التخاطر ونوع من الارتباط الموجي بالذبذبات الشفافة الروحية بين روح الحي وروح الميت، وهذا ليس مستنكرا" وقابلا" للتصوير نظير ما نقرأه نحن في زيارة الرسول وزيارة أهل بيته، [وانك حجبت عن سمعي كلامهم وفتحت باب فهمي بلذيذ مناجاتهم][1] فهناك نوع من الارتباط بين أرواح الأحياء وأرواح الموتى ولكن من هو الذي يستطيع أن يحضر ويرتبط، هذا هو أمر آخر وكثيرون من أهل النصب والحيل والدجل وكثير ممن يدعون أنهم احضروا الموتى ويكون قد احضر الجن.

المحاور: يعني الذي يحضر يحتاج إلى قوة روحية معينة؟.

(١) المصباح للكفعمي: ٦٠٥.

الجواب: لا ريب في ذلك، الروح المحضرة ايضاً لابد وان تكون لها درجة وماشابه ذلك، والحضور نوع من الصلاحية لروح الميت والمكنة لا تعطى لكل احد ومن ثم هذه الإمكانية من الارتباط بأهل البرزخ لاريب أنها لا تعطى إلا لذوي القدم الراسخ من أهل التقوى واليقين، وأما أحاد الناس ممن هم في سلوك اعتيادي والتزام ديني هابط فلاريب انه ليست لدية القدرة والمكنة على تحضير الأرواح وإنما هو تحضير جن.

المحاور: يعني هنا يكون هو مسخر للجن من حيث لا يشعر؟.

الجواب: قد لا يكون لديه اطلاع والتفات، إلا أن الجن المحضر ربما يكون قرين الميت مما يعرف خفايا كثيرة عن الميت ويجيب بإجابات دقيقة ومتقنة أو على إتصال بالقرين، وهذا المقدار لا يدل على أن الذي حضر هو روح الميت وإنما هو قرينه من الجن بل بعض الجن ممن لديهم قدرات تكوينية أخرى قد يطلعون على ما يطلع عليه القرين وبالتالي يخبرون به.

المحاور: بالنسبة لتحضير الأرواح هل هو أمر نتركه في بقعة الإمكان، يعني هو أمر ممكن لا ننفيه أم لا؟ فإنه يوجد هناك من يثبته يعني إمكانية أن تستحضر روح انتقلت من هذه الدار إلى الدار الآخرة تعيش في البرزخ نستحضرها ونحاورها هذا المدعي لدى الذين يحضرون الأرواح.

الجواب: نعم المقصود من حضور ليس هي تنشأها نشأة دنيوية وإنما نوع من ارتباطها بأهل الحياة في هذه النشأة في موضع معين وما شابه ذلك.

المحاور: إذا توفرت شرائط الصدق ولما يبعث على الاطمئنان بشخص الذي يحضر الأرواح فهل تكون الأجوبة التي يحصل عليها من الأرواح تكون لها نوع من المصداقية أو يمكن الاطمئنان إليها؟.

الجواب: في الحقيقة أن هذا الارتباط هذه القناة ليس فيها حجية بتاتاً بل أن نفس الميت على أية حال مهما تصاعد شانه ليس يعني الأرتباط به ايضاً هو ذو موقعية بحيث يؤخذ بأقواله وإن كان الميت في البرزخ ومهما وصل في مقامات العدالة والتقوى فإنها تغاير الحجيةَ.

المحاور: ولكن تكشف له أشياء قد لا تكشف للأحياء؟.

الجواب: لكن ليس في مداليل كلامه وفيما يدلي به حجية بقول مطلق، وإنما هو نوع من البشائر والنذارة، ولا يعول عليه كحجية، بل أن الأرتباط الروحي في الرؤيا ونحوها بالمعصوم مع انه معصوم هذا الأرتباط لايعول عليه كحجية لان ارتباط غير المعصوم به عبر قناة الرؤيا وعبر قناة المشاهدة، تلك القناة باعتبارنا نحن غير معصومين ولا طريقة تلقينا تلقي المعصومين فلا يعول عليها وإنما يكون قيمتها، قيمة منبه ومبشر ومنذر، وعلى أية حال هذا منبه إلى نفس مالدى الإنسان من إدراك عن الواقع من حقيقة يتعامل ويلمس ويتعاطي معه بما له من حدود وحقيقة.

المحاور: يعني هي تورث اليقين ولكن استناداً إلى أمور أخرى؟.

الجواب: يرجع للموازين العامة التي يستند إليها الإنسان في كل أموره من الكتاب والسنة والعقل وما شابه ذلك.

العمل والجزاء

المحاور: نعرف من الأحاديث الشريفة أن الدنيا هي وحدها دار العمل فما معنى ما ورد في بعض الأحاديث الشريفة من أن أرواح المعصومين الأربعة عشر كانت تسبح لله (عزوجل) في عالم الاظلة أليس هذا التسبيح من العمل الذي يترتب عليه الأجر؟.

الجواب: ما ذكرته من أن قد ورد في الآيات والروايات أن دار الدنيا هي التي يترتب عليها الجزاء وتحدث من خلالها الأعمال ظاهر الأدلة خلاف ذلك.

المحاور: كيف نتعامل مع الحديث اليوم عمل بلا جزاء وغدا جزاء بلا عمل هذا المضمون مروي عن أمير المؤمنين عليه السلام.

الجواب: نعم ولكن هذا المضمون لايفيد الحصر، يعني اليوم عمل بلا جزاء وغدا جزاء بلا عمل، وان ما قبل ليس هناك عمل ولم يترتب عليه اثر، بل هناك مفادات عديدة من طوائف الأحاديث، أن سيد الأنبياء إنما فاق بقية الرسل لأنه أول الأنبياء إجابة في عالم الميثاق، أو في عالم الذر، حيث نصت الآية الكريمة على إمتحان الله تعالى للخليقة: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾[1]. فبحسب السبق والتقدم في الإجابة رتبت تلك المقامات يعني بعبارة أخرى جزاء تلك العوالم ترتبت المقامات في دار الدنيا يعني جزاء عالم الميثاق أو عالم الذر والعوالم السابقة، كما أن التأثيرات في عالم الأصلاب والأرحام تأثيراتها وجزاء آتها نشاهدها تتحقق في عالم الدنيا، مثلاً صلاح الأبويين من صلاح الجينات الوراثية ومن صلاح البيتوتة وما شابه ذلك، نلاحظ آثارها أن كان يصح إطلاق الجزاء عليها مترتبة في دار الدنيا، فإذاً ليس من الشيء المحتم أن الجزاء محصور على العمل في دار الدنيا.

المحاور: باعتبار أن هذا الذي تتفضلون به لعله خلاف الرأي الشائع، حبذا لو يكون توضيح لهذا الجانب في يوم القيامة عندما يقال جزاء بلا عمل يعني أي عمل مقصود؟.

---

(١) الأعراف: ١٧٢.

الجواب: نعم في الحقيقة انه حتى هذه القضية العمومية من أن غدا جزاء بلا عمل هذا بالقياس والإضافة إلى سنخ العمل الأختياري في الدنيا وإلا فإن هناك نحو من التكامل حتى في البرزخ، بل في العالم الأخروي كذلك الذي تفيده الأدلة.

المحاور: يعني في البرزخ يتكامل الإنسان أيضاً؟.

الجواب: نعم يتكامل وهناك نوع من السير والمسير التكاملي يشهده البشر في البرزخ، مثل أن بعض النفوس التي تدخل جهنم إذا ارعوت عن عنادها ولجاجها يفرج عنها وتخلص من جهنم، بخلاف التي تلج وتعاند وتوغل في العناد مع الباري تعالى فتلك أنواع الخلود وما شابه ذلك، مما يدلل على أن العمل المنفي في الآخرة هو العمل باختيار وسيع بالنمط الذي ههنا بحرية واختيار في دار الدنيا، ولكن الذي يظهر مجموع الأدلة أن دائرة الخيار والاختيار في البرزخ أو في الآخرة تضيق بحسب موجبات ضاغطة من نتائج الأعمال في دار الدنيا يعني بعبارة أخرى الخيار في عالم الميثاق السابق لعالم الدنيا أو عالم الذر كان الخيار بشكل وسيع أكثر عما هو بحسب دار الدنيا، وهذا الأختلاف في دائرة الأختيار يشاهد في مسيرة الوجود وانتقال الطبيعة الإنسانية من عالم إلى عالم آخر كلما تنتقل من عالم إلى عالم آخر تكون محكومة بتأثيرات وأحوال سابقة في تلك العوالم، فبالتالي يضيق الخيار والاختيار، فيتصف حينئذ ويحمل عنوان جزاء بلا عمل على هذا المعنى أي العمل الذي له أفق من الاختيار والخيار، بحيث يستطيع الإنسان أن يتحكم بسهولة في سكان نجد الخير أو نجد الشر وأما في المسير التكاملي وان للخيار والاختيار نحو من التأثير فنشاهد بعض حالات الأختيار في بعض الأدلة وان كان هناك طائفة كثيرة من الأدلة تدل على أن أولئك الذين جنوا أعمال سيئة تلجأهم تلك الملكات الرذيلة والقبيحة والسيئة على أعمال السوء في الآخرة وتسلب منهم اختيار الفضيلة وخيار الخيرة، نظير الحالة في إبليس مثل قوله تعالى: ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ

قَالَ لَمْ أَكُنْ لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[١]. وغيرها من الموارد، هذا ملحوظ في العديد من الدلالات ولكن جملة من الآيات أو الروايات يظهر منها أن مقدار من مسير التكامل والسير التكاملي يمكن أن يلمح في الآخرة وفي البرزخ.

---

(١) الحجر: ٣٠

تكرار العذاب

المحاور: ما هي الحكمة من تكرار العذاب في البرزخ وفي الآخرة، إلا يخالف تكرار العذاب هذا العدل الإلهي؟.

الجواب: أصل العذاب واستمراره في البرزخ أو في الآخرة حقيقته ترجع إلى الخلود في العذاب، وهذه مسألة اعتقادية محتدمة بين البحوث العلمية العديدة، وملخص الإجابة عن بعض الشبهات والتساؤلات فيها أن الله (عزوجل) أنزه من أن يتشفى أو يظلم عباده، ومن رأفته ورحمته بعباده انه يصون أفعاله التكوينية في العوالم المختلفة من التشفي وتبريد الغليل فإن هذه صفات النفوس المخلوقة، بل العذاب هو نحو دواء للمخلوق كما تشير إليه الروايات في الأخلاق الكريمة، مثلاً قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾[1]، لان كفر المخلوق بالخالق هو من مهاوي الدركات التي يعيش فيها المخلوق، لأن إعراضه عن الباري وإقباله على ذاته التي هي منبع الفقر والعدم يوجب التناقض الوجودي للمخلوق، ومن ثم من اجل أن يستكمل هذا المخلوق ولان يرتبط بمصدر الفيض ومصدر البركات فلابد أن يتلقى نحواً من الكي لقلع الرعونة والطغيان الذي هو أنحباس على النقص، وهذا المقدار من الإنكسار والذل القهري للمعاند والجاحد بالعذاب يبعد طغيانه الذي هو حبس له على ذاته الفقيرة إلى الخضوع والتوجه إلى منبع الفيض ليتمكن من الأستفاضة، فمن ثم كان العذاب شفاء وعلاج للمعاند ولو كان قهرياً، وحالة الانقطاع عن مصدر الخير وهو التكبر والتمرد والجرأة والعصيان والطغيان، فبالتالي هذا العذاب نحو دواء وكي ويتحقق المخلوق بحالة العبودية ويرتبط بمركز الخير ومنبع البركات ومن ثمة ورد في دعاء أمير المؤمنين عليه السلام في

(١) الأنعام: ٤٢.

دعاء كميل: ((وان تخلد فيها المعاندين))[1] يعني أن الخلود في الدار الآخرة في جهنم مخصوص للمعاندين لماذا؟ لان المعاند بحالة مرضية واعوجاج في ذاته لتمرده وطغيانه، وهذا يبعده عن مركز الخير والخيرات والبركات وهو الله (عزوجل) ومن ثم هذا العذاب يكسر جنوح وطغيان وتكبر المعاند وبالتالي يجعله مستفيضاً للفيض الإلهي وإلا لو أبقى وبقي على العناد لأزداد إنعداماً وتناقصاً وعذاباً وألماً ناشئاً من تناقصه وهو عذاب أشد.

المحاور: فيتحول في الواقع هو إلى نار بحيث أصبح وجوده نار.

الجواب: هذه الحالة في بدنه الأخروي يؤدي إلى أن روحه ترعوي وتنصاع وتطوع وتنقاد إلى رب العزة والانقياد اكبر كمال، والمعاند لا سبيل لإيصاله إلى الكمال إلا بأخلائه عن تكبره وطغيانه بأن يطوّع إلى طاعة رب العزة. فهذا العذاب في حين كونه عذاباً هو رحمة ورأفة من الله (عزوجل) وحكمة لأجل أن يبقي هذا المخلوق في حالة تكامل ويكون دوماً في حالة أستفاضة، وان كان بعض الذوات أعاذنا الله وأجارنا الله وجميع المسلمين من ذلك، بعض الذوات قد قضي عليها العناد بحيث أن العناد عاد وصار طبعاً جوهرياً وهو على درجات، والتقصير على درجات والمخالفة والعصيان على درجات، وإذا دخل منطقة العناد فذلك داء دهياء وربما يشتد هذا العناد بحيث لا ينفك عن المخلوق وهي إعماله طبعاً كما يشير إلى ذلك قوله تعالى:﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾[2] فبعض الذوات هكذا تبقى يكتب لها طريق الكمال وبقاء كمالها بأن تعذب كي يطرد الخبث الموجود في تلك الذوات وتطوع وتنقاد لرب العالمين، هذا بالنسبة للخلود في النار ويفهم من ذلك الكلام في البرزخ وانه يمتد في الآخرة فيما يعالج ويطهر الميت يستمر عذابه في الآخرة إلى أن يطهر.

المحاور: يعني ليس تكراراً للعذاب؟.

---

(١) مفاتيح الجنان: ١٣٥.

(٢) الأنعام:٢٨.

الجواب: لا. لأنه استمرار في عملية التطهير، مثلاً نشاهد في تطهير وتنظيف الملابس وغيرها تحتاج إلى المرات والكرات في عملية التنظيف كي يقلل من الوسخ والأدران الموجود فيها.

المحاور: آذن هل يمكن للعذاب البرزخي أن يكون سبباً لسقوط بعض العذاب الأخروي لبعض الذنوب؟.

الجواب: نعم بالضبط هكذا، وإلا سيبقي في أدران الذنوب وأوساخها ويحتاج إلى تطهير في الآخرة.

المحاور: وحتى في ساعات الاحتضار بعض الروايات تشير إلى هذا المعنى.

الجواب: وبعض تكفّر ذنوبه بالشدة التي يلاقيها في ساعة الاحتضار من دون حاجة إلى عذاب البرزخ، وبعضهم قد يتطهر بها ويبتلى في دار الدنيا قبل الاحتضار، فأنواع الذنوب وأوساخ الذنوب وأدران الذنوب أعاذنا الله وجميع المؤمنين والمسلمين منها مختلفة الشدة ومتفاوتة.

التائب وغفران الذنب

المحاور: هل أن مغفرة الذنب تشمل إزالة الآثار التكوينية للذنب كما هو الحال في شرب الخمر مثلاً ـ والعياذ بالله ـ تزول آثاره التكوينية بمغفرة الله تبارك وتعالى أم لا؟.

الجواب: إزالة التوبة للآثار التكوينية للذنب يظهر من الأدلة والآيات أنها بحسب درجة التوبة ودرجة الاستقامة على التوبة ودرجة التعالي في الكمال بعد ذلك على حسب درجة التوبة، كما لدينا...

المحاور: حبذا لو تكون الإجابة من خلال مثال توضيحي في صدق التوبة، هل المقصود منها التوبة النصوح أم أن التائب يطلب من الله تبارك وتعالى أن يزيل أثار ذنوبه السابقة أم شيء آخر؟.

الجواب: التوبة هي من الرجوع والرجوع إلى الباري تعالى على مدارج ودرجات من القرب والبعد، وربما التائب يستغفر ويندم ويقلع عن ما ارتكبه من ذنب وهذا المقدار أدنى شرائط صحة التوبة، وربما يمضي التائب قدماً متعالياً في درجات الخير وأضداد المعصية التي كان عليها فلا ريب أن هذه التوبة رجوع اشد إلى درجة قريبة أعلى من ذلك وهلم جراً.

المحاور: في هذه الحالة تكون للتائب أثار أكثر من مجرد رفع العقاب الأخروي عنه؟.

الجواب: نعم.

المحاور: يعني يكون رفع العقاب إلى جانب العقاب الأخروي إزالة الآثار التكوينية بأعتبار أن بعض الذنوب لها آثار تكوينية في الآخرة؟.

الجواب: نعم إلا في بعض الآثار للمعصية كما ورد في الحديث النبوي: (من ارتكب كبيرة فارقه عقل لا يرجع ابداً)، حتى بعد التوبة حتى بعد الآخرة، يعني شعبة من شعب العقل تفارقه ولا ترجع إليه ابداً، وهذا حرمان. وفي الآية الكريمة أشارة إلى مثل هذا الاختلاف في الآثار إلى قدرة وقوة التوبة على التغيير رغم ذلك تشير الآية الكريمة ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ

اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[١]. مما يدلل على أن ارتكاب المعاصي والسيئات ولو يستغفر الإنسان ويتوب ينجو بالتالي من سوء العاقبة وينجو من العذاب والعقوبة، إلا أنه لا ريب أن امتيازات المتقي الموقن والمحافظ على الاستقامة وغير الملوث نفسه ولو بدرجة من الذنب لا ريب انه يكون أوفر حظاً في الآخرة وفي الدنيا من العاصي التائب....

المحاور: ولكــن يبقى الباب مفتوحاً، يعني التائب من الذنب كمن لاذنب له؟.

الجواب: طبعاً التائب ينتشل نفسه من الحضيض وينتشل نفسه من الهوان وما شابه ذلك، ويرتقي ولكن لا ريب أن الاستقامة والمحافظة والحيطة تلك أكثر تعالياً من التوبة.

المحاور: فما معنى إبدال الله تبارك وتعالى سيئات التائبين إلى حسنات وهل يمكن القول بأن هذه مرتبة عالية من مراتب إزالة الأثار التكوينية للذنوب؟.

الجواب: نعم، هذا لطف الهي عظيم وربما تفسيره في الجانب والبعد الفلسفي والمعنوي يحتاج إلى مؤونة واقتدار، وربما يقرب مفاد هذه الآية ما في بعض الروايات بأن أصحاب الجنة يرون مواضعهم في النار لو عصوا، وأهل النار بحسب دركاتهم يرون مواضعهم في الجنة لو كانوا قد أطاعوا ومن الواضح أن كل من توغل شدة في الدركات لو كان قد عصى كان قد تعالى سمواً في الدرجات. وبعبارة أخرى أن الملكات والقدرات في المخلوق يمكن أن يوظفها في طريق الخير ويمكن أن يوظفها في طريق الشر، فبالتالي تلك الملكات إذا فرض تحلى الإنسان بها ثم وظفها في طريق الخير، كما إذا افترضنا أن عالماً في الذرة النووية ولكنه يوظف هذا العلم الخطير في سفك دماء الشعوب وما شابه ذلك فهذه درجة شديدة من الشر في آثار عمله ولكن لو بدل اتجاه عمله إلى نفع البشرية وفي الموارد السلمية، الصحة والبيئة الزراعية وتوليد الطاقة الكهربائية فنفس الملكة التي كانت في طريق الشر تكون متلألئة نورانية في جانب الخير، اذاً الملكة بما لها من صفات عملية وعلمية

---

(١) الجاثية: ٢١.

وكما لو افترضنا ضابط جيش كان في دولة الجور والظلم ولكن بعد ذلك تحول إلى ضابط في دولة الحق وسبل السلام واستفاد من تلك المهارة التي لديه.

المحاور: فهذا نوع من اللطف الخاص والهداية الخاصة؟.

الجواب: نعم يستطيع أن يوظف ملكاته في طريق الخير وتتبدل من سيئات إلى حسنات.

إذا الوحوش حشرت

المحاور: ﴿إِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ هل يمكن الاستفادة منها، ايضاً أن لهم مراتب من القيامة؟.

الجواب: ورد تأويل الوحوش في الآية الكريمة أن المراد منها بني الإنس، لان الإنسان إذا توحش صار أوحش من الوحوش، على أية حال هذا لا ينافي الظاهر ايضاً بإرادة كل من المعنى التأويلي والمعنى الظاهر، ويستفاد من البحوث الحديثة في العلوم الروحية كالتنويم المغناطيسي واستحضار الأرواح للموتى يذكرون مئات الحكايات عن الأرواح التي يحضرونها وما شابه ذلك، عن نشأة البرزخ أن الحيوانات هناك لهم نوع من التواجد بخلاف ما كانت عليه في دار الدنيا.

ورد في الروايات: ((أن يوم القيامة يقام العدل حتى انه يقتص للعجماء من القرناء))، فيقتص من الدابة التي لها قرون إذا اعتدت على دابة ليس لها قرون.

المحاور: إن المرور بالقيامة والبعث مرتبط بالتكليف فهل يمكن أن يفهم أن هنالك درجة ومرتبة من التكليف بالنسبة إلى الحيوانات؟.

الجواب: نوع من تلقي الدين التكويني، الكوني الواحد لكل المخلوقات موجود ولكن بأي درجة، نلاحظ مثلاً حديث الهدهد مع سليمان أو ما يقرره الهدهد لا الشريعة فإنها خاصة بالثقلين الإنس والجن...

المحاور: يكون سليمان معذب الهدهد وإذا كان الهدهد ليس له خيار آخر، أو مكره على ما قام به مثلاً إذا كان على فرض الإساءة فلا يكون من العدل تعذيبه، إذن لابد أن هناك درجة من الاختيار بحيث إذا كان عمله خاطئ يكون مستحقاً للتعذيب؟.

الجواب: الآن البحوث العلمية أثبتت أن الحيوانات لها درجة من الإرادة والشعور ودرجة من الصفات الإنسانية كلها تدلل على أن لها مرتبة من الإدراك وما شابه ذلك:

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[١] فلها درجة من الرجوع والأوبة إلى الله سبحانه وتعالى كما كان لها نحواً من الانطلاقة من المبدأ، فأن قاعدة: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[٢] ليس خاصاً بالإنس بل لكل الكائنات وهي آئبة راجعة إلى ربها، إليه مصير كل شيء واليه يرجع الأمر كله.

---

(١) الأسراء: ٤٤.

(٢) البقرة: ١٥٦.

الخلود في الجنة أو في النار

المحاور: كيف يمكن أن نفهم خلود الإنسان في الجنة أو في النار مع كون الله (تبارك وتعالى) هو الأول والآخر؟.

الجواب: أولية الباري تعالى وآخريته لا تنافي الخلود في جانب البقاء، الكثير منا يتصور أن أولية الله واخريته أمر يتصرم كما في الزمان، أو يتجدد كما في قطاعات الزمان، وهذا تصور خاطئ عن صفات الله، فأن أولية الله لم تزل ولا تزال صفة قائمة وثابتة له كما أن آخرية الله ليست صفة ستحدث له تعالى وإنما آخريته هي له في عين حين ما كانت أوليته ثابتة له.

المحاور: عفواً المطلب دقيق جدا لو تزيدونه توضيحاً.

الجواب: آخرية الله (عزوجل) ليست من قبيل المراحل الزمانية التي تحدث بعد تصرم وبعد انقضاء ومضي فترات زمنية سابقة فتحدث فترات زمنية لاحقة، فآخرية القطعة الزمانية آخر الشهر السنوي تحدث بعد مضي الأشهر الأولى من السنة، وآخر أيام الأسبوع يحدث بعد مضي الأيام الأولى من الأسبوع، وهكذا في الآخرية فالزمان اذاً متجدد الحدوث ولم يكن موجوداً وإنما يوجد فيما بعد وهذا بخلاف صفاته تعالى سواء (الأول) و (الآخر).

المحاور: لو أردت توضيح الأمر من خلال السؤال التالي بأن الله (تبارك وتعالى) كان الأول ولايزال الأول فماذا يعني الآن؟ هل يكون المعنى المتبادر انه كان الأول فهمناها انه كان ولم يكن شيء ولكن ولازال كما كان يعني الآن هو الأول كيف الآن هو الأول.

الجواب: هذا ما سأصل إليه ولكن أحببت أن أبين أن الأولية في الزمان في العادة تتصرم وتنقضي وتمضي وتنعدم ولكن هذه الصفة في الباري تعالى ليس الحال فيها كذلك، وإنما هي دائمة وباقية، وكذلك آخريته تعالى ليست كأخرية الزمان تنوجد بعد ما لم تكن فأوليته تعالى في حين آخريته وآخريته في حين أوليته كانت ولا تزال ولاتزول، آذن معنى

الأولية والآخرية فيه تعالى تتخذ معنى ورسماً بمعنى آخر يختلف عن الأولية والآخرية في الزمان والأمور التدريجية الموجودة داخل نطاق الزمان، معنى أوليته تعالى انه مبدأ إيجاد وفيض الأمور وآخريته انه منتهى غاية كمالات الأمور، فالباري تعالى هو مصدر ومبدأ ومقوم لكل موجود وكائن ومخلوق في كل حين كان ولا يزال ولا يزول هذا معنى الأول وآخريته هي أن كماله هو منتهى وغاية كل كمال وكل مقصد، وهذا نوع من معاني الخلوص والإخلاص ونوع من معاني المعاد ايضاً، أي أن كماله هو منتهى الكمال وقدرته هي منتهى القدرات ودرجات القدرة ودرجات الكمال، والتعبير بالدرجة من باب المسامحة وضيق التعبير ولايتناهى في علو الدرجات، وهذا العلو والانتهاء والفوقية فوق كل الكمالات، كانت اذاً ولا تزال ولا تزول، آذن آخريته في حين أوليته واوليته في حين آخريته، ولا يتنافى ذلك مع الخلود في الجنة والخلود في النار، لان هذا الخلود لا يعني أن الجنة هي منتهى الكمال بل هناك فوق كمال الجنة. كمالات أخرى مخلوقة حتى من قبيل الغمس في بحور وسرادقات الربوبية وبحور سبحات الجلالة وما شابه ذلك فكيف مقام الذات الإلهية فليس خلود الجنة يعني آخريتها، وأنها تحيط بآخرية الباري تعالى، لان الأخ السائل فهم من آخرية الباري آخرية زمانية، وليست كذلك وإنما هي آخرية منتهي لا تناهي الكمال.

المحاور: هذا المعنى الذي تفضلتم به نتلمسه في: ﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾؟.

الجواب: بالضبط ﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ المبدأ الأولية وراجعون الاخرية.

المحاور: آذن هنا الأولية والآخرية مبدأ الخلق ومنتهى كمالات الخلق. وبالنسبة للخلود هنا هل هو زماني؟.

الجواب: الجنة وان كانت جسمانية ولكن ليست جسمانية دنيوية وزمان دنيوي، بأعتبار أن لكل موجود جسماني له تقدير من الأمر فهناك خلود وبقاء أمدي، ولكن أمده هو حساب الأمد فيه يختلف عن حساب الدنيا.

المحاور: وهل يشتمل على كلا البعدين، البعد والكمال الأخروي بالنسبة للإنسان وهكذا بالنسبة للبدن أو البعد الروحي والبعد البدني هل يمكن تصوره هكذا؟.

الجواب: كما أن هناك كمالات بدنية تفوق كمالات بدن الدنيا فهناك كمالات روحية ينالها المؤمن ولها أبعاد تختلف عن أبعاد البدن، ولكن تقدير وحدة المدة والفترة في الجنة وفي عالم الآخرة تختلف في وحدتها التقديرية والحسابية عن وحدة القياس الزمني في الدنيا.

المحاور: هذا القياس الزمني آذن هو خاص بعالم الدنيا، والعوالم الأخرى لها قياسات أخرى.

الجواب: نظير التعبير في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾[1].

المحاور: إن الله (تبارك وتعالى) يعلم كثيراً من خلقه سيعصونه ويستحقون بذلك الشقاء والخلود في النار، فلماذا خلقهم وهو الرؤوف الرحيم والغني عن عذابهم؟.

الجواب: لابد أن نعلم أن خلقة الأشقياء كإبليس وغيره من حزبه المتمردين الظالمين ليس هو نقمة عليهم، وليس شقاءً لهم في كونهم أشقياء، بل هو عين الحكمة والخير والنفع، سواء بالنسبة لهم أو بالنسبة إلى نظام الخلقة، أما بالنسبة للآخرين فالامتحان الذي يقع فيه الآخرون عندما يبتلون بالأشقياء يكون امتحان تكامل لهم ورقي الدرجات وعالي المقامات.

المحاور: يعني من خلال الابتلاء بهؤلاء الأشقياء والصبر على أذاهم وغير ذلك يحصلون على مراتب من الثواب؟.

الجواب: نعم وربما يستفيد من بعض الأحاديث عنهم عليهم السلام وهذا استظهار من بعض أهل المعرفة، حيث استظهر من بعض الأحاديث أن خلق الشياطين هو نوع من الحراسة للملكوت عن أن ينفذ فيه القلوب الإنسانية غير الطاهرة، القلب غير الطاهر بعين بصيرته لا يستطيع أن ينفذ إلى الملكوت إلا إذا كان طاهراً، ولو كان غير طاهر يبتلى إذا بمشاغبة

---

(١) الحج: ٤٧.

الشياطين وحيلولتهم دون نفوذه الملكوت، فهذا نوع من الحراسة للمنازل والعوالم الطاهرة ونوع من التربية والامتحان، هذا كمثال والأمثلة كثيرة، هذا بالنسبة للآخرين. وأما بالنسبة إليهم فلابد أن نعلم أن أصل الوجود خير ورحمة كبيرة حتى الوجود في الخلود بالنار في أصل وجوده رحمة، لان العذاب في الحقيقة نوع من المداواة للمتكبر والجاحد توجب هذه الحالة ـ حالة العذاب ـ ارعوائه بنحو مستدام أو في حال العذاب أرعوائه إلى الباري تعالى والى عبوديته وخضوعه للباري تعالى.

المحاور: كيف يكون الوجود بحد ذاته خيراً وهو قد يؤدي إلى العذاب؟.

الجواب: لان العذاب حالة طارئة لأصل الوجود. وبعبارة أخرى وجود المخلوق بحالة معرفته بربه وفي حالة خضوعه لربه لا ريب أن هذا الوجود نوع من الكمال والرحمة، وان كانت مصحوبة بزمجرة عذاب.

المحاور: هل يمكن تشبيه الأمر؟.

الجواب: كمثل المريض الذي يداوى في أثناء عملية جراحية وان كانت هي أذية له ولكن هي نوع من الانجاء له.

المحاور: ومتفق هو أفضل من أن يموت.

الجواب: نعم أفضل من أن يموت ويعدم ويباد، الحقيقة الخلود في العذاب أصعب موضع ومن الإشكال الذي هو جدل معرفي قديم في العلوم المختلفة، الخلود في العذاب هو نفس العذاب سواء بدأه أو استمراره وخلوده إذا أذعنا أن نفس العذاب بدأً أو خلوداً هو نوع من الإخضاع الرباني للمتمرد الجاهل بمعرفة ربه لكي يعرف ويخضع إلى ربه، غاية الأمر أن هذا لا يخضع إلى الكمال إلا بإضافة العذاب عليه آن فآن، العذاب وان كان مراً لكن معرفة الله أحلى وأكمل، فلا يتمنى العدم المطلق والشاهد على ذلك أن مرارة العذاب إنما هو بسبب خوف الزوال، زوال الكمال، زوال الراحة، زوال الطمأنينة، نفس الزوال مخيف اذاً من يفيض عليه أصل الوجود فهذا عين الرحمة غاية الأمر أن قسماً من الخلق كالجن والإنس بعض منهم لا يصل إلى الكمال والخضوع لمعرفة ربه وهي اكبر الكمالات أكبرمن

كمال راحة البطن، وراحة الشهوة وراحة ونعومة الحرير، معرفة الرب لا ريب أنها كمال كبير، هذا الكمال لا يصل إليه شطر من نمط من الخلقة إلا عبر العذاب.

المحاور: هل يمكن القول أن من الظلم أن لا يخلق الله (تبارك وتعالى) أو لا ينقل من العدم إلى الوجود من هو مستعد للوجود، ويمكن أن يكون وجوده مفتاح الوصول إلى الكمال؟.

الجواب: لا ريب أن الوجود والرحمة الإلهية الواسعة هي تفيض الوجود وهي الوجود والرحمة على كل قابل ومستعد.

المحاور: يعني السؤال والأعتراض هو كأنه أستناداً إلى الرحمة الإلهية للاعتقاد بأنه لم يكن المفروض أن يخلقهم، في حين يمكن أن تكون الرحمة والرأفة الإلهية والغنى هو سبب لخلقهم بأعتبارهم مستعدين للوجود والوجود بحد ذاته خير يمكن أن يوصل إلى مقامات.

الجواب: حتى الوجود في العذاب هو رحمة وقد غفل عن التدبر فيه والنظر حتى كبار العرفاء الذين ربما استشكلوا في خلود العذاب، فأبن سينا وأبن عربي أو غيرهما لم يتفطنوا إلى وجه الرحمة في الخلود في العذاب، انه بتوسط العذاب تتحقق معرفة المتمرد لربه، فأذاً المعرفة التي هي كمال كبير واصل وجوده الذي هو عليه رحمة وهو فيض الهي وجودي هذا هو يتحقق في الحقيقة في نفس حال العذاب، اذاً هذا كمال، عذاب باطنه الرحمة.

المحاور: التمتع بنعيم الجنة أو العياذ بالله ـ التعذب بالنار، هل يكون للروح فقط أم للجسد؟.

الجواب: عندما يعبر بعذاب الروح وعذاب الجسد المراد أن العذاب من العوارض والفوادح التي تطرأ على البدن وعلى الروح، ولكن المدرك للعذاب ومركز الإدراك هو الروح، ولذلك عندما يقال عذاب روحي وليس عذاب البدن تارة يراد من ذلك أن البدن لا يدرك العذاب وإنما الروح هي التي تدرك العذاب الذي يحل بالبدن، والآلام والفوادح التي تحل بالبدن، فهذا صحيح أن مركز الإدراك هو الروح، وأخرى يراد انه عذاب

روحي وليس ببدني وكأنه لا يجري شيء على البدن ولا يتوسط البدن، وتعيش الروح في حالة احتباس معنوي فهذا حصر للعذاب بالعذاب الروحي وهذا غير صحيح.

المحاور: بالنسبة للتمتع بالجنة كذلك؟.

الجواب: كذلك بالنسبة للتمتع بالجنة هناك تمتعين، تمتع بتوسط البدن وتمتع مباشر للروح.

المحاور: وإذا اعترض معترض وقال أن كل الموجودات لها مرتبة من الشعور والبدن هو من هذه الموجودات، يعني الجانب المادي أو الجسدي من الإنسان، هل أن هذه المرتبة الشعورية لها ما يناسبها من التمتع والعذاب للبدن؟.

الجواب: وجود الشعور في المادة الجسمانية محل اختلاف عند الحكماء والفلاسفة حتى أن ملا صدرا مذهبه في كتبه متذبذب على كلا القولين فلو بنى على تصوير الشعور في المادة الجسمانية أو شبه ذلك فبالتالي التصوير الموجود يرجع إلى أن هذا البدن ولكل بدن ولكل مادة جانب تجردي هو يدرك به فيرجع إلى الروح.

المحاور: إذا كان من جزاء المؤمن في الجنة الحور العين فما هو حال المؤمنة؟ هل لها جزاء مماثل أم توجد فروقات في أنواع المتع في الجنة بسبب نوع الجنس؟.

الجواب: الوارد لدينا في روايات أهل البيت عليهم السلام هو أن المؤمن يعطى هناك أربع نسوة من المؤمنات ويكون من نصيب المؤمنة المؤمن فلكل مؤمن أربع نسوة حتى أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم زوجاته الأربع في الجنة كما ورد في روايات أهل البيت خديجة بنت خويلد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وكلثم أخت النبي موسى. إلا علي بن أبي طالب بأعتبار انه يكفى بفاطمة الزهراء سلام الله عليها. وقد روي عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((إن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران وامرأة فرعون وأخت موسى))[1].

لمحاور: ولكن الاعتراض أيضاً يرد بإعتبار إن التعدد هو من خصوصيات عالم الدنيا لضرورات اقتضتها نشأة الدنيا، هذا التعدد ما هو حكمته في الآخرة؟.

---

(١) الفيض القدير في شرح الجامع الصغير، ج٢: ٣٠.

الجواب: هناك نوع من التوازن لان هذا البعد هو بعد جسماني وليس بعد روحي معرفي، وإلا في البعد الروحي والمعرفي هناك استواء بين الرجل والمرأة.

المحاور: هذه نقطة مهمة لو تزيدوها توضيحاً؟.

الجواب: يعني في الجانب الروحي والمعنوي هناك موازاة يعني حسب رقي الروح ومرتبتها الكمالية تكون لها متع متناسبة معها سواء كانت الروح ذكر أم أنثى، لكن هذا الأمر يرتبط بالجانب البدني وبعد جسماني محض ليس يكترث به كثيراً، كثير خطب مما يثير صخبه. الفكر الغربي بسبب رسوخه في الجانب المادي الشهوي البدني والذي يجعل من ذلك اكبر دعامة يقاس بها الشرف ويقاس بها مقام الإنسان، والحال أن مقام الإنسان في علمه وعقله وشرفه وشخصية الإنسان في الدرجات العليا من الروح لا بالدرجات النازلة في ذات الإنسان، الدرجات النازلة في ذات الإنسان لا يفترض بها أن تكون ميزاناً أساسياً في قيمته وتقويمه، كأن نقول أن الإنسان كم مرة يقضي وطره في جانب البطن، هذه ليست قيمة الإنسان بأعالي درجاته لا بأسافله، كما ورد في الحديث النبوي عند الفريقين: ((إنما قيمة المرء بعقله ومنطقه وقلبه لا بكبكبه وذبذبه)) يعني الفرج والبطن. ولا يقاس المساواة والموازنة بين الجنسين بالجانب السفلي في الأنثى والذكر وإنما بالجانب العقلي.

المحاور: المقصود التكامل الروحي؟.

الجواب: ومن ثم لاينظر للمرأة في دين الإسلام ولا سيما في مدرسة أهل البيت عليهم السلام وشخصيتها من جانب بدنها أوالبيئة التي تفسح لجسد المرأة أن تخوضه أولا، إن كانت تخوض هذا المجال أو ذاك المجال، إنما المجال هو في جانب الشخصية والعلم والعقل والمعنوية وهذه الأبواب على السواء مفتوحة لكل من الصنفين.

المحاور: السؤال عن مضمون الآيات الكريمة التي تصف أن النار محيطة بالكافرين، هل أن هذا الأمر يكون في عالم الدنيا ايضاً أم يختص بالعوالم ، وما معنى إحاطتهم إذا كانت إحاطة في الدنيا ايضاً هل أنهم يتعذبون بالنار فعلاً بالحياة الدنيا؟.

الجواب: في الحقيقة مصب السؤال يمكن أن يصاغ بهذه الطريقة، إحاطة نار جهنم الأخروية بالكافرين أو بالعصاة هل هي متزامنة وهم في نشأة دار الدنيا أم لا وإلا فنار

جهنم ليس لها هنا بروز وظهور كامل، نعم بنحو متزامن يمكن أن يكون صحيحاً وعلى أي تقدير يجب أن نلتفت إلى أن الإنسان بطبيعته موجود في نشأت متعددة بنحو متزامن، نحن الآن في تواجدنا في دار الدنيا لنا نوع من التواجد والعيش في البرزخ والآن وكما لنا تواجد عيش وحياة في الدنيا وفي البرزخ لنا ايضاً تواجد وعيش ومعيشة في الدار الآخرة، طبعاً لا نلتفت إلى تلك الطبقات من وجودنا ووجود ذاتنا وطبقات الروح المتعلقة بتلك العوالم، لا نستشعرها بشكل تفصيلي وبشكل واعي ولكن بشكل إجمالي، وربما بشكل يعبر عنه في التعبير الحديث بالشعور في اللاوعي اذاً الإنسان هو موجود ومبنى وجوده ذوطبقات ففي حين جزء منه وطبقة منه تعيش وتتواجد في دار الدنيا جزء من أرواحنا وذواتنا متعلقة بالبرزخ وثالث منا متعلق ايضاً بطبقة أخرى بالآخرة فبالتالي اذاً تعلقنا بأغصان شجرة الطوبى في الجنة أو ـ لا سامح الله ـ بأغصان شجرة الزقوم وهي نار جهنم تتحقق هذه الارتباطات وهذه العلائم بين أرواحنا وذواتنا، في هذا الآن الذي نعيشه في الدنيا ولكن بلحاظ تلك الطبقة الوجودية من وجودنا المتعلق بتلك النشأة والمعيشة وذلك العالم، فبالتالي محيطة الآن ولكن بطبقة وجودنا الذي يتعايش مع ذلك العالم.

المحاور: بأعتبار أن الفكرة دقيقة بعض الشيء اذاً من خلال مثال تمثيلي يعني كحال الذي مثلاً لا يشعر بالبرد رغم أن البرد يصيبه لحالة معينة أو غفلة معينة لشرود الذهن مثلاً وهو لا يشعر ولا شك أن البرد يؤثر فيه ولكن نتيجة لشرود ذهنه إلى مكـان آخر هو لا يشعر بالبرد؟.

الجواب: نعم هذا المثال ذكروه وذكر من اجل أن الإنسان شرد ذهنه وتمركزت حواسه إلى جانب معين يفقد الشعور والحواس بجانب آخر، كما في شدة الفرح أو في شدة الحزن في هذه الحالات تستقطب حواس الإنسان وتمركزها في جانب معين وينقطع إحساس الإنسان ببدنه في جوانب أخرى.

المحاور: يعني بأعتبار أن الحياة الدنيا هي بطبيعتها شادة تشد الإنسان ومظاهر الدنيا ومظاهر لذائذها هل يمكن الاستفادة من هذا المعنى؟.

الجواب: نعم هذا مثال تقريبي للحواس، أما لو أردنا أن نمثل مثالاً أعمق لكيفية تواجد الإنسان لنشآت معاً، ولنأخذ مثال النائم، النائم يرى عوالم وشؤون في رؤياه عظيمة ومهولة ثم لما يستيقظ يسائله من حواليه، أين كنت، وماذا رأيت، وماذا انتابك، وماذا طرأ عليك، هو يحس انه كان في عوالم وعالم ونشأة كبيرة جداً وربما رأى من الحقائق ما تتحقق مستقبلياً وهم لا يعرفون انه نفذ إلى عالم آخر ورجع إلى بدنه، هذا التلاحم والتواصل بين العوالم في أنبوبة وجود الإنسان في طبقة ونافذة وبوابة ودهليز، وهذه البئر العميقة من روح وذات الإنسان تمثل وتجسد علائق ونشآت متعددة، غاية الأمر لا يركز ولا ينشد إليها لانشداده وانشغاله لهذه النشأة وإلا فهي موجودة أما بالنسبة إلى آثار إحاطة جهنم أو إحاطة الجنة....

فقد ذكرت جملة من الآثار في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة من العلقة التي تتسبب لها الذنوب والأعمال السيئة، وبالتالي الارتباط والاتصال والوصال بشجرة الزقوم، منها سلب البصيرة الفطرية التي هي من أثمن الودائع التي خلقها الله وأودعها في فطرة الإنسان ومنها ازدياد قوة الغرائز المهيجة الضاغطة على قوة العاقلة وقوى حكمة الإنسان وبالتالي تكون تلك القوى أميرة وقوى الخير للإنسان أسيرة، ومن تلك الأمور ايضاً التي ذكرت في الآية الكريمة إذا استتمت إحاطة الذنوب استتمت إحاطة النار، بقلب الإنسان وذات الإنسان وبالتالي يستوجب النقمة والطرد من الرحمة وبالتالي ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾[1] يصل إلى مراتب أسوأ أكثر فأكثر ويستوجب نزول كثير من النقمات الإلهية تتبع بعضها البعض ويتمادى به الأمر إلى الطامات والكبائر.

المحاور: هناك أكثر من آية تتحدث عن ربط الخلود في النار والجنة بما دامت السموات والأرض إلا ما شاء الله والسؤال عن هذا الاستثناء هل يفهم منه انه يعفو الله عن الكافر فيخرجه وينهي حالة الخلود. ثم ما معنى هذا الاستثناء بالنسبة للمؤمن؟.

---

(١) الروم: ١٠.

الجواب: ربط نشأة الجنة ونشأة النار بدوام السموات بأعتبار انه ورد في جملة من الروايات عند الفريقين أن الجنة لها تكوين في عالم السموات وكل سماء برحاب مادونها تسع مادونها وزيادة بلا حدود وبلا مقايسة، كما ورد أن السماء الأولى بجنب سعة السماء الثانية كحلقة حديدية صغيرة ملقاة في صحراء مفازه لا يدرك منتهي افقها الإشارة إلى أن هناك تضاعف في المساحة والحجم والمقدار، وهذا التفاوت في نسبة المقدار والحجم في الحلقة والصحراء المترامية الآفاق بين كل سماء وأخرى وربما يعبر بعض أصحاب المعرفة أن المراد من كل سماء وسماء أخرى في حين العلو، العلو هو يعني النشأة والنشاءات تعتبر تلك النشأة ألطف وأوسع واشد قوه وطاقة، وكثير ما يعبر عنها علماء الروح الجدد المحدثين بأن هناك نوع من العوالم الأثيرية الألطف والألطف والأشد قوة والأشد مساحة والأشد سعة، اذاً هذه عوالم سبعة السموات السبع والارضين السبع في حين نسبتها لبعضها البعض هائلة جداً غير ميسرة للقياس إلا أن هناك نسبة معينة قد تكون تعلقية جغرافية فيما بينها ايضاً ولكن هي عوالم سبعة متلطفة في بعضها البعض أو قل في أعماق الوجود لكل منها في البعض الأخر.

المحاور: هل بعضها يكون باطناً للبعض الآخر في حالة الظاهر والباطن؟.

الجواب: إذا أردنا أن نخفف كلمة الباطن في اللغة العصرية نقول أثيري نافذ في الموجود الأغلظ ونفوذه ذوسعة ومساحة ولايمكن عدها في الحسبان المقايس بالوجود الغليظ الأصغر اذاً السموات السبع ايضاً هي عوالم أثيرية ألطف فألطف داخله في بعضها البعض تزداد سعة، والآن الأبحاث الفيزياوية الناعمة الظريفة في الأجسام الناعمة الظريفة يمكن أن تصغر مئات المرات، أو أن تبرز أن المواد مختلفة والطاقات مختلفة وأحكامها الفيزيائية مختلفة عن بعضها البعض، فيشاهد من دلالة الآيات أن الجنة كائن في السموات فوق السماء السابعة أو برحاب فيها مع اختلاف جنات عن جنة الفردوس والجنان مختلفة طبقات وعوالم، اذاً فهي مرتبطة بنشأة السموات من هذه الجهة، كما أن في جملة من الروايات أن نشأة جهنم مرتبطة بالسموات والارضين الدونية بأعتبارها عوالم النزول وان كان نشأة جهنم ايضاً من حيث الطاقة واشتدادها اشد من المراتب للكائن الأرضي بفارق

هائل، كما ورد انه قدرة النار في البرزخ لا يتحملها دار نشأة الأرض فكيف بنار الآخرة فالربط بين الجنة والنار ونشأة السموات والأرض هذا ربط واضح بأعتبار البيئة والارتباط البيئي، أما الاستثناء في إلا (ما شاء الله) فالحقيقة أن كل تقدير وقضاء قد جف القلم بتقديره وإمضاءه هذا لا يعني سلب قدرة الله (عزوجل) هذا هو فلسفة البداء عند أهل البيت عليهم السلام انه لا يحكم على الله شيء، ففي حين هو قضى وقدر ودبر وابرم إلا أن ذلك لا يعني سلب قدرة الله فيما قد قضاه ودبره لأنه هو قادر فيما يقدره بأقدر مما تكون في القدر والقضاء بالتالي لم تزل الإرادة الإلهية فوق كل شأن، وكل قضاء ابرم وقدر حتم فهنا تأتي اذاً المشيئة، المشيئة في الحقيقة عالم من عوالم الخلقة الإلهية تحيط بإبرام القضاء وحتم القدر وما شابه ذلك، من ثم المشيئة تحيط بكل شيء إلا ما شاء الله للشيء والأشياء غير الكائنة أيضاً ولذلك ترتيب العوالم هي شاء وعلم وقضى وأراد وقدر تأتي عوالم القضاء والقدر والتقدير فيما بعد هيمنة عالم المشيئة، عالم المشيئة الإلهية عالم مهيمن محيط بالعوالم الأخرى وبالتالي هو يمثل مدى القدرة الإلهية والمشيئة الإلهية التي تحيط بكل شيء وهي قاهرة لكل شيء.

معراج النبيﷺ

المحاور: السؤال عن حديث المعراج معراج النبي الأكرم ﷺ ومن انه رأى طبقات من المنعمين ومن المعذبين في الجنة والنار، فمن هؤلاء، وكيف رآهم، وهل كانوا صور حقيقية، وهل أنها أمور رمزية تشير إلى مستقبل الإنسان عندما يصل إلى الجنة وكيف يكون ذلك معذبون أو منعمون؟.

الجواب: المعراج كما ورد بذلك بنص القرآن الكريم في سورة النجم وسورة الإسراء، وورد في روايات الفريقين ايضاً أن النبي ﷺ عرج بجسده وروحه إلى دار الآخرة، ودخل الجنة وشاهد كثير مـــن مشاهد الآخرة وفي مدرسة أهل البيت عليهم السلام أن الجنة والنار الأخروية هما في الآن الراهن مخلوقتان.

المحاور: الأخروية مقابل أي شيء؟.

الجواب: مقابل النشأة البرزخية ومقابل نشأة دار الدنيا.

المحاور: الجنة والنار التي يكون فيهما خلود للمؤمنين وللكافرين كلتاهما مخلوقتان؟.

الجواب: دار الآخرة ليس عالم سيخلق وان كان انتقال أهل الدنيا إلى دار الآخرة يحتاج إلى قيام القيامة عليهم، وأما نفس دار الآخرة فليس موجود حادث في الآتي، ومن ثم ورد في خطبة النبي ﷺ في شهر شعبان[١] وغيره أن أهل الحسنات والطاعات الآن يتعلقون بشجرة طوبى وان أهل المعاصي والسيئات الآن يتعلقون بشجرة الزقوم.

المحاور: وان أبواب الجنان مفتحة... وأبواب النيران مغلقة....[٢].

الجواب: نعم هذا بالنسبة إلى أوصاف شهر رمضان، وأيضا ورد حول ذلك في المنافق انه مات عن عمر يناهز الثمانين عاماً أو السبعين فلما مات سمع النبي هدّة وهي سقوطه في قعر جهنم وأمثال هذه الروايات كثيرة جداً نقرأ، نظير ذلك الأنصاري الشاب الذي فتح

---

(١) مفاتيح الجنان:١٦١. دار التعارف، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٥ م.

(٢) المصدر السابق: ١٧٤.

الله بصيرة قلبه فرأى أهل الجنة يتنعمون وأهل النار يعذبون وان منهم أراد أن يكشف من صحابة النبي عن أهل الجنة وأهل النار ونص الرواية عن أبي عبد الله ﵇ قال:أستقبل رسول الله ﷺ حارثة بن مالك بن النعمان فقال له: كيف أنت يا حارثة؟ فقال: يارسول الله أصبحت مؤمناً حقاً، فقال رسول الله ﷺ ياحارثة لكل شي حقيقة، فما حقيقة قولك؟ قال: يارسول الله عزفت نفسي عن الدنيا، وأسهرت ليلي، وأظمأت هو أجري، وكأني أنظر إلى عرش ربي وقد وضع للحساب، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون في الجنة، وكأني أسمع عواء أهل النار في النار، فقال رسول الله ﷺ: عبد نور الله قلبه للإيمان فأثبت، فقال: يارسول الله أدعوا الله لي أن يرزقني الشهادة، فقال: اللهم أرزق حارث الشهادة، فلم يلبث إلا أياماً حتى بعث رسول الله سرية فبعثه فيها، فقاتل فقتل سبعة أو ثمانية ثم قتل [1].

المحاور: علامة المتقين...

الجواب: اذاً روايات عديدة موجودة في حديث الفريقين كلها دالة ومدللة على أن الجنة والنار الآن الراهن مخلوقتان، وان النبي ﷺ عرج به إلى دار الآخرة بل إلى ما فوق الجنة والنار وما شاهد من آيات ربه الكبرى.

المحاور: السؤال الآخر هو أن القيامة الكبرى لم تقم بعد فمن الذين رآهم وأي صور رآهم فيها؟.

الجواب: طبعاً لانحسب أن أهل الجنة وأهل النار هم الطبيعة البشرية في الدورة التي نحن فيها فقط، بل هناك قبل خلقة آدم أبو البشر وبنيه كانت خلقة مخلوقات سابقة وقد يعبر عنها في روايات أهل البيت بأن قبل أدمكم ألف ألف آدم، فعن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت علي أبن الحسين ﵇ يقول: ((إن الله خلق محمداً وعلياً والطيبين من نور عظمته، وأقامهم أشباً قبل المخلوقات ثم قال: أتظن أن الله لم يخلق خلقاً سواكم؟ بلى والله لقد خلق الله ألف ألف آدم وألف آلف عالم، وأنت والله في آخر تلك العوالم))[2]. فأهل

---

(١) المحاسن للبرقي ج١: ١٦٥ باب اليقين والصبر في الدين، تفسير الرازي ج١: ١٢٣.

(٢) البحار ج٢٥: ٢٥.

الجنة وأهل النار دورات خلقية كانت لله (عزوجل) من قبل. ثم إن ما ذكر في روايات المعراج من أن النبي ﷺ شاهد من أمته أو من الأمم السابقة فهذا يبين كيفية تجسيم الأعمال.

المحاور: يعني يكون الإنسان وهو على الحياة الدنيا معذب بالنار؟.

الجواب: ولكن لا يشعر بالعذاب نظير الإنسان الذي لو أصيب بجرح وكسر ولكنه في خضم حرارة حديث أو حرب محتدمة فلا يشعر بالجروح وأذى الجروح، وبعد أن يعود إلى حواسه والى تركيز التفاته يبدأ يشعر بالألم والجرح وشدته فهذا مايحدث إلى طبقات الذات الوجودية للإنسان المرتبطة بنشآت عوالم أخرى إلا أن الإنسان منشد تركيزه على بدنه الدنياوي فقط.

المحاور: يعني يخرج من حالة الغفلة وسكرة الحياة الدنيا؟.

الجواب: كما تشير إلى ذلك الآية الكريمة: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[1]، فيدل على أن الأمور كانت من قبل لكن الإنسان لا يشعر بها، وبالتالي كما مر بنا أن الإنسان وجوده ذو طبقات وجودية كما أن بدنه الدنيوي الآن ونشأته الدنيوية إلا أن طبقات ذاته من روحه وقلبه هي متعلقة بنشآت متجانسة متناسبة في اللطافة والرقة مع تلك الوجودات، وبالتالي له تعلق بتلك العوالم وله مباشرة وله ملابسة بنحو من الأنحاء وله تدبير.

---

(١) ق: ٢٣.

المرور على الصراط

المحاور: ماهي قضية المرور على الصراط يوم القيامة. وما هي حكمة المرور على الصراط يوم القيامة، وهل أن الإنسان مرهون بعمله الذي عمله في الحياة الدنيا، فما حكمة التعرض لاحتمال السقوط هنا أو هناك يوم القيامة إذا سار على الصراط بصورة غير صحيحة؟.

الجواب: أن الصراط في الحقيقة هو تجسم وتمثل لنهج اعتقادات وأعمال الإنسان وان الإنسان في كل عمل يزاوله يخطو ليس خطوة للموت فقط في الواقع بل يخطو إما لسبيل الجنة أو النار: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴾[1] ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[2] فالنجد اذاً ((آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق))[3]، ونصوص في القرآن وفي سنة النبي ﷺ وأهل بيته الكثيرة الدالة على أن الإنسان ليس في حالة حياته في دار الدنيا يعيش ضمن مسار وحركة بدنية، بل هو في الواقع في ضمن مسار وحركة روحية وأجسام أخرى من عوالم أخرى يديرها ويدبرها الإنسان وهو في حالة طي منازل في تلك العوالم وان لم يشعر بهذا لكنه في حالة طي المسافات من تلك العوالم وبعد الممات أو عند قيام القيامة الكبرى يشاهد حينئذ ما قد طواه ويشاهد مشاهدات أخرى لنهج أعتقاداته ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ هي كلها تجسمات وتمثلات لما قد طواه فمن ثم كل عمل صالح وكل عقيدة صالحة يوجب رفعة تلك الدرجات وذلك العمل، والإيمان يسبب اختلاف لأفراد البشر في كيفية طيهم لذلك الصراط. فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: ((الناس يمرون على الصراط طبقات والصراط أدق من الشعر ومن حد السيف، فمنهم من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر مثل عدو الفرس، ومنهم من يمر

---

(١) الإنسان: ٣.

(٢) البلد: ١٠.

(٣) تاريخ دمشق لأبن عساكر، ج ٢٤: ٤٠١.

حبواً، ومنهم من يمر مشياً، ومنهم من يمر متعلقاً قد تأخذ النار منه شيئاً وتترك شيئاً))[1]
هذه كلها في الواقع ترسم خط بياني متجسم بما قد أنجزه الإنسان وطواه فيتمثل له حينئذ، والصراط هو الجسر الرابط بين النشآت السابقة من دار الدنيا والبرزخ والآخرة وينشأ ويرتبط من متن روح الإنسان وذاته وجسده جسر وجودي رابط بين ذات الإنسان والعوالم ولامحال، ومن الضروري واقعيته وحقيقته وكونيته ولابد أن يشاهده الإنسان، ولاطفرة في انتقال الإنسان من عالم الدنيا إلى عالم البرزخ، ومن عالم البرزخ إلى عالم الآخرة، إذ لاطفرة في معادلات الوجود وسنن الله (عزوجل) وهي مدارج وأسباب ومسببات، والصراط اذاً ضرورة واقعية وحكمية وفلسفية ودالة على وجود الارتباط الوجودي بين ذات الإنسان وما يكتسبه من أعماله وعقائده ومعارفه، تربطه وتطوي به المنازل في تلك النشآت.

المحاور: يعني هنالك ارتباط بين السير على الصراط وعمل الإنسان في هذه الدنيا إذا كان عمله جيداً يمشي بسرعة ولا يقع في شفير النار نتيجة لعمله هذا صحيح؟.

الجواب: نعم الصراط يمثلونه بنفس المسافة في تعبير ملا صدرا في تفسيره العقلي، المسافة التي يطويها الإنسان في حركته الذاتية التكاملية، هذه المسافة هي نفسها الصراط، لتكامل الإنسان في ذاته إما لنجد الخير أو لنجد الشر والعياذ بالله، فالصراط عبارة عن مسافة فهل يمكن أن يتصور الإنسان انه يتكامل من دون مسافة تطويها النفس في حركة التكامل وفي هذه الأبعاد.

المحاور: إذن يمكن أن نقول أن المشي على الصراط هو قراءة من الله للإنسان لما عمله ولما سار به؟.

الجواب: لطيه منازل خير ومنازل شر ولنسبة السرعة في طيه وفي القوة والضعف وهلم جراً.

---

(١) البحار ج٨: ٦٤.

الحوض والصحابة

المحاور: هناك سؤال بشأن الحديث الذي روي عن طريق الفريقين على ما يبدو، وهو حديث الحوض، ((عن أنس بن مالك أن النبي قال: ليردن علي الحوض رجال ممن صاحبني حتى رأيتهم ورفعوا ألي أختلجوا دوني فلأقولن أي رب أصحابي أصحابي، فليقالن لي إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك))[1]، والسؤال كيف تنسجم (إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك) مع كونه ﷺ شاهداً على أعمال الأمة حتى بعد وفاته ولا يختصر الأمر بحضوره، هذه عقيدتنا فيه خاصة انه الشهيد على الشهداء من الأولين والآخرين يعني الشهداء على أعمال الأمة فكيف يحل هذا التعارض الظاهري؟.

الجواب: أضيف إلى هذا التساؤل أن المنشأ الآخر للتساؤل هو أن النبي ﷺ كان قد أخبر عما يجري بعده في أحاديث الفريقين، هذا الحديث نفسه إخبار من النبي قبل وفاته فأذن هو (صلى الله عليه وأله وسلم) يخبر عما هو آت.

المحاور: يعني هذا الإخبار يمكن أن يكون عامل لحمل هذه العبارة لغير المعنى الظاهر، يعني عبارة ماذا أحدثوا بعدك.

الجواب: نعم اقصد أن هذا الحديث النبوي الذي يطلعنا وينبئنا ويعلمنا بمشهد عظيم من يوم القيامة من الذي اخبرنا به، هو النبي ﷺ قبل وفاته، فكان يعلم بما يجري حتى انه قد روى مسلم في كتاب الفتن أن النبي ﷺ بمشهد من المسلمين قد ذكر لهم معظم الفتن الخطيرة إلى يوم القيامة، وحفظها حذيفة، فإذن النبي ﷺ عالم بذلك قبل الوقوع فكيف مع الوقوع، وكيف بعد الوقوع، اذاً هذا التساؤل من النبي تساؤل التقرير أو سحب التقرير من الطرف الآخر للاستنكار والتعجب، وليكن نوع من المداواة لهم انه كيف انتم مع هذه الصحبة للنبي ﷺ وهذا الجهد الذي قدمه سيد الأنبياء لكم من التربية ومن التعليم، ومع ذلك خالفتم أمره وأحدثتم ما أحدثتم في الدين وما شابه ذلك.

---

(١) صحيح مسلم ج٧:٧٠، باب إثبات حوض نبينا (ص) وصفاته.

المحاور: عفواً، الآن جاء في ذهني الخطاب القرآني لعيسى في سورة المائدة، هل يمكن أن يكون هذا من هذا النمط؟.

الجواب: نعم أنا كنت في صدد ذكره ايضاً ﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾[1] على أية حال هذا سؤال العارف من باب الاستنكار أو ماشابه ذلك من الدواعي الأخرى وهناك موارد أخرى موجودة.

---

(١) المائدة: ١١٦.

الرجعــة

المحاور: كيف نفسر عقيدتنا، عقيدة مدرسة أهل البيت عليهم السلام في الرجعة، والرجعة تكون عودة من البرزخ إلى عالم الدنيا مع أن المنطق القرآني يصرح برفض قول القائل: ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[1] أي مـــن البرزخ إلى الدنيا فكيف نجمع بين هـذه العقيدة ـ عقيدة الرجعة ـ وإحياء الأموات في هـذا العالم وبين هذه الآية الكريمــة؟.

الجواب: في الحقيقة هذه الآية: ﴿كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾[2] ليست خاصة بالبرزخ، بل هي واردة في من يعذب يوم القيامة لأنه لا يرجع إلى دار الدنيا كي يصلح ما كان قد فسد منه، لأنه لما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾[3] فالحكمة اقتضت إذن أن يلاقي جزاءه إلى أن يتطهر أن كان له قابلية التطهير، وإلا والعياذ بالله يخلد في دار جهنم. معاني هذه الآية مخصوصة بمن يدخلون النار، نار الآخرة في دار الآخرة وليست لها أي ارتباط بعالم البرزخ.

المحاور: يعني هي في مورد الحساب كأنه ما بعد البرزخ؟.

الجواب: نعم، ما بعد البرزخ لما يلاقي العذاب والأهوال فيتندم عما صدر منه، مع أن...

المحاور: مع أن في البرزخ ايضاً هناك عذاب، البرزخ حفرة من حفر النيران أو هو روضة من رياض الجنة؟.

---

(١) المؤمنون: ٩٩ـ ١٠٠.

(٢) المؤمنون: ١٠٠.

(٣) الأنعام: ٢٨.

الجواب: لا ننفي ذلك ولكن سياق الآية ظاهر في الدار الآخرة، ولو فرض سياق الآية في أهل البرزخ فلا تنافي ايضاً، لان ما ورد في الآيات والروايات من أن في دار الرجعة تكاملاً ولكن ليس الاختيار يبقى كما هو عليه في دار الرجعة.

المحاور: يعني له أحكام خاصة بعالم الدنيا؟.

الجواب: كما يظهر من الآيات والروايات أن دار الرجعة حيث تكون هي في منتهى مطاف نشأة دار الدنيا تتسم حينئذ ببعض الأحكام البرزخية وبعض الأحكام الدنيوية...

المحاور: يعني عالم بين بين...؟

الجواب: يعني هي من نشأة دار الدنيا ولكن تكاد تكون مشرفة على الآخرة ومشرفة على دار البرزخ ومن ثم ورد في زيارة آل ياسين زيارة الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) تأويل هذه الآية انه ترفع التوبة وما شابه ذلك ﴿لا يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً﴾[1]. مما يدلل على أن كثيراً من الآيات يقرأها المسلمون ويظنون انها مرتبطة بدار الآخرة بينما هي مرتبطة بعالم الرجعة التي هي من مشارف منتهى دار الدنيا. وعلى أي تقدير لو كان بين هذه الآية تصادم وآيات الرجعة لكان هناك تصادم بين جملة من الآيات التي دلت على أن هناك من ماتوا وارجعوا إلى دار الدنيا كعزرا ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾[2] وكذلك: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾[3]. وموارد عديدة أخرى مما يدلل على انه ليس هناك تنافي بين مضمون الآية وحكم الرجعة، لو افترض أن هذه الآية واردة في حال البرزخ، لان في الرجعة يتكامل أهل الإيمان في إيمانهم ويتكامل الأشرار ـ والعياذ بالله ـ في جحودهم وعنادهم.

---

(١) الأنعام: ١٥٨.

(٢) البقرة: ٢٥٩.

(٣) البقرة: ٢٤٣.

المحاور: هذا الذي تفضلتم به هل يمكن أن يستفاد من حديث الإمام الصادق (سلام الله عليه) أيام الله ثلاث يوم ظهور قائمنا ويوم الرجعة ويوم القيامة يعني كأن هنالك يوم الرجعة يتمايز بأحكامه عن يوم ظهور الصاحب (سلام الله عليه) وكذلك يوم القيامة؟.

الجواب: نعم فيما ورد من روايات الفريقين حول أحكام دار الدنيا في ظل دولة ظهور الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، يدلل على انه أحكام الطبيعة في الدنيا تأخذ أبعاد لم تعهدها البشرية من قبل. مثلاً أنهم يزرعون صباحاً ويحصدون عصراً وإنهم يسافرون في الكواكب وطبقات الجو وما شابه ذلك ما يدل على أن تطور ومدنية البشرية تأخذ أحكاما لم تكن تعهدها من قبل، ومن ثم عرف وتشير إليه روايات أهل البيت عليهم السلام أن القيامة الصغرى بظهور المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) والرجعة القيامة الوسطى والآخرة هي القيامة الكبرى ومن ثم كان التقييد للقيامة والتعبير بالقيامة الكبرى في تعبير كثير من علماء المسلمين له منشأ روائي توصف بالقيامة الكبرى، وورد ايضاً في الروايات من الفريقين انه: ((إذا مات ابن آدم قامت قيامته)) مما يدلل أن الموت ليس قيامة كبرى، لكنه نوع من القيامة الأخرى فمن ثم كثير من آيات القيامة يحسبها المفسرون الذين لا يروون ولا ينتهلون من علوم أهل البيت(عليهم السلام) يحسبون أن تلك الآيات في القيامة واردة في القيامة الكبرى وقد تكون واردة في القيامة الصغرى وهي ظهور الحجة والقيامة الوسطى وهي الرجعة غير القيامة الكبرى والتي هي دار الآخرة.

المحاور: هل الرجعة ثابتة؟.

الجواب: أن عقيدة الرجعة عقيدة في مدرسة أهل البيت أصيلة متأصلة من الآيات القرآنية الكريمة ومن الروايات المتواترة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام، حتى أن المرحوم العلامة المجلسي صاحب البحار وصف العقيدة والاعتقاد بالرجعة في مدرسة أهل البيت بأنها ضرورة في هذه المدرسة وفي مذهب أهل البيت، والحر العاملي عنده كتاب في الرجعة جمع فيه من روايات الرجعة مايصل إلى ستمائة ونيف، وقد ألف الكثير من علماء

الإمامية في هذا الباب وربما هذا فريد من نوعه في الأمور العقائدية أن تجتمع الروايات بمثل هذا العدد المتكاثر، ولا نشاهد في كل زيارة ودعاء وارد مأثور عن أهل البيت عليهم السلام إلا وفيه إشارة إلى الرجعة بألفاظ متنوعة ومتعددة وإشارات كثيرة، هذا أمر بات واضحاً بحسب الآيات القرآنية والروايات الكثيرة الواردة.

المحاور: طيب فما هو المراد من الرجعة؟.

الجواب: لإكمال الجواب عن الشق الأول من السؤال لا بأس بذكر هذا المطلب، وهو أن أربعة من علمائنا المتأخرين من حكماء الامامية الاثني عشرية كالعلامة الطباطبائي، والمرحوم الشيخ محمد الشاه آبادي، والحكيم السيد أبو الحسن رفيعي، وآخرون بعد من متأخري علماء الامامية قد ذهبوا إلى أن الأدلة العقلية متوافرة على إثبات الرجعة، وقد تُنبهوا لها من بيانات الروايات والآيات وكتبوا في ذلك رسائل قيمة وبينة. وقد أفاض في ذلك العلامة الطباطبائي في كتاب الميزان[1] في بيان ضرورة الرجعة بأدلة عقلية متينة لطيفة، فلا تقتصر الرجعة على الأدلة النقلية بل عقلية أيضاً ولم يعهد ذلك سابقاً.

المحاور: باعتبار أن الأدلة النقلية كتب عنها ولكن الأدلة العقلية لم تذكر حبذا لو تبينوا لنا ملخص الدليل العقلي، يعني كيف يستدل عقلياً على قضية غيبية تعني الانتقال من عالم إلى آخر؟.

الجواب: في تأريخ مسألة الرجعة قديماً ما كان هناك تنبه والتفات إلى وجود الأدلة والبراهين العقلية عليها، كما هو الحال في المعاد الجسماني حيث كان يثبت بالأدلة النقلية فقط أو العقلية الممتزجة بالبراهين النقلية ولكن بعد قرون من سنين التفت الحكيم الملا صدرا (رحمة الله عليه) إلى إشارات في روايات أهل البيت عليهم السلام وفي الآيات تدلل على البرهان العقلي على المعاد الجسماني، الحال كذلك في عقيدة الرجعة على هذا المنوال، فان هناك جملة من الإشارات في الآيات الكريمة وفي الروايات ليست هي تشير إلى عقيدة الرجعة فقط بل تبين المعطيات والمقدمات العقلية ربما تكون خفية، ولكن إذا تبصر

---

(١) الميزان ج٢: ١٠٨.

والتفت إليها يتنبه الإنسان بالتالي إلى ضرورة الرجعة، ومن تلك الأدلة التي ساقوها هؤلاء الحكماء من علماء الامامية، أن الإنسان بالموت لا يصل إلى منتهى كماله الذي طينته البدنية أو الروحية قابلة لان تصل إليه، فكثيراً ما نشاهد مثلاً الموت الاخترامي، وكثيراً ما نشاهد معوقات البيئة معوقات الحالة الاجتماعية والحالة السياسية معوقات الحالة الأسرية، أقدار كثيرة مما تكون معوقة لأحد الأفراد أو لجملة من الأفراد من البشر، ربما تكون مفتوحة في مساحات واسعة لأفراد أخر فبالتالي كل طبيعة بشرية ليس من الحتمي انها قد وصلت إلى الكمال الممكن المنشود، وبطبيعة التزاوج الجوهري والتكويني بين الروح والبدن هذه العلقة بين الروح والبدن في الواقع لا يكاد يقع انفصال تام كما يتخيل لدينا عن حقيقة الموت إنه انفصال العلقة بشكل جذري وبشكل بائن وابدي بين الروح والبدن، في الآونة الأخيرة تشهد الكثير من التجارب عند علماء الأثير فضلاً عما تشير إليه الآيات والروايات أن الروح تبقى لها نوع علقة في البدن ولو بالطينة الأصلية للبدن.

المحاور: قلتم إن هنالك أدلة نقلية قرآنية وروائية، والروائية متواترة تربوا على المئات من الأحاديث وردت في مضمون قضية الرجعة إضافة إلى ذلك الدليل العقلي الذي قدمتم له مقدمة هي أن هنالك حالة من عدم وصول الإنسان المستعد إلى الكمال المقدر له بسبب عوامل خارجية في الحياة الدنيوية الأولى، كيف يستدل بهذه المقدمة على الرجعة بدليل عقلي؟.

الجواب: هذه المقدمة من كون النفوس ذات كمال بما لها من وجودات برزخية أو أخروية أو ما شابه ذلك لها كمالات ممكنة مقدرة منشودة، وإذا قررنا هذه المقدمة بضميمة مقدمة ثانية أخرى إلا وهي أن الأرواح والنفوس ليست علقتها مع الأبدان تنقطع بنحو بات مفارق فاصل ابدي بل في الحقيقة تبقى لها مع البدن والطينة الأصلية كثير من العلائق وهناك كثير من قنوات الارتباط بين الروح والبدن والشواهد على ذلك أكثر مما أن نستعرضها في هذا المقام ونستقصيها في هذه العجالة، سواء النقلية أو العقلية حتى بات الآن واضحاً عند علماء الأثير وعلماء البراسكلوجية وغيرها من العلوم الغربية الحديثة الروحية، أن هناك ارتباط شديد كثير يبقى بين الروح وبين البدن بل وبين مثوى البدن،

فالرجعة أمر هام يجب أن ننبه عليه، وهناك فارق شاسع بين عقيدة الرجعة وبين عقيدة التناسخ لان عقيدة التناسخ هو ذهاب الروح من بدن بتمامها إلى بدن أخر جديد في مولود جديد وطفل جديد، سواء من نسل الإنسان أو من المخلوقات الأخرى، بينما عقيدة الرجعة تنص على أن الروح ترجع إلى نفس البدن الذي قد انفصلت عنه جزئياً أو انفصلت عنه وبات رميماً ورماداً، اذاً هناك فارق بوني شاسع بين عقيدة الرجعة وعقيدة التناسخ وربما كثير من لا يحسن أن يقف على حقائق الأمور سواء من الفرق أو المذاهب الأخرى قد اختلط عليها الأمر بين التناسخ وبين عقيدة الرجعة، فان عقيدة الرجعة عقيدة حقانية وإلا لكان المعاد الجسماني ايضاً تناسخ والحال أن المعاد الجسماني بضرورة المسلمين وبداهة المعرفة عند المسلمين ليس تناسخاً، لماذا ؟ لان كل روح تبقى في بدنها المخصص لها سابقاً، كذلك الحال في الرجعة لذلك قد ربما يستوحى من بعض روايات أهل البيت عليهم السلام أو الآيات الكريمة أن الرجعة قيامة صغرى أو قيامة وسطى بخلاف القيامة الكبرى ومن ثم تقييد القيامة بالقيامة الكبرى يدلل على أن هناك قيامة وسطى وقيامة صغرى وانه نوع من المعاد وليس المعاد المصطلح الأخروي وهو القيامة الكبرى، وإنما هناك نوع من عودة الأرواح إلى أجسادها السابقة الخاصة المختصة المخصصة بها فبالتالي أن هناك فرق مع التناسخ، هذه المقدمة الثانية تقريرها لابد منه.

المقدمة الثالثة التي يجب أن يلتفت إليها. أن حكمة الله جرت ببراهين مذكورة في محلها ومقررة انه لا يخلق الموجودات بنحو لا تصل إلى غاياتها وإلا لكان هذا نقض للحكمة، ونقض للغاية، ونقض لهدف الخلقة، وسنة الخلقة، والحال أن الله (عزوجل) غالب على أمره، فإذن لابد أن يصل كل موجود إلى غايته المنشودة له، إذا تمت تلك المقدمات الثلاث يتضح ويبيت واضحاً انه لابد من عودة الأرواح إلى الأجساد حتى في نشأت دار الدنيا، وهناك نوع من المغايرة لعود الأرواح إلى أجسادها في دار الدنيا عند عودها إلى أجسادها في الدار الآخرة ولكن على أي تقدير هذا العود لأجل أن تستكمل الروح النشآت وتلك المراحل.

المحاور: يعني مراتب الكمال ما قدر لها من كمال فإن هذا يكون من لوازم لطف الله تبارك وتعالى؟.

الجواب: نعم وقد ضرب لذلك أمثلة كثيرة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾، وكذلك ضرب أمثلة في سورة البقرة ويقع في هذه الأمة ما قد وقع في الأمم السابقة كما يقول رسول الله ﷺ: ((يكون في هذه الأمة مثل ما يكون في الأمم السابقة، حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة))[1]، وكذلك عزير حيث: ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾[2]، فهذه كلها موارد ليست هي من معاد القيامة الكبرى ولا من التناسخ وإنما هي من موارد الرجعة ولو الرجعة في الأمم السابقة وستقع الرجعة في هذه الأمة.

---

(١) الأعتقادات في دين الإمامية للصدوق:٦٢.

(٢) البقرة: ٢٥٩.

امتحان السيدة الزهراء عليها السلام

المحاور: في زيارة الصديقة الزهراء عليها السلام المنقولة في كتاب مفاتيح الجنان ضمن زيارات المعصومين عليهم السلام، هذه العبارة (السلام عليك يا ممتحنة امتحنك الذي خلقك قبل أن يخلقك فوجدك لما أمتحنك صابرة)[١]، كيف يمكن أن يمتحن الإنسان قبل وجوده؟.

الجواب: الامتحان يتم في أصعدة متعددة هناك امتحان الهي يتم في مقام العلم كما يعبر الحكماء، أي أن الامتحان يتم من العالم بنفس المعلومة قبل أن تتوجد المعلومة خارج نطاق العلم، ولذلك مثالاً يتضح به الأمر مثلاً، ربما الزارع يريد أن يزرع بذوراً أو نمطاً من الزرع في أرضية صالحة حينئذ يصب هذا الزارع معلوماته حول أنواع وأنماط الزرع ضمن عالم المعلومات الذي يختزنه في ذهنه فحينئذ يقلب الموازنة يمنة ويسرى ويفاضل بين أنواع البذور وأنواع الزرع، وأيها الصالح ومنها الطالح مع أن تلك البذور لم تستحصل في الخارج وفي عين التربة إلا أن من خلال ما يمتلكه من معلومات وعلم يوازن ويقارن ويمتحن ويقدم ويؤخر في ضمن موازنة علمية دقيقة، هذا ما يقال عنه امتحان علمي وهذا يمارسه كل عالم وفي كل نطاق وكل معلومات قبل أن يقدم على أي فعل، من الضروري من يمتلك علم، العالم يمارس مثل هذا الامتحان وهذه الموازنة ومثل هذا الاصطفاء، هذا قد يقال عنه في لسان الوحي والروايات يعبر عنه بالاصطفاء في مقام العلم أو قد يعبر عنه بالانتجاب كما ورد عنه في خطبة الصديقة عندما كانت تنعى سيد الأنبياء أبيها صلى الله عليهما حيث قالت: ((أختاره قبل أن أرسله، وسماه قبل أن أجتباه وأصطفاه قبل أن بعثه))[٢]. ذلك فالانتجاب الإلهي والاصطفاء الإلهي يصب في نفس مصب معنى الامتحان، ويتم في صعيد العلم الإلهي اذاً الامتحان يكون في الصعيد العلمي لان الله سبحانه وتعالى عالم بكل المغيبات وبكل المستقبليات ويرسم نظامه، وسننه، وارداته،

---

(١) مفاتيح الجنان: ٣١٧، زيارة فاطمة الزهراء عليها السلام.

(٢) الأحتجاج: ج١: ١٢٠.

وأنواع مشيئته، وقضاءه، وقدره على ذلك العلم النافذ الغيبي الذي لا يحد ولا ينتهي وبالتالي يتم الامتحان والانتجاب والاصطفاء أولاً في صعيد العلم: (فيا ممتحنة امتحنك الذي خلقك قبل أن يخلقك فوجدك لما امتحنك صابرة). فضمن هذا العلم علم الله بالمستقبليات ومغيبات الأمور وتداعيات الذوات المختلفة، كل ذات طبيعتها وتداعياتها ومقتضياتها وسيرتها هي حاضرة في علم الباري بالمستقبل، فوجد الزهراء صابرة لما امتحنه بها.

رؤية آل البيت عليهم السلام يوم القيامة

المحاور: هل نحن نرى أهل البيت عليهم السلام في يوم القيامة. وهل يمكن أن يراهم كل البشر أم أن رؤيتهم محجوبة عنا ومختصة بأشخاص معينين؟.

الجواب: الظاهر هناك جملة من الروايات تقول أن رؤيتهم ليست ميسرة للجميع بل غير ميسرة لجميع أهل الجنة، يعني من يوفق لدخول الجنة وينجو من النار ليست رؤيته ميسرة لهم كلهم بل الرؤية ميسرة لبعض الناجين من أهل الجنة نتيجة خصائص بعض الأعمال الحسنة الصالحة يوفقون لرؤيتهم، لذلك عندنا في بعض الأعمال من عملها وفق لرؤية النبي صلى الله عليه وآله في عرصات يوم القيامة، وفي بعض الأدعية الدعاء بأنه اللهم وفقني لرؤيته والحشر معه والكون معه وما شابه ذلك.

المحاور: في دعاء الإمام الصادق عليه السلام المعروف في يوم عرفة (اللهم إني آمنت بمحمد صلى الله عليه وآله ولم أره فلا تحرمني في القيامة رؤيته)، يعني دعاء بطلب الرؤية؟.

الجواب: ايضاً هناك بعض الأعمال لرؤية سيد الشهداء عليه السلام في بعض الروايات، انه من عمل ذلك العمل وهو نوع من العبادات والطاعات الخاصة وفق لرؤية وجه الحسين عليه السلام في المحشر، فمما يدلل على أن رؤيتهم عليهم السلام ليست ميسرة للكل، وهذا ايضاً مأثور في أهل البرزخ، الكثير من المؤمنين الصالحين والعلماء الذين رؤوا في المنام وهم من أهل الصلاح والتقى وما شابه ذلك، وسئلوا عن رؤيتهم لأهل البيت الكثير منهم يذكرون بأنهم لم يوفقوا لرؤيتهم (عليهم السلام) غير من وصل إلى مرتبة خاصة في الإيمان ومرتبة خاصة من العلم والطاعة وان رؤيتهم تحتاج إلى طي مثلاً منازل معينة في البرزخ، أو طي مساحات وهذا أمر أستفيض مكاشفته عن أهل الصلاح والإيمان والتقوى من المؤمنين انتقلوا إلى تلك الدار ورؤوا في رؤى صادقة.

المحاور: ماذا بشأن الروايات التي تتحدث عن يوم المحشر فإنه قد روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: يخرج أهل ولايتنا يوم القيامة من قبورهم مشرقة وجوههم، مستورة عوراتهم، آمنة روعاتهم، قد خرجت عنهم الشدائد، وسهلت لهم الموارد، يخاف

الناس ولا يخافون، ويحزن الناس ولا يحزنون، وقد أعطوا الأمن والأمان وأنقطعت عنهم الأحزان، حتى يحملوا على نوق بيض لها أجنحة، عليهم نعال من ذهب شركها[١] النور، حتى يقعدون في ظل عرش الرحمن على منبر من نور، بين أيديهم مائدة يأكلون عليها حتى يفرغ الناس من الحساب[٢].؟

الجواب: هذه حق وصحيحة ولكن لا تعني رؤيتهم للمعصومين (عليهم السلام) بنحو الوضوح والقرب والتفصيل وبمستوى واحد.

المحاور: يعني بالنسبة إلى ما أشرتم إليه الرؤية في منازلهم أومجاورتهم في منازلهم وهذه رؤية عامة؟.

الجواب: حتى هذه الرؤية العامة في الحقيقة ليست رؤية واضحة بالنسبة إلى الرائي، ربما رؤية عن بعد ورؤية يعلم بوجودهم مثلاً.

المحاور: يعني لا يستفاد منها القرب؟.

الجواب: لا يستفاد منها القرب ولا التفصيل ولا على استواء درجة في التفصيل والوضوح، بمعنى انه يعلم انه في هذا الاتجاه في هذا الجمع هناك اشخاصهم عليهم السلام، لا يوفق بان يرى بنحو تفصيل أو بنحو وضوح.

المحاور: بالنسبة للروايات التي تتحدث عن حضورهم يعني رؤية المحتضر لهم تكون مسرة؟.

الجواب: قد استفاضت الروايات في ذلك وقد استفاض النقل عن المؤمنين الموتى وغيرهم في الرؤى التي حصلت معهم وذكروا أنهم شاهدوا عند الاحتضار ماهو المنقول في رواية أهل البيت عليهم السلام بشكل عام.

المحاور: العنصر الأساس هل يمكن أن يكون انها تكون راحة ومسرة للمؤمن وسبب للأذى والعذاب بالنسبة للكافر كما يستفاد من بعض الروايات؟.

---

(١) الشُرُك: جمع شراك وهو سير النعل على وجهها توثق به الرجل (تاج العروس ـ شرك ـ ٧: ١٤٩، مجمع البحرين ـ شرك ـ ٥: ٢٧٦).

(٢) قرب الإسناد: ١٠١، حديث: ٣٤١.

الجواب: نعم وقد أوثر ونقل كثيراً عن موتى مؤمنين صالحين من أهل العلم، أو أهل التقوى، أو أهل الخير، أن طبيعة عمل الإنسان توجب أن يوفق لرؤية خاصة لبعض المعصومين عند الاحتضار تعتمد على طبيعة عمله وطبيعة نمط توجهه.

المحاور: أخيرا هل يمكن أن يقال بان صدق المحبة لهم (سلام الله عليهم) هي العامل الأساسي الذي يوفق للرؤية، يعني المحبة والمودة إذا كانت صادقة لهم (سلام الله عليهم)؟.

الجواب: المحبة الشديدة والتولي لهم وما شابه ذلك هي تجر المحب والمؤمن لمشايعتهم في العمل ولمشايعتهم في الموقف ولمشايعتهم في الاعتقاد أن المحب لمن أحب مطيع، على أية حال فرق بين المحب وبين المشايع الذي يشايع آخر ويكون شيعياً له.

معرفة آل محمد عليهم السلام

المحاور: ما حكم الذين يموتون ولم يعرفوا أهل البيت عليهم السلام لعجزهم وعيشهم في مناطق نائية عن المناطق الإسلامية سواء كان في التاريخ المعاصر أو في القرون السابقة، ولماذا يحرمون من المراتب العالية التي تثمرها معرفة محمد وآل محمد عليهم السلام؟.

الجواب: أن الحساب والنتائج لا تحسم بمجرد ما يستغرقه الإنسان في عمره في هذه الدنيا بل هناك البرزخ لا سيما بالنسبة إلى المستضعفين الذين استضعفوا فكرياً عن مصادر المعرفة وما شابه ذلك، ستفتح لهم هناك سبل وفرص للمعرفة والامتحانات، جملة منهم ربما يرجع في الرجعة وهي مرحلة أخرى وشوط أخر من الحياة الدنيا وبالتالي هناك شوط أخير ومرحلة أخرى في يوم القيامة للذين لم تسنح وتصل إليهم تلك الفرص للاطلاع على تلك المعارف وتلك المصادر، هناك يقام لهم مجال وفرصة أخرى، موجودة في الروايات بالنسبة إلى مثل أطفال الملل الأخرى التي لم تتعرف على الإسلام ونبي الإسلام وأهل بيته أو ماشابه ذلك ممن هم في درجة متدنية من الاطلاع والمعرفة، نعم يبصرون وتفتح لهم جملة من أبواب المعرفة ويمتحنون من خلال ذلك.

المحاور: إلا يتعارض ما تفضلتم به مع كون الدنيا هي دار التكليف، يعني كيف يكون الأمر إذا تعرض عليهم معرفة وولاية محمد وآل محمد في عوالم ليست فيها تكليف يعني ليس فيها إمكانية القبول أو الرفض؟.

الجواب: بالنسبة إلى الرجعة هي من دار الدنيا وليست من البرزخ ولا من دار الآخرة، إما التكامل في البرزخ فالذي يظهر من الآيات والروايات أن هنا عمل بلا حساب وهناك حساب بلا عمل، ليس يعني ذلك أن ليس هناك تكامل، بل الذي يظهر من الآيات والروايات أن الذي قد حصل محصلة معينة من العمل والعلم يضاعف له عمله وعلمه ولعل هذه المضاعفة للعلم والعمل بالتكامل في البرزخ، لمن كانت لديه نوع من الحصيلة البسيطة الخيرة بكامل من أفضال الله وإنعامه، هناك تفتق وتتكامل وبالتالي في البرزخ أو قبل الحسم النهائي يوم القيامة ولعل هذا يدخل في ما ذكر في الوعد الإلهي من مضاعفة

الحسنات ومضاعفة الإجزال لمن هو خير، اذاً حينئذ التكامل البرزخي، أو التكامل في عرصات مراحل يوم القيامة غير منفي في الآيات والروايات، والذي هو منفي هو أن كما يقال المعرفة هنا المشاهدة هناك، يعني البذرة لابد أن تزرع وتحرث ها هنا ولكن سقيها وريعها وريها ليس من البعيد أن يستفاد من الآيات والروايات في كثير من النصوص، أن هناك نوع من التكامل لهذه البذور التي أنشأت هنا تتحقق ثمة ها هناك.

المحاور: يفهم من كلامكم انه لا حرمان لأحد من ثمار معرفة محمد وآل محمد وولايتهم عليهم السلام يعني لا من الأولين ولا من الآخرين؟.

الجواب: إما بالنسبة للأولين فها هو القرآن يفصح بأن الأنبياء بعثوا بالبشارة بنبوة النبي وأهل بيته في الأمم السابقة كما في سورة آل عمران: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[1]، أو غيرها من الآيات، كلها دالة على الأمور الأصلية العقدية والاعتقادية التي تطرح في الأمم السابقة، والأنبياء بعد توحيد الله لم يكونوا يؤصّلون نبوة أنفسهم كأصل ثاني في عقائد تلك البعثات السابقة بل كان يؤصلون نبوة سيد الأنبياء وولاية أهل بيته ثم تأتي بعد ذلك في الرتبة ذكر نبوتهم وهذا ما تفيده جملة من الآيات والروايات مما يمكن الاستشهاد بها على ذلك، بل كان نهج وسنة الأنبياء في الأمم السابقة على تأصيل إبلاغ وترسيخ التوسل بالنبي وتعليم أسماء النبي وأهل بيته، حتى أن اليهود هاجروا من الشام ومن بلاد الرغد ومن العيش الرفيه إلى جدب الحجاز ووعورة العيش، لأنهم كانوا يستفتحون على الذين كفروا بمجيء النبي صلى الله عليه وآله وسلم كم تشير الآيات.

---

(١) آل عمران: ٨١.

ميزان الأعمال

المحاور: أن الأعمال توزن يوم القيامة والوزن هل يكون أعمال المعصومين عليهم السلام تقارن بأعمال غير المعصومين وتأخذ الرتبة بما يتناسب مع أعمال المعصومين؟.

الجواب: نعم ورد أنهم هم الموازين القسط التي تقام يوم القيامة وتنصب وتوزن أعمال الناس وسائر البشر عليها، والميزان هو الشيء الذي يوزن به الشيء وكل شيء يناسبه ميزان معين، مثلاً من باب المثال نرى أن الدرجة الحرارية لا توزن بمكيال الأثقال وإنما توزن بذلك الزئبق الخاص الذي يقدر درجة ارتفاعها وهبوط الحرارة، وكذلك مثلاً نبضات القلب ودرجة ضغط الـــدم يوزن بجهــازآخر وبآلية أخرى، مثلاً ميزان الضوء كذلك ميزان شدة الرياح وقوتها كل بما يناسبه، كذلك ميزانٌ أعمال الإنسان، صفات الإنسان، ذوات الإنسان، ربما يظن الظان أن الميزان فقط ميزان الأعمال، بل هناك ميزان للصفات ايضاً، وهناك ايضاً ميزان للذوات.

المحاور: هل الميزان يعني ظهور حقيقة أعمال الإنسان في الحياة الأخرى أو في يوم القيامة؟.

الجواب: ما يظهر من حقيقة أعمال الإنسان وصفاته وعقائده هو بسبب أنها توزن بأعمال أو صفات أو ذوات أخرى معصومة.

المحاور: حتى العقائد؟.

الجواب: نعم حتى العقائد، فإن ميزان العقائد من ابلغ واهم واخطر الموازين يفوق بقية الموازين، فإن ميزان الصفات وميزان الأعمال لا يكون لها في جنبة ميزان عقائد الموازين خطب كبير، هو ذلك الميزان المهم والاهم، ولربما يبين أهل المعارف انه مثلاً البرهان ميزان وهذا ميزان في الإدراك والعلم الحصولي وفي التمثل الدنيوي وإلا ففي دار الآخرة تظهر التمثلات للموازين العقائدية بنحو أمور أخرى كثيرة، وقدْ رويت بعض الروايات في ميزان الأمور من أعمال وصفات وعقائد بنورانية روح الإنسان ونفسيته، وفي القرآن الكريم بين بعض هذه الإشارات والحالات والمشاهدات، هذه نوع من العلامات الميزانية

لبيان بعض الصفات أو بعض العقائد أو ما شابه ذلك، أو في علامة الكفر وتردي القلب في العقائد أن يختم على القلب أو يكون عليه وقر أو يكون سداً أمام بصيرة القلب وما شابه ذلك، ﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[1]، في الواقع هناك علامات وموازين متعددة في الجوانب العقائدية استعرضتها كثير من الآيات وسوف تتمثل ظهوراً في دار الآخرة.

المحاور: وكلها تقارن وتوزن مقارنة بعقائد المعصومين عليهم السلام؟.

الجواب: نعم. بالتالي تعرف انه الدرجات العشرة من الإيمان باعتبار ما للمعصوم من درجات عالية، فبالتالي يقايس ويقارن بالميزان إليه، ومن ثم مثلاً يقال من في الدرجة العاشرة أو الثامنة أو التاسعة أو الأولى، وما فوق درجات الإيمان تأتي درجات اليقين وما فوق درجات اليقين وبعدها، ثم درجات الإحسان، هذه الدرجات وهذه المقامات التي شرحت بعض الشيء في بدء خلقة النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم)، وهذه تعاود التمثل والظهور في الدار الآخرة ولربما ـ لا سامح الله ـ الإنسان لا يكون له نصيباً من بحور من الكمالات العقائدية في المقامات المختلفة وربما يكون له بعض الدرجات في مقام من المقامات، إما بقية المقامات والذي شاهد صحيفة أعماله القلبية أي صحيفة قلبه، أو صفاته، أو أعماله، وبالذات صحيفة قلبه إذا كانت خلواً من المقامات العالية في العقائد وإنما له نصيب من بعض الدرجات من أحد المقامات، إذ للمعرفة مقاطع ومقامات ومنازل ذاتية، وكمال الذات فضلاً عن الصفات والأعمال إنما تعرف بما للمعصوم من مقامات وكمالات وبالتالي يقايس ويوزن ويحدد نصيب كل من الصالحين، أو المتقين، أو أهل اليقين، أو أهل الإحسان، أو أهل الصدق، أو الصديقين، أو أهل الحكمة، وغيرهم من المقامات بما عند المعصومين من كمالات فهناك جنان وجنات الكمالات الذاتية من العقائد، وهناك واقعية مترامية الكمال والسعة في الواقع لديهم عليهم السلام يقارن ويقايس ويوزن بقية الواقعيات المحدودة إليها وبالتالي تكون تلك الواقعية بما لها من وسع، وذات

---

(١) الحج: ٤٦.

عرض عريض، وذات درجات متفاوتة طولاً، نعم يمكن بتوسطها اكتشاف ما للآخرين من نصيب وما لهم ـ والعياذ بالله ـ من خسران.

القيامة وأقسامها

المحاور: لماذا عبر عن يوم القيامة بالساعة، يعني ماهو معنى هذا التعبير؟.

الجواب: ذكر عدة تفسيرات لكلمة الساعة، منها مافي اللغة العربية وفي اللغات الأخرى أيضاً يطلق على الوقت بالغ الخطورة والهيبة والعظمة، انه يقال حانت الساعة الفلانية يعني لأجل بيان هولها وخطورتها بحسب لحلول ووقوع ذلك الوقت حساب، أو تلك اللحظة أو ذلك الحدث لما له من هيبة وكما لمح في القرآن الكريم انها ثقلت في السموات والأرض، فمن ثم: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾[1]، الشاهد أن ثقل الساعة في تلك الدار: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾[2]، فما يحدث فيها من أهوال مما يدل على عظمة وخطورة تلك الساعة فبهذا اللحاظ.

المحاور: هل يمكن أن يستفاد من هذا التعبير أن لها موعد معين، باعتبار أن الساعة فيها هذا التعبير يعني في حالة التوقيت، هل يفهم أن هذا يتضمن هذا المعنى وان لها اجل معين وان لها وقت معين؟.

الجواب: اجل لكن ليس الأجل خارجاً من بطن النشأة الدنيوية ومن ثم لا يمكن أن تكون الدنيا هي توقت لنفسها والمفروض أنها تتقوض فلابد أن يكون التوقيت بحسب عوالم أخرى من خارجها يمكن تصويرها وإلا فتصوير نهاية الشيء بلحاظ نفسه وهو يتقوض ويزول من نفسه من قبيل فرض المتناقضين العدم والوجود.

المحاور: يعني ليس الأمر أن نفترض مسيرة الكائن الحي مثلاً ما بين الصبا إلى الشباب والى الشيخوخة؟.

---

(١) الأحزاب: ٧٢.

(٢) الأنبياء: ١٠٤.

الجواب: من باب المثال، لو أردنا أن نضع توقيت شمسي إلى نفس تبدد الشمس والقمر أي معنى يكون لذلك، فلو قلنا ثلاثمائة سنة سوف تنتهي عندها تتقوض الشمس ففي هذا المقال نحو من المسامحة، لان ما بعد ذلك ماذا سيكون؟ هل هناك توقيت شمسي أو غيره، فإذا كيف يسمى بتوقيت شمسي، والتوقيت للشيء لابد أن يكون بلحاظ ما قبل وما بعد الشيء، وإما إذا كان يتقوض مع نفس الشيء فلا يكون موقتا له بل لابد أن يوقت بما يحيط به.

المحاور: العلم بالساعة لماذا وصفها القرآن قيام القيامة بأنها تكون كلمح البصر يعني هل فيها إشارة للسرعة؟.

الجواب: ربما فيها إشارة إلى هيمنة أحكام العوالم الأخرى على هذا العالم من باب إحاطة الملكوت بالملك، أو من باب انها تزف الموجودات المادية إلى تكامل بنشأة ملكوتية، قد فسرها بعضهم وربما ملا صدرا في الأسفار يتبنى هذا التفسير انه كلمح البصر تعبير كنائي يراد منه ما هو اقل من لمح البصر ولو كان يفهم المخاطب ذلك لربما عبر له بأقل من لمح البصر.

المحاور: هل يمكن أن يشار فيها إلى معنى انه هناك أحكام وقوانين أخرى تختلف، مثل يوم كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾[1]، هذا المضمون القرآني ﴿عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ يعني هناك قوانين أخرى غير هذه القوانين التي نألفها؟.

الجواب: شيء مؤكد أننا نشاهد في عالم المثال الذي ربما نلمسه بعض الشيء في الرؤيا والأحلام، نشاهد أحكام تكوينية في ذلك العالم تختلف تماماً عن دار الدنيا.

المحاور: ما معنى القيامة الصغرى والقيامة الكبرى؟.

---

(١) الحج: ٤٧

الجواب: ورد في الحديث الشريف: ((إذا مات أبن أدم قامت قيامته))[٢]. وهذا التعبير يشير إلى أطلاق القيامة على الموت فلا محالة هذه القيامة هي دون اليوم الموعود للقيامة فتكون كبرى، فعبرعن الموت بالقيامة الصغرى وعن القيامة المعهود بالقيامة الكبرى، وأيضا يستشف من تعابير بعض الروايات أن ظهور الحجة نوع من القيامة الصغرى، ورجعة الأئمة نوع من القيامة الوسطى وأن ذلك مراد من جملة من ألفاظ الآيات في السور، ومن ثم تمهيد للقيامة الكبرى.

المحاور: ماهو المعيار في هذه التقسيمات، هل هناك نقاط اشتراك بين موت الإنسان مثلاً فتقوم قيامته والقيامة الكبرى؟.

الجواب: هناك اشتراك موجود في البين من جهة اختلاف أحكام تكوينية لنفس النشأة الدنيوية والأرضية، كأن تزحف في مسيرها الوجودي إلى تغير نوع الأحوال والإحكام، وتقترب من أحكام الآخرة والساعة.

المحاور: مثال توضيحي على ذلك يعني مثلاً إذا توفي الإنسان؟.

الجواب: مثلاً إذا توفي الإنسان من الواضح انه يشاهد أحكام البرزخ وهي أحكام تختلف عن أحكام دار الدنيا.

المحاور: مثلاً كشف الحقائق يوم القيامة: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾[١]، وعندما يموت الإنسان مثلاً : ﴿كَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾[٢]؟.

الجواب: نعم هذه احدها وغير ذلك من الأحكام تتبدد إلى الإنسان أن هناك نوع من الشفافية وليس هناك نوع من الخفاء والغموض وما شابه ذلك، وكل هذه المراحل مما تسير في أتجاه قريب من نشأة الآخرة بل قد ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام أن الحساب والمحاسبة تقع في الرجعة، وإما القيامة الكبرى ففريق يزف إلى الجنة وفريق يزف إلى النار، وإما الحساب فيقع في الرجعة.

---

(١) الطارق: ٩.

(٢) ق: ٢٢.

المحاور: يعني مرتبة من مراتب الحساب أم كل الحساب؟.

الجواب: الظاهر انه عمدة الحساب، وفي عدة روايات وردت عن أهل البيت عليهم السلام، أن في كثير من الآيات التي يحسبها جمهور المذاهب أو المسلمين انها من آيات القيامة هي في الواقع آيات الرجعة.

المحاور: يعني لظهور بعض الأحكام فيها؟.

الجواب: نعم لظهور بعض الأحكام التي تختلف مثلاً، وقد ورد لدينا عند ظهور الحجة والرجعة انه: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً﴾[1]، فالرجعة فيها نوع ونمط من الأحكام وان كان يبقى نحو من الاختيار، وجزء من تدوين حساب، وجزء من التكامل أو لاسامح الله التسافل، لكن تختلف الأحكام فيها عن أحكام دار الدنيا.

المحاور: يقول بعض الأشخاص أنا جئت إلى الدنيا بغير اختياري، أو بغير اختيار مني، ولا أريد البقاء فيها، فلماذا يعذبني الله يوم القيامة إذا خرجت منها منتحراً بماذا نرد على هذا القول؟.

الجواب: الذي يظهر من الآيات أن مجيء الإنسان إلى دار الدنيا ليس عادماً للاختيار تماماً، بل له نصيب من الإرادة والرغبة في ذلك، كما تشير إليه الآيات كقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾[2]، فمن ذلك يظهر أن هناك نوع من الاختيار ربما يتسائل البعض انه كيف حصل الاختيار، الحقيقة أن الاختيار ليس كما نتصور عبارة عن موقف تفصيلي وبين خيارات متعددة تعرض على الإنسان ويسير في أحدها، نحن نلاحظ من باب المثال

---

(١) الأنعام: ١٥٨.

(٢) الأحزاب: ٧٢.

جملة من السلوكيات تصدر منا حين صدورها ربما يقل تركيز الاختيار أو الوعي اتجاه تلك الأبعاد، ولكن هناك حلقات وسلسلة مقدمات متباعدة سابقة، هذه المقدمات والسلسلة من المعطيات الإعدادية أنجزها الإنسان بيده وتعاقبت تلو البعض بيده ومن ثم أنتجت ذلك السلوك المعين، و من باب المثال يصدر من الإنسان حسد بشكل تلقائي عفوي، كأنما لا إرادي، أو يصدر منه غضب أو يصدر منه نزوة شهوية، أو نوع من الحدة المعينة في جانب من الجوانب أوالنزعات المختلفة، ويظن الإنسان انه صدرت منه بضعف أو قلة إرادة، وهذا وان كان ظاهر الحال لكن الحقيقة أن صدور مثل هذه الأفعال من الإنسان إنما نجم وتولد وحصل نتيجة سلسلة بعيدة وسابقة من جملة من السلوكيات وجملة من الصفات، وبالتالي يترتب عليها هذا المطلب، إذن مسألة الاختيار ليست منحصرة فقط في فرض طريقين أمام الإنسان وان ينتخب احدهما ويرجح احدهما على الأخر، بل هناك سلسلة من الأفعال الاختيارية، والحالات الاختيارية نتيجة مقدمات وأفعال بعيدة وكثيرة جداً وبالتالي هذه لا تخرج عن الاختيار بالمرة بل هناك نمط من الاختيار يستغرب منه السامعون ولكن هو في الحقيقة نوع من الاختيار، وهو نفس الرغبة عن علم وإدراك وشوق، وهذه الحالة بالتالي هي نوع من الاختيار، علم الله برغبة ذات معينة مخلوقة وتطلعها نحو اتجاه معين وهو في الحقيقة نوع من الاختيار لذلك المرغوب.

المحاور: يعني هذا ما يعبر عنه بأنه إفاضة الوجود على من هو مستعد دون الوجود؟.

الجواب: نعم بالضبط، نوع من الاختيار، وفي الحقيقة نفس هذا السؤال يتضمن في ذاته نوع من الرغبة في الدنيا، لان هؤلاء الذين ينتحرون سبب انتحارهم هو شدة الامتحان أو المحاولة للوصول إلى حالة الأمن والسكينة والطمأنينة والرغد في عيش آمن، في رغد مستقر أو ماشابه ذلك، هذه الرغبة اتجاه الجنة وهي الدار الآخرة، هذه الرغبة للآخرة إنما يمكن الوصول إليها عبر ماذا؟ عبر دار الدنيا، وهذه رغبة في الدنيا بطريق غير مباشر بطريق الإعداد والمقدمة لان الوصول إلى ذلك لا يتم إلا بهذه، وإلا فالإنسان لا يرغب في العدم المطلق بأن يكون بتاتاً فان بالمرة، وإنما يرغب أن ينتقل إلى مكان آخر، هؤلاء المنتحرون في الواقع عندهم نزوع روحي لأنهم يرون في الروح الراحة والطمأنينة والسكينة والإقبال

على الباطن وعوالم الباطن، نوع من السكينة والطمأنينة ويظنون بأن الوصول إلى ذلك عبر التخلص القسري والانتحاري من دار الدنيا وهم يخطئون في ذلك في الواقع، المنتحر لا يريد أن يعدم نفسه بمعنى الزوال وأن لايوجد بالمرة، وإنما يريد أن يذهب بمثل الغوص في حالة منامية، في حالة استغراقية في أعمال الروح، هذا هو في الواقع غايته والمنتهى الذي يريده ولكنه يخطأ في الأسلوب والوسيلة والآلة.

المحاور: يعني هو بالتالي يطلب الحياة؟.

الجواب: نعم يطلب الحياة الأكمل، والحياة الأكمل لا يمكن أن تمر إلا عبر الإعداد وهذه رغبة في الدنيا ولكن بطريقة التقديم بمقدمة، طريق الإعداد وطريق الاستلزام.

النفخ في الصور

المحاور: ما هو النفخ في الصور وما علاقته بالنفخة الأولى: ﴿ ونفخت فيه من روحي﴾[1]؟

الجواب: هناك نفختان كما ذكرت في الآيات والروايات، النفخة الأولى نفخة إماتة وصعق من السماوات والأرض إلا من شاء ربك، والنفخة الثانية هي نفخة إحياء الأموات وبعثهم أي بعث الأرواح في الأجساد الذي يقوم به اسرافيل، فالنفخ هو عبارة عن نوع من الإحياء وإحياء الموتى وبعث الأرواح إلى يوم المعاد وهو ما يسمى بالبعث، فالنفخ هو إحياء للأرواح وإحياء للأجساد ببعث الأرواح فيها، يتقارب في الحقيقة مع حالة ما في: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾، إذ هناك ايضاً نوع من إيجاد الروح في البدن كما أن الله (عز وجل) قد وكل في الإماتة عزرائيل عليه السلام كذلك وكل في الإحياء، إحياء الأرواح ونفخ الأرواح اسرافيل، وهذا التوكيل طبعاً ليس كما قد يظن نوع من عزلة الباري تعالى عن فعله وإنما هو توكيل بلا العزلة لان فعله تعالى داخل في تلك الأفعال لا بالممازجة، متميزعنها لا بالمزايلة والمباينة بل هو عز وجل يجري هذا الفعل على يد اسرافيل من النفخ والإحياء كما يجري هذا الفعل الأخر والإماتة على يد عزرائيل، وكما قال أمير المؤمنين عليه السلام: ((أما ملك الموت فإن الله يوكله بخاصة من يشاء من خلقه، ويوكل رسله من الملائكة خاصة بمن يشاء من خلقه، والملائكة الذين سماهم الله عز ذكره وكلّهم بخاصة من يشاء من خلقه، إنه تبارك وتعالى يدبر الأمور كيف يشاء...))[2]، فاسناد هذا الفعل إلى اسرافيل لا ينافي إسناده بنحو أتم إلى الله (عزوجل)، كما ورد في القرآن الكريم:

---

(١) الحجر: ٢٩، ص: ٧٢.

(٢) التوحيد: ٢٦٢.

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[١]. وأيضا اسند الموت إلى عزرائيل : ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾[٢]. وكذلك اسند إلى الملائكة: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾[٣]. فهذه الاسنادات ليست متضاربة ولا متخالفة وإنما هي حقيقية في طول بعضها البعض، لان فعلهم حيث كان بأمره تعالى وبأقداره لهم فكان فعلهم فعله، بل هو في الحقيقة فعله تعالى يجريه على يدهم.

المحاور: أن النفخ في الآية الشريفة: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾. كانت بالنسبة لشخص واحد وهو آدم عليه السلام نفخ الله تبارك وتعالى فيه من روحه، كيف الحال بالنسبة للنفخ في الصور، والنفخ في الصور لا يتعلق بشخص واحد بل في جميع الخلائق من الأولين والآخرين، فكيف يكون هذا الأمر ممكناً مثلاً في دفعة واحدة أو بنفخة واحدة يتحقق كل ذلك؟.

الجواب: أن يقال: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾. أو: ﴿يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾[٤]. وإحياء جميع الأرواح لان هذه القدرة لا تعي الله أن يقدرها الملك اسرافيل كما هو الحال الملك عزرائيل فان قبض الأرواح قد تم في الآن الواحد في اللحظة الواحدة لالآف والملايين في الحروب فبالتالي كما مكن الله عزرائيل، من قبض روح أو عشرات الأرواح، أو المئات أو الآلاف أو الملايين يمكّنهم من قبض الأرواح في فجأة واحدة لما أوتوا من قدرة اقدرها الله (عزوجل)، وهذه القدرة بالأصح هي قدرة الله يجريها على يدي عزرائيل ومن ثم تسند أولا حقيقة إلى الله ومن ثم تسند إلى عزرائيل الملك الذي هو موكل كقابل يقبل هذه القدرة من الله (عزوجل) فتجرى على يده ، كذلك الحال في اسرافيل إذ اقدره

---

(١) الزمر: ٤٢.

(٢) السجدة: ٣٢.

(٣) الأنعام: ٦١.

(٤) النبأ: ١٨.

الله (عزوجل) أن ينفخ في روح واحدة أوأرواح، ففي الواقع تلك القدرة ليست تعيي الساحة الإلهية أن يقدرها بشكل واسع وشمولي لكل الأرواح، سواء أرواح الإنس أو الجن أو الحيوانات أو النباتات كل الأرواح بمقدرة من الله (عزوجل)، ونفخ الروح في الحدوث ليس هو بأصعب من استمرار حياة الأرواح في الأبدان، وهناك حالة نفخ مستمرة فيها لان الروح قائمة وجودها وإيجادها بالله تعالى، فبالتالي هذه الحياة للأرواح المتزامنة لبعضها البعض هو نوع من النفخ المستمر وبالتالي هو نوع من الإحياء ولكن في مرحلة الاستمرار لجميع الأرواح، فلا غرابةً موجودة في البين بعدما نشاهد الأرواح الآن حية وفي حالة حياة وهي في الواقع معتمدة وقائمة على نفخ الله وإيجاد الله يجريه على يد اسرافيل.

الجنة والنار موجودتان

المحاور: ما هي حقيقة عقيدة أهل البيت عليهم السلام في الجنة والنار، هل هما موجودتان أو ستوجدان فيما بعد، وما هي آثار الاعتقاد بذلك؟.

الجواب: قد ورد في جملة من الروايات عنهم عليهم السلام أن الجنة والنار مخلوقتان الآن بالفعل وكانتا مخلوقتين، فالمعاد صيرورة إليهما في يوم المحشر ويدل على ذلك جملة من الشواهد القرآنية وجملة من الشواهد الروائية التي رواها الفريقان. ففي حديث نبوي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في يوم ما سمع المسلمون في مسجد الرسول هدّة وصوت فسألوا النبي ما هذه، فقال انها جمرة من نار كانت أسقطت من شرف جهنم ثمانين عاماً حتى وصلت إلى قاع جهنم ثم اخبر المسلمين أن رأس من رؤوس المنافقين وكان يبلغ من ذلك العمر كان قد هلك ومات، وكذلك في الخطبة النبوية الشهيرة المعروفة لشهر رمضان، وأيضاً في خطبته صلى الله عليه وآله وسلم في شهر شعبان حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((فمن تطوع لله بصلاة في هذا اليوم فقد تعلق منه بغصن، ومن صام في هذا اليوم تعلق منه بغصن... والذي بعثني بالحق نبياً إن المتعلقين بأغصان شجرة طوبى ترفعهم تلك الأغصان إلى الجنة، ثم رفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طرفه إلى السماء ملياً وجعل يضحك ويستبشر ثم خفض طرفه إلى الأرض فجعل يقطب ويعبس ثم أقبل على أصحابه فقال... ثم نظرت إلى الأرض فوالذي بعثني بالحق نبياً رأيت شجرة الزقوم تنخفض أغصانها وتخفض المتعلقين بها إلى الجحيم...))[1]. مما يشير إلى أن الجنة والنار موجودتان بالفعل.

المحاور: فيما يرتبط بالخطبة الشعبانية أن أبواب النيران مغلقة في شهر رمضان هذا المضمون الإغلاق؟.

---

(١) مفاتيح الجنان: ١٦١ - ١٦٣.

الجواب: نفس التعبير القرآني في سورة ق ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[١] يشير إلى أن ما يشاهده الإنسان في المشهد الأخروي موجود منذ السابق وإنما كان في غطاء عن الإنسان، وهذه الآية عامة حول مشاهد الآخرة وكذلك: (إنما هي أعمالكم ترد إليكم)[٢]، من نظرية تجسم الأعمال ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً﴾[٣] وتعبيرات أخرى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[٤]، هذه المضامين موجودة في الآيات الكريمة كلها شواهد تدلل على أن هناك ارتباط حي فعلي بين الأعمال في نشأة دار الدنيا وما يترتب على ذلك في الآخرة حين صدور الفعل، كقول رسول الله ﷺ: ((من قال (لا آله إلا الله) غرست له شجرة في الجنة من ياقوته حمراء منبتها في مسك...))[٥]، والروايات الكثيرة الواردة عند الفريقين كلها شواهد على الوجود الفعلي للجنة والنار، وثمرة مثل هذه العقيدة أن الإنسان يكون على ارتباط حي وواعز من نفسه يردعه عن الغواية وإتباع الهوى ويرشده وينبهه ويحفزه إلى داعي الاستقامة كما أن الصراط والهدى والطريق السوي المستقيم يدلل على ذلك، وأيضاً روايات المعراج وهي روايات عند الفريقين، والرواية الأخرى التي رواها الفريقان من مرور النبي على الشاب الأنصاري التي مرت سابقاً[٦].

المحاور: اذاً الروايات في هذا المجال كثيرة وثمرة الاعتقاد انها تجعل الإنسان في حالة معايشة للجنة والنار وهو في حياته الدنيا؟.

الجواب: بالضبط كذلك.

---

(١) ق: ٢٢.

(٢) التوحيد: ٥٠، للمفضل بن عمر الجعفي.

(٣) النساء: ١٠.

(٤) الحجرات: ١٢.

(٥) المحاسن للبرقي ج١: ٣٠.

(٦) مرت الإشارة إليها في الصفحة (١١٩).

المحاور: أين مكان الجنة والنار الآن، وكيف تكون في عرض السماوات والأرض؟.

الجواب: من روايات المعراج لا سيما الواردة عن أهل البيت عليهم السلام يستشف أن جنات عدن وجنة الفردوس وغيرها من الجنان التي ذكرت اسمها في القرآن الكريم وكذلك ومن الآيات الكريمة ايضاً يستشف ذلك انها دون ﴿سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾، عند السماء السابعة وما فوقها.

المحاور: يعني مراتب كل الجنان حسب مراتبها؟.

الجواب: نعم كل جنان حسب مراتبها إلى أن تصل إلى ما دون ﴿سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾، كما في الآية الكريمة ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾[١].

المحاور: هذه أعلى مراتب الجنان؟.

الجواب: نعم أعلى المراتب، وبعد ذلك جنان معنوية كجنة بحور الأسماء والصفات والذات، أو سرادقات الحجب النورية تلك جنان أخرى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾[٢]. وهذه أعلى ورضوان من الله اكبر، فلا ريب أن ما فوق السماوات السبع من الثرى أو من البحر، أو من التراب حسب التسميات التي وردت من عوالم هي فوق السماوات السبع، كما وردت الروايات، لأجل تقريب المعنى للذهن كل عالم يكون العالم الذي دونه كحلقة في فلات مترامية الأطراف في الأفق، هذه الحلقة الصغيرة من حديد لو ألقيتها أنت في بحر البرية هل تشاهد شيئاً، ليس هناك نسبة ولا قياس، كما أن قياس حجم الكرة الأرضية مع السماء التي لا يعلمون أين مداها السماء الدنيا السماء الأولى لا يعلمون بالدقة كم هي النسبة حسب الآليات والعلوم والحسابات الحديثة وهل يمكن أن تحاسب، فكذلك الحال بين السماء الأولى والثانية، الثانية والثالثة إلى أن نصل في السابعة، ثم السابعة

---

(١) النجم: ١٥.

(٢) القمر: ٥٥.

والثرى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾[1]، فالثرى أو البحر من عوالم أخرى عديدة فلا ريب أن تلك العوالم شاسعة جداً في الخلقة الإلهية، واسعة لا يمكن أن يقاس بها حتى السماء السابعة.

المحاور: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾[2] العرض ما المقصود منه؟.

الجواب : المقصود من العرض هو السعة.

المحاور: هنالك سؤال كثير ما يتردد أحيانا انه إذا كانت الجنة عرضها السماوات والأرض أين تقع النار؟ اعتقد أنه من خلال إجابتكم اتضح أن المقصود هنا هو الإشارة إلى السعة؟.

الجواب: طبعاً هذا بالنسبة للجنان، وإما بالنسبة إلى النار، فقد ورد في رواية أهل البيت وهم أدرى بما في البيت عليهم السلام إشارة إلى أن النار تقع في وادي في السماء السادسة أو في الأرض السادسة.

المحاور: الضعة ـ والعياذ بالله ـ مقابل السمو، يعني في الأرضين السبع؟.

الجواب: نعم ولكن هي كل سماء مقعرها سماء ومحدبها ارض لما فوقها.

المحاور: يعني نظام تكويني كامل في كل سماء؟.

الجواب: نعم فيه علو وهذا تقريب للذهن، وقد ورد في حديث الرضا عليه السلام ورد ذلك في تفسير القمي وتفسير العياشي، حتى الآن الأبحاث الحديثة الروحية وما وراء الطبيعة التي يجريها الغرب يكادون يصلون إلى مثل هذا التصور وان كان اقتباساً من مصادر إسلامية.

المحاور: هنا السؤال عن مكان الجنة والنار ففي الحقيقة هو غير المكان الذي نألفه ونحن في الحياة الدنيا؟.

الجواب: من الواضح أنه ليس هو على النشأة الأرضية وان كان للنار الأخروية مظاهر في دار الدنيا كبرهوت، وللجنة وادي السلام في النجف الاشرف، كمظاهر أو كتعلقات لتلك النشأة الأخروية بالنشأة الدنيوية يعني الإشارة إلى ولاية أئمة الحق ومقابل ولاية أئمة الظلال.

---

(١) طه: ٦.

(٢) آل عمران: ١٣٣.

الشفاعة

المحاور: فيما يرتبط بقضية الشفاعة كأن البعض يستفيد من الأحاديث الشريفة الواردة في الشفاعة بأنها تكون لرسول الله ﷺ وسلم في أعلى مراتبها، والمقام المحمود لباقي المؤمنين بمراتب يوم القيامة، إلا يوجد شفاعة في الحياة الدنيا؟.

الجواب: قد نصت الآيات العديدة على أن الشفاعة هي مبتدئة وحاصلة في دار الدنيا بل وقبل دار الدنيا من العوالم السابقة، وجملة من الآيات دلت على ذلك مثلاً الآية الكريمة: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾[1]، اشترطت الآية لتوبة المؤمنين في أول شرط هو لجوءهم واستغاثتهم وتوسلهم بالنبي ﷺ فإذا التجأوا إلى حضرة النبي حينئذ يتأهلوا لان يستغفروا الله فلم تقل الآية ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم استغفر الله أولاً بل قالت الآية: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾، في البدأ المجيء إلى النبي والاستشفاع بالنبي والتوسل به واستغفروا الله واستغفر لهم الرسول، وبعد ذلك أيضاً ﴿اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾، أي لابد علاوة على توسلهم واستشفاعهم للنبي ثم استغفارهم لله وتأهلهم للدعاء ولتوبة الله ولذكر الله، بعد ذلك لابد من إمضاء النبي، هذه الأوبة والتوبة منهم وتشفعه كي يقبل الله توبتهم اذاً هذه آية ناصة على أن شفاعة النبي كانت في حياته وفي حياة المؤمنين وهي باقية على أية حال، وكذلك الحال من تعبير الآية في سورة المنافقين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾[2]، جعلت الآية من علامة المنافقين أنهم: ﴿ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ

---

(١) النساء: ٦٤.

(٢) المنافقون: ٥.

مُسْتَكْبِرُونَ﴾[1]، تبين الآية أن الصد عن التوسل إلى النبي والاستشفاع بالنبي من صفات المنافقين، إذا قيل لهم تعالوا التجأوا إلى النبي هذا هو رحمة للعالمين كما وصفته الآية الكريمة فيصدون عن رحمة الله، يريدون أن يكونوا من أهل نقمة الله ومن أهل غضب وسخط الله، يجحدون ويأبون التوسل ويأبون الاستشفاع بالنبي، اذاً الآية تدل على أن العبادة والأوبة إلى الله من أصولها الاستشفاع بالنبي.

المحاور: عموماً افهم من كلامكم أن مفهوم الشفاعة فيه بعض اللبس يعني الشفاعة ليست محصورة بالاستشفاع إلى الله تبارك وتعالى لمغفرة بعض الذنوب في يوم القيامة لكي ينتقل الإنسان من النار إلى الجنة، أو قبل أن يدخل النار ليدخل الجنة وهو مستحق لشيء من النار، أو لشيء من الجنة، مفهوم الشفاعة هو المعونة النبوية أو معونة أولياء الله تعالى والحصول عليها في أي وقت، في الدنيا والآخرة؟.

الجواب: نعم كونهم واسطة ووسيلة لإنجاح السؤال وإنجاح المأمول، أن المؤمنين والمسلمين أحوج لغفران الذنوب وهم في دار التكليف ودار الدنيا، لأنه إذا أحاطت بهم ذنوبهم وأحاطت بهم خطيئتهم سوف يؤدي بهم إلى الهلاك الدائم فهم هاهنا بحاجة وضرورة لكي يتطهروا، ومن ثم حثت هاتان الآيتان على الاستشفاع والتوسل بالنبي وان تتبع توبتهم بشفاعة النبي. وجعلت الإباء والاستكبار هو صفة لمن يجحد التوسل ولا يؤمن به ولا يؤمن بوسيلة سيد الأنبياء، وعبرت عنه هذه الآيتان كالتعبير الذي ورد عن إبليس أبى واستكبر حيث صد عن الاستشفاع بآدم والتوسل به والتوجه به إلى الله تعالى فالوسيلة والاستشفاع اذاً في دار الدنيا.

المحاور: المعنى مترادف بين التوسل والاستشفاع؟.

الجواب: نعم التوسل جعل الشيء وسيلة يطلق على نفس معنى الاستشفاع.

المحاور: هذا لا يفرق في حياة النبي أو في وفاته؟.

---

(١) المنافقون: ٥.

الجــواب: طبعاً أخبرتنا الآيات الكريمة ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[١]، إذن الرسول ﷺ يرى العمل حين وقوعه كما أسندت الرؤية في الآية الكريمة إلى الله تعالى، ومن الواضح أن رؤية الأعمال - والعياذ بالله - ليست يوم القيامة، لا ريب أن هناك متواتر الآيات الكريمة الدالة على أن النبي ﴿شَاهِداً وَمُبَشِّراً﴾[٢].

---

(١) التوبة: ١٨٧.

(٢) الأحزاب: ٤٥.

الفصل الثاني
قضايا العقل العملي

قضايا العقل العملي

المحاور: إذا ما وضعنا العقل العملي - بما هو دراسة للسلوك والاجتماع الإنساني وتنظيم شؤون المجتمع - في مقابل العلوم الإنسانية في صيغتها الحديثة المستقلة عن حضن الفلسفة، فهل من فاعلية اليوم لهذا العقل في قراءة المجتمع ومتغيراته وناسه وعلاقاته وظواهره؟.

الجواب: نعم، يُعرف دور موقعية العقل إذا عرفنا الرابطة العضوية الدنيوية الموجودة بين العلوم وترتيبها، مثال ذلك أن علم القانون له أمومة على العلوم النظمية، فرضاً علم السياسة أو علم الاقتصاد أو علم المال أو الإدارة، فهذه كلها علوم، ولكن علم القانون له إشراف وهيمنة عليها، لدينا مثلاً القانون الإداري وقانون العمل والقانون السياسي والاقتصادي والمدني والجنائي، ولكن بحث القانون والتقنين يشرف على هذه العلوم التي تتدخل في النظام الاجتماعي السياسي، أما علوم العمران والرياضيات وما شابه ذلك فهي آليات تتعامل مع المادة، لكنها توظَّف في العلوم التجريبية.

إنَّ لدينا علوم عرفانية وأخرى تجريبية، فما هو الفرق بينها؟ العلوم الإنسانية هي علوم اجتماعية، سواء كانت لكل مجموعة وحدة كوحدة المسافة ووحدة المكيال، الوحدة في النظام الاجتماعي أيضاً الأسرة أو الفرد، العلوم التي تبحث عن النظام الاجتماعي بما فيه الوحدة أو المجموعة، تسمى علوم إنسانية، في المقابل العلوم التجريبية كالفيزياء والكيمياء والرياضيات والهندسة والأحياء، هذه العلوم لا ترتبط بالنظام الاجتماعي الإنساني، إنها

ترتبط بنفس الكون كظاهرة مادية، أما العلوم الإنسانية فهي توظف العلوم التجريبية لخدمة النظام الاجتماعي.

إذاً العلاقة بين هذين العلمين صارت واضحة، وبالطبع هناك ترابط عضوي بين العلوم الإنسانية مع بعضها بعضاً، وبين العلوم التجريبية مع بعضها بعضاً وهلم جرا. يوجد أيضاً علم الدين والمعرفة الدينية، وهذه بالطبع تختلف عن العلوم التجريبية والعلوم الإنسانية ولها باب آخر، وقد يعتبرها البعض فرع من العلوم الإنسانية، ولكن الكثير من العلماء يفصلها عن العلوم الإنسانية. هذا يسمَّى تقسيم المعرفة البشرية، تجريبية وإنسانية، فما هي العلوم التجريبية؟

آلية وظيفية لتسخير المادة لخدمة حاجيات الإنسان. في العلوم الإنسانية علم القانون له أمومة وإشراف، إنه بالطبع علم واسع، على ماذا؟ على بقية العلوم الإنسانية، وفق ذلك كله تأتي فلسفة الأخلاق أو الآداب، وبعد فلسفة الأخلاق والآداب تأتي الرؤية الكونية الاعتقادية. إن هذا الترتيب متعارف عليه بين كل المدارس البشرية، سواء كانت شيوعية أو اشتراكية أو لا دينية أو علمانية.

دور العقل العملي والنظري

إن العقل العملي له دور أساسي في الرؤية الاعتقادية وفي تكوين العلوم الاجتماعية، والأخلاق الفردية والأخلاق المؤسساتية والإدارية والسياسية، ودوره بنيوي، وليس للعقل العملي فقط دور، إن للعقل النظري أيضاً دوراً، إن دور العقل النظري يأتي في بناء الأخلاق وفي بناء الحقوق وفي بناء أرضية القانون. العقل العملي يعلمنا كيف ندخل في القانون، وهو يمسك بخيوط مباحث الحقوق ومباحث القانون والأخلاق، وبالتالي يدخل بمنهج وميزان ومعادلات.

إن أي قضية علمية فيها طرفان، موضوع ومحمول، بتعبير آخر حكم وموضوع، موضوع معيَّن وتحكم عليه بشيء، سواء كان حكم قانوني أو حقوقي أو أخلاقي أو مالي مصرفي. هذه الأحكام تبدو مثل الشجرة تبدأ من أسس، مثل الدستور وانشعاباته، طبيعة نظم العلوم ونظم القوانين هكذا.

عندما تأخذ برأس الهرم، فسوف تلاحظ دائماً أن هذه الانشعابات تراعى فيها الأسس. عمل المحاكم الدستورية ما هو؟ هو أن تعرض القوانين البرلمانية على المواد الدستورية، لترى إن كان بها مخالفة أو لا، لأنها هي المؤهلة من أجل مراعاة حفظ المواد الدستورية في هذه الانشعابات.

عندما نأتي للوزارات، فما الذي تفعله الوزارات؟ الوزارات أيضاً تعمل لها قاعدة تشريعية، فوزارة العمل لها قانون، قانون غير القانون النيابي، وزارة الداخلية لها أيضاً قوانين، هذه تسمَّى تشريعات وزارية، وهي تستمدها من التشريعات البرلمانية، وليس لها الحق أن تذهب إلى مواد خارج المواد الدستورية، لأنهم سوف يخطئونها ويدينونها.

العلوم كذلك سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو غيرها، تنشعب أيضاً إلى قوانين، وكل حسب المدرسة التي ينتمي إليها، رأسمالية كانت أو غيرها.

النخبة مدعوون للمشاركة في القراءات الدينية

الثابت الديني وهذا حوله جدل كبير، من الخطأ الإفراط في التغيُّر، ومن الخطأ أيضاً الإفراط في الثبات، فالثابت له دوره وله موقعه، والمتغير له دوره وله موقعه، فكيف نلحظ الثابت وكيف نلحظ المتغير؟. ومن يحدِّد الثابت ومن يحدِّد المتغير؟.

إن الدين الإسلامي لا يقول لك لا تأتي في الموضوعة البيئية في العلوم الإنسانية أو الموضوعة التي في العلوم التجريبية باختصاصيين ونخبويين، ولكن الأخوة أصحاب النخب في هذه التخصصات يقولون لنا: لم لا تسمحون لنا بالمشاركة في القراءات الدينية؟، أنا أقول لهم على العكس، أنتم مدعوون للقراءات الدينية، ولكن أين؟، أين دوري أنا

المتخصص الحوزوي؟، وأنت المتخصص في حقل آخر أين دورك؟ لا بدَّ من وجود منهجية علمية موزونة.

الآن الاقتصادي مثلاً موضوعه في الاقتصاد، أنا تخصصي في فقه الشريعة، وبالطبع لن أذهب إلى مفردات الاقتصاد، قد أذهب إلى علم الاقتصاد أو غيره من العلوم الحديثة، من باب الهواية أو لزيادة الاطلاع وما شابه ذلك، ولا بأس بذلك. إن قصدي إن علم الشريعة وجزئياته ليست في علم الاقتصاد، إذن ما هو دور علم الاقتصاد وما هو دور علم الفقه؟ ما هو دور علم السياسة وما هو دور العلوم الدينية؟ ما هو دور

علم القانون وما هو دور العلوم الدينية؟ كل الموضوعات الاقتصادية والسياسية والإحصائية وكل علوم الاجتماع، هي نشاط جيد للعالم الديني، ولكن أين دور هذا وأين دور ذاك؟.

مهمة إصدار الحكم

لدينا طبيب له علمه، ولدينا باحث يبحث في علم النفس ولديه نظريات وإحصائيات وغيرها، كل هذا جيد، وغيرهم. لا ينبغي أن يخسر العالم الديني هؤلاء، ولا هم يخسرون العالم الديني، كيف؟.

لا بدَّ من الوفاق ومنهجة العمل، لقد تراكمت بحوث كثيرة، سيكولوجيا الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي. قبل سبع سنوات كانت هناك أربعة علوم في مجال علم النفس الاجتماعي، والآن زادت هذه العلوم، فأين دورها؟ دورها في الموضوعة، أما في الحكم أو في التوصيات أو في القالب الشرعي، فيأتي دور الهرمية التي بيناها في تلفيق المجالين معاً، بمعنى أن تكون هناك مزاوجة بينهما في نفس القضية العلمية، لا أن الشرعي يترك مطلبه أو الاقتصادي يترك مطلبه، بل المزاوجة في نفس القضية العلمية لأن كل موضوع له حكم، فهذه يجب أن تتم بين الفريقين، وليس من فريق واحد، لأن هذه الموضوعة لها

اختصاصيوها، وهم أصحاب النخبة في العلوم، أما الحكم الشرعي والرؤية الشرعية فمن اختصاص من هم في المجال الشرعي.

حينئذ المزاوجة في العمل تؤدي إلى نضج وبلورة المعلومة التي شاركت فيها العلوم الإنسانية وشاركت فيها العلوم الشرعية، كيف يمكن للفقيه أن يُشرك اللغوي في الموضوعات؟ دوره يأتي في العلاقة بين اللفظ والمعنى، أين دور النخبة أيضاً في الموضوعات والعلوم المختلفة؟ في تحديد ماهيات أو معاني الأشياء، المعاني، حقيقة المعدة مثلاً في الطب، حقيقة بدن الإنسان، حقيقة النفس، حقيقة الظاهرة الاجتماعية...إلخ، فهذه غير مرتبطة بالألفاظ، هنا لا بدَّ للفقيه أن يعتبر أن هناك نفوذاً وإمضاء لآراء النخبة، ولكن أين منطقتهم؟. في الموضوعة. فكما يعبِّر الفقهاء: قول اللغوي حجَّة، وقول أهل النخب والتخصصات حجة أيضاً، أو ((قول أهل الخبرة فيما هم فيه خبرة حجَّة))، أما أن يكون قول المهندس مثلاً في الطب حجَّة، فهذا غير صحيح، وكذلك قول الفقهاء فيما هم فيه خبرة – وهو الفقه– حجَّة، حينئذ المعلومة التي تتركب من

موضوعة تخصصية ومن حكم ورؤية دينية يصير فيها مزيج من خبرتين.

عهد مالك الأشتر وكوفي عنان

أتذكر أنني قلت إن أهل الخبرة والمتخصصين ينادوننا: لم لا تسمحون لنا بالمشاركة في القراءة الدينية؟. إنني أقول بالعكس إنها مفتوحة، ولكن أين؟. في المجال الذي هم فيه، كما نحن في المجال الذي نحن فيه. نريدهم أن يستقرئوا النظام الاقتصادي في الإسلام ما هو؟. النظام السياسي في الإسلام ما هو؟. النظام الحقوقي في الإسلام ما هو؟. النظام الاجتماعي في الإسلام ما هو؟. ما هي رؤية الإسلام في النظام القضائي؟. وما شاء الله من التخصصات، النظام الإداري في الإسلام ما هو؟.

قلت لأحد الأخوة حتى كوفي عنان الذي هو مسيحي، وليست له صلة بعلي ابن أبي طالب، قال قبل ثلاث سنوات عبارة قد سمعتها وتابعتها في وكالات الأنباء وهي: قول

علي ابن أبي طالب: (يا مالك إن الناس إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق)، هذه يجب أن تعلّق على كل المنظمات، وهي عبارة يجب أن تنشدها البشرية، وبعد أشهر اقترح، اقترح بإصرار أن تكون هناك مداولة قانونية حول كتاب الإمام علي إلى مالك الأشتر. اللجنة القانونية في الأمم المتحدة، بعد مدارسات طويلة، طرحت هل هذا يرشح للتصويت أم لا، وقد مرت عليه مراحل ثم رُشِّح للتصويت، وصوتت عليه الدول بأنه أحد مصادر التشريع الدولي، والآن اعتبر رسمياً عهد علي ابن أبي طالب لمالك الأشتر وعهود أخرى أيضاً في نهج البلاغة.

إن للإمام علي شرحاً طويلاً في النظام الإداري والنظام السياسي والنظام العسكري وغيره، كوفي عنان بحكم إنه قانوني وحقوقي، شمَّ أن لدى الإمام علي نظام حقوقي وقانوني في ذاك العهد عجيب، تركع له البشرية، في تعبير الأئمة عليهم السلام: (لو علم الناس محاسن كلامنا لاتبعونا)، كل طبيب مدعو لأن ينشر معارف أهل البيت في الطب ، يوجد في حوزة النجف الأشرف سبع مجلدات لطبيب عراقي في شرح حديث للإمام الصادق في الطب، حديث واحد فقط ! هذه مشاركة في القراءة الدينية، لماذا؟ لأن تخصصه في الطب، الاقتصادي أيضاً مدعو لأن يأتينا ويشارك في القراءة الدينية، وكذلك العالم في المجال الاجتماعي والنفسي وغيرهم.

باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو عبارة عن باب في علم الاجتماع، وللفقيه أن يشارك أيضاً في آلية هذه القراءة فيتناول الموضوعة من الزاوية الدينية، وهنا تصبح حينئذٍ المشاركة (عقـــل جمعي) و (علم جمعي)، أما الاستبداد والاستفراد فهو خطأ كأن يقول التخصصي نحن فقط ولا غيرنا، فهذا استبداد وخطأ، كلٍ وتخصصه، ولكن قد يكون هناك من له كفاءات متعددة، فيمكن أن يكون فقيهاً واقتصادياً وأديباً وشاعراً، فهذا موجود، نحن لا نتحدث هنا عن الشخص بل عن الخبرة، إذن لا يوجد في الواقع صدام، وإنما توجد عنونة ومنهجة وتبويب.

المحاور: سنؤجل الآن موضوع المشاركة، مشاركة الفقيه وعلماء التخصصات الأخرى في إدارة المجتمع وفهمه، فذلك موضوع إشكالي كبير، ولا يمكن أن يكون مقترح شكل المشاركة الذي تفضلت به والذي هو أشبه بالمحاصصة السياسية، مقنعاً لأهل النخبة خصوصاً النخبة التي تشتغل في علوم الخطاب ونظريات النقد والتأويل. بودي أن أسألك عن تفسيرك للرواج الذي أخذ ينتشر في السنوات الأخيرة للموضوعات المتعلقة بقضايا العقل العملي، كنظرية الاعتباريات عند السيد الطباطبائي التي حاول فيها تفسير طبيعة قضايا العقل العملي..

الجواب: إنه قبل الطباطبائي والإصفهاني أستاذه، بل وقبل الإصفهاني لدينا علم الأصول الفقهي، وأنا لا أقول ذلك من أجل المبالغة، ولا لأجل التطبيل والدعاية، ابن الشيخ الوحيد الخراساني وهو أحد المراجع، متخصص في علم القانون، ويوجد غيره وغيره، حتى السيد علوي البروجردي دُعي في الجامعات الأمريكية للمشاركة في محاضرات وندوات علمية، وكثير كثير غيره، الآن أصول الفقه، ما هي أصول الفقه؟ هي أصول القراءة القانونية، أنا لي تسمية أكاديمية هي أن أصول الفقه هو (فقه القانون) أو (أصول القراءة القانونية)، وهذه قد نمت ولله الحمد في الحوزة بشكل جبار، يقولون صار بها تضخم وتكدُّس بسبب تراكم الجهود بشكل متطور، إن أصول الفقه في الواقع والكثير من البحوث التي أنجزت فيه خدمت جملة من النظريات في القانون.

الطباطبائي استفاد من تراث علم الأصول، أنا أصطلح على علم أصول الفقه بأنه (منطق منهجة للمعرفة البشرية)، بالطبع مع ملاحظة اختلاف مشارب المدارس المنطقية، فهناك المنطق الرياضي، والمنطق الاجتماعي، والمنطق النفسي، والمنطق الأرسطي اليوناني، وغيرها من المدارس الكثيرة الخاصة بكل نوع من أنواع المعرفة البشرية سواء

في العلوم الإنسانية أو التجريبية، أصول الفقه أيضاً منهجة منطقية،في العلوم الإنسانية أو التجريبية، أصول الفقه أيضاً منهجة منطقية، لكن لماذا؟. منهجة منطقية للمعرفة الدينية، فهل السيد الطباطبائي هو من بدأ بذلك كما تفضلتم؟ لا، هو تراكم جهود وصلت إلى ما وصلنا إليه.

المحـاور: إن تساؤلي هوعن فاعلية (العقل العملي) الآن، أي الفعل الذي يقدِّمه إلى (المعرفة الحديثة) التي تعمل على....

الجواب: (المعرفة الحديثة) في أي علم؟.

المحاور: (المعرفة الحديثة) كما تبدو في ممارسة علم النفس والاجتماع والمنطق والرياضيات، كلها الآن تستقي...

الجواب: يجب أن لا نخلط بين العلوم الإنسانية وهرمها والعلوم التجريبية، فتلك لها وادٍ وهذه لها وادٍ آخر.

المحـاور: نعم هذا صحيح، ولكنها تخضع لنظام معرفي معيَّن تتبادل من خلاله الحوار والتأثير والتعاون..

الجواب: هذه تبحث في نفس نظام المعرفة، هذا الترتيب الذي ذكرته ليس حوزوياً، هذا ترتيب بشري، والكل الآن يقر به، الذي هو نظام العلوم الإنسانية، قد بينت لك هيمنة العقل العملي، إنني لا أتحدث عن هيمنة العقل العملي من زاوية الرؤية الشيعية، حتى الرؤية الأشعرية والمادية والفرويدية أو الكانتية أو الهيجلية. إن موقع العقل العملي موجود من أي مدرسة استقيت العقل العملي، هذا موقعيته بعبارة أخرى أسِّية أي لها أصالة في رأس الهرم، لسنا نحن الذين نقول بذلك، فأي مقنن مثلاً لا بدَّ أن يبحث في فلسفة الأخلاق، فهذا ترابط منطقي فطري في الإنسانية، الإنسان الفرد أو المجموعة، أما أن تأخذ العقل العملي في نظرية هيجل أو فرويد أو غيرها من الأسماء، المهم هذه موقعيته، لا يمكن لقانوني أن يتنكر لبحث فلسفة الأخلاق ثم يبحث في القانون، لا يمكنه ذلك.

المحاور: إننا نتحدَّث عن العقل العملي في صياغته الحوزوية، هذه الصياغة لها أفق فهم مختلف عن أفق فهم العلوم الإنسانية كما بلورتها التجربة الغربية، ولا يمكنك تحت تسمية (العقل العملي) أن تدرج تجارب وآفاق مختلفة في تصور موحَّد انطلاقاً من رؤية فلسفية لا تضع في اعتبارها البعد التاريخي والحضاري في تشكل هذه العلوم.....

الجواب: إنَّ للعقل العملي أمومة، هذه الأمومة ليست مختصة بالمدارس الحوزوية، بل كل المدارس. من أجل أن يكون البحث علمياً وليس خطابياً، لو سألنا ما هو تأثير العلوم

التجريبية على العلوم الإنسانية، فهذا بحثه يختلف، يوجد بحث عن دور المنطق في العلوم التجريبية ودور للمنطق في العلوم الإنسانية، ذاك بحث آخر، ما هو الدور الأمومي للعقل العملي على العلوم؟. سواء على الفلسفة المادية أو الفلسفة الإلهية أو اليونانية أو الإسلامية أو غيرها، لا يمكن بالطبع لأي باحث في العلوم الإنسانية أو في العلوم التجريبية إلا أن يمشي على منهج منطقي معين، حتى الرياضيات لها منطق ومنهج وفلسفة.

توجد علوم تجريبية وتوجد علوم إنسانية وتوجد نظرية للمعرفة، هذه الوصاية للعقل العملي على العلوم الإنسانية، ليست هي خاصة برؤية الحوزة أو بالرؤية الدينية، بحث العقل العملي يوجد عند اليونانيين وفي جميع الفلسفات. إن فلسفة الأخلاق مادة أساسية في علم الحقوق، سواء كان في القانون الشيوعي أو الاشتراكي أو غيره، وهذا غير مختص بالحوزة..

إن هيمنة (العقل العملي) وأبوته، وأمومته، وأسِّيته، لبقية العلوم الإنسانية، لا ريب فيها، لأن هذا أحد الأسس ولا أقول الأساس الوحيد.

المحاور: دعنا نعيد السؤال بشكل آخر. (العلوم) ضمن التصوُّر الحوزوي المنبثق من(العقل العملي) إذا وضعناها قبال ما تقدِّمه الآن العلوم الإنسانية التي بلورتها الجامعات الغربية كعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الأنثروبولوجيا وعلم التاريخ وعلم السياسة. فكيف يمكننا المقارنة بينها؟.

الجواب: إن الدور في الواقع هو نفس الفكرة التي ذكرتها لكم في سؤال سابق، الآن انظر إلى فلاسفة الغرب، ما هي موقعيتهم من الحكمة العملية؟ ما هي موقعيتهم مع علم النفس الغربي ومع علم الاجتماع؟. علوم النفس وعلوم الاجتماع الموجودة في الدول الغربية، دورها هو بالضبط الشرح الذي مرَّ علينا، دورهم في توضيح موضوعة الاجتماع وموضوعة النفس، وإحصاءات ميدانية وتجارب ونظريات وقوانين، هذه كلها تدخل في ماذا؟. في الموضوعة الاجتماعية، أو في الموضوعة النفسية، نفسية الفرد أو الأسرة وما شابه ذلك.

يأتي بعد ذلك فيلسوف الحكمة العملية ويعطي منهجة ونظرية في المعرفة تحكم بأن هذا الباحث في علم النفس هل نتائجه خاطئة أم صحيحة، ويأتي المقنن القانوني ويستفيد منهما ويحدِّد إن كانت هذه الموضوعات في القانون ممنوعة أو غير ممنوعة. المقنن الإنكليزي قبل أن يسن قانون معيَّن على ضوء النتائج التي قدمها له باحث النفس الاجتماعي، لديه فلسفة أخلاقية.

أتذكر أني تابعتُ برنامجاً له رواج في القناة الإيرانية، حول فلاسفة الإنكليز الموجودين الآن، كان أربعين حلقة، وقد طبعت في كتاب، والبرنامج هو عبارة عن فيلسوف يجري حوارات مع الفلاسفة الإنكليز الذين يبحثون في الإدراك ونظرية المعرفة، لماذا؟. لكي يقدِّموا أسساً بعدها، لهذا المقنن الإنكليزي ليصبح لديه مثل النتاج في صيغة نظريات في فلسفة الآداب والأخلاق وما شابه ذلك من الأمور التي يستند إليها المقنن.

المقنن لا بدَّ أن ينتخب مدرسة فلسفية، تضع في ضوء فلسفة أخلاقية أسساً واضحة وعامة، مثلاً هنا الفضيلة الكذائية هي الأهم، وهنا هل هذه فضيلة أم رذيلة، لا بدَّ أن تكون لديه رؤية معينة، حينئذٍ يأتي ويستعين بالعلوم الأخرى في الموضوعات، يأخذ كذا موضوعة ويؤسس على ضوئها حكماً يهدف إلى إيصال المجتمع البريطاني إليه. إذن ترتيب حلقات العلوم هو ترتيب عضوي بنيوي، لكل واحد فيه دور، انظر مثلاً إلى الاشتراكية الشيوعية عندما نشأت، أول ما نشأت لا بدَّ وأن لها رؤية كونية، تسمَّى عقائدية، ثم فلسفة أخلاقية، وعندما ينتهي من الفلسفة الأخلاقية يأتي إلى البحث القانوني، ينتهي من البحث القانوني يأتي إلى النظام السياسي، النظام الاقتصادي، النظام القانوني، القضاء، هذه هي الطبيعة التي خلقها الله تعالى في الإنسان، الإنسان الفرد أو الانسان المجموع، أول ما يبدأ، يبدأ بالرؤية الكونية ثم الآداب والأخلاق وهكذا..

المحاور: الفلسفات غير الأيديولوجية أو الأكثر تحرراً من هذه الأيديولوجيات، لا تحكمها هذه التصورات الهرمية بهذا الشكل الصارم.....

الجواب: لا يمكن أبداً، خذ الرأسمالية المادية البحتة، الطاغية، انظر إلى كتاباتهم في القانون، لا بدَّ أن يبدأ من فلسفة من أجل أن يؤسس مفهومه للحقوق، هو يقول: أخلاق،

فضيلة أو أخلاق رذيلة، لا بدَّ أن يبني له رؤية لكي يوجد حقائق، ماذا يقول؟. مصالح وعدم مصالح، لا بدَّ أن يبدأ بالرؤية الكونية ثم الآداب والأخلاق ثم النظام الحقوقي ثم النظام القانوني، هذا ترتيب رياضي عضوي لا يمكن فكه، هذه درجات تكوينية سواء كنت أؤمن بالميتافيزيقا أو لا أؤمن، الجهاز الوجودي هكذا طبيعته الهرمية. لدينا فلاسفة ماديون، هم بأنفسهم ينظرون لأجل الأخلاق المادية، الآن قد يقول قائل: ما الذي يمنع من زواج الرجل بالرجل؟. يحاولون أن يفلسفونها ويقننونها، يقولون إنه بحاجة لأن يشبع رغباته، لماذا؟. لأن الفرد مطلق في حقوقه، والفضيلة في أن يشبع الرغبات، فلا بدَّ من أن يفلسف ويعلل، إذاً لا يوجد مفر من هذا الجانب.

المحاور: ولكن في فلسفة العلوم التي تقرأ الإنسان وتحاول فهمه، وفهم مسيرته وسلوكه وتاريخه، تبقى لهذه العلوم درجة من الاستقلالية، فهي لا تخضع بالضرورة إلى هذا التصوُّر الهرمي، بل إنَّ هذا التصوُّر الهرمي هو أحد موضوعاتها التي تعمل على قراءتها ونقدها؟.

الجواب: نعم، طبعاً بحث المعرفة على أي مشرب، سواء كان مادياً أو ميتافيزيقياً أو غير ميتافيزيقي، جنسي أو فرويدي أو غيره، إن البحث في المعرفة يهيمن بالطبع على العلوم الإنسانية، ويهيمن على العلوم التجريبية، حتى الرياضيات لها فلسفة، تنظم تحت الفلسفة العامة. من يقول لك إن اثنين زائد اثنين يساوي أربعة؟. هذا تلقين قد لقنوك إياه واقتنعت به، اثنان زائد اثنين لعله يساوي خمسة ! مجموع زوايا المثلث قد لا تكون مائة وثمانين. هذه البديهيات تُناقش الآن، هل هي صحيحة أم خطأ، إن نظرية المعرفة تهيمن ولها جبروت حتى على الرياضيات والجبر والهندسة والفلك.

فرضية تكوين الذرة

هل تعلم أن تكوين الذرة من بروتون ونيترون وإلكترون، ليست حقيقة إنما نظرية، إنها فرضية ولحد الآن لا يعلمون هل أن الذرة هي بروتون ونيترون وإلكترون، أم أن هذه فرضية خاطئة، لقد جاء نابغة إيراني من طهران عمره أربعة وثلاثون عاماً، من جامعة هارفارد، قال إن هذه الفرضية خاطئة، الذرة رغم إنكم عملتم منها الانفجار النووي والقنابل النووية. هذا الشاب كان مقدم في الجامعة من أجل الماجستير، فمُنح رتبة بروفيسور، لقد أحضروه إلى إيران وأجروا معه مقابلات، هذا النابغة قال: نحن لا يوجد لدينا بروتون، نيترون، إلكترون، ما لدينا هو (خيوط طاقية)، قيل له من أين أتيت أنت بهذا، قال: هذه أيضاً فرضية لكنها أقرب إلى الواقع من تلك، جاء عالم إنكليزي وأكمل هذه الخيوط الطاقية بشيء آخر، فما الذي حدث؟. كانوا يعتقدون أن الجسم له أربعة أبعاد، ولكن وفق نظرية هذا الإنكليزي أصبح للجسم عشرة أبعاد، قيل له ما تأثير هذا على علوم الفيزياء والفلك والأحياء والكيمياء والطاقة والذرة وعلوم الفضاء وغيرها، قال: أتوقع بعد كم عقد من السنين يصبح تفجُّر في العلوم، نحن نتعامل مع ظواهر صحيحة بُنيت على فرضيات خاطئة.

إن موقعية نظام المعرفة، وأنا لا أتحدَّث عن أية مدرسة منطقية او فلسفية هي الصحيحة، إن كلامي حسب السؤال، ما هو موقعية نظام المعرفة والفلسفة على العلوم الأخرى؟. نقول إن له الأمومة، سواء أردت أن تتخذ مدرسة في الفلسفة الإنسانية أو الفلسفة الهندية أو الفلسفة الفارسية القديمة أو المصرية أو غيرها، سواء كانت فلسفات حديثة أو قديمة، المهم أن نظام المعرفة هو الذي يتحكَّم فيها ويهيمن عليها. قضية ترتيب العلوم هذه ليس ترتيباً يتنازع فيه اثنان من الأكاديميين في أي بقعة من الأرض، أما أن أختار أي مدرسة؟. فذاك بحث آخر.

إن إحدى مشكلات العلمانية الغربية في تلقي المسلمين لها، تكمن في أنها تأتي وتخلط لنا الأوراق، مع احترامي للعلمانيين العرب، أنا أقول إنهم ليسوا بكفاءة العلمانيين الإيرانيين، ما هو السبب؟. السبب هو أن الفلسفة في إيران قوية جداً، والعلمانيون الإيرانيون أكفأ في فهم النظريات الغربية العلمانية من نصر حامد أبو زيد ومن الجابري والأنصاري وغيرهم، مع احترامي لهم، ولكنهم ليسوا ذوي تضلع قوي في البحوث الفلسفية، وتظهر هذه المشكلة في كيفية أخذ القراءات أو النظريات التي يطرحونها ويُسوِّقها، وأنا لا أريد أن أفنِّد أو أصحِّح.

المرحوم الشيخ عبد الكريم الزنجاني، لا أدري إن كنتم سمعتم به أم لا، أستاذ السيد الخوئي، لقد سافر إلى مصر بنية التقريب بين المذاهب، حتى أن طه حسين قد قبَّل يده في المؤتمر الإسلامي في فلسطين، وقال هذه أول مرة أقبِّل يداً، إعجاباً بها، الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء في النجف، أيضاً قام بهذه الخطوات، لكنه لم ينجح في تقارب الأنظار والرؤى. لقد تفاعل الشعب المصري والأردني والشامي مع الشيخ عبد الكريم الزنجاني، حتى إنه خطب في المسجد الأموي خطبة مجلجلة، ولم يصعد هذا المنبر من شيعة أهل البيت إلا الشيخ عبد الكريم الزنجاني. قال له الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء: أنا ذهبت ولم أنجح هذا النجاح الذي حققته أنت، وأنت لست عربياً وأنا عربي ! قال له: لأنك ذهبت وسابقتهم بالأدب، وإن كان لديك باع في الأدب، ولكن مصر هي أم الأدب. أنا ذهبتُ لهم بعلم الفلسفة والمنطق وليس لديهم باع فيه.

للعلامة الطباطبائي عبارة لطيفة يقول فيها: أنا أتعجب من الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، قالوا له: لماذا؟ قال: لأن هذا عربي ويحب الفلسفة وأنا لا أرى عربياً يحب الفلسفة ! ليس مقصودي الأفراط في هذا التقييم، ولكن الباع الفلسفي مؤثر في هذا البحث بغض النظر عن الفلسفة المتبناة.

المحاور: رغم تعدُّد مدارس العقل العملي، يبقى الرجوع للمنطق الأرسطي، إطاراً مشتركاً بينها، يرجع إليه العلماء في الحوزات الدينية، ويتصوَّرون على أساسه أيضاً المعرفة وبنيتها.

هذا المنطق الأرسطي تعرَّض في العصر الحديث إلى النقد وقد تمَّ تجاوزه في أمور كثيرة جداً، أما (العقل العملي) فيبدو أنه ما زال وفياً لهذا المنطق ويدور في فلك هيمنته..

الجواب: أما بالنسبة لاعتماد الحوزة على المنطق الأرسطي، فأقول لك لا، إن لديها عدة مدارس متكاملة، مدرسة التفكيك لا تعتمد على المنطق الأرسطي، بل هي تناقشه وتفنده، مدرسة أخرى أيضاً كلامية تنتقد، هناك قواعد علم الكلام المستقلة عن المنطق الأرسطي، ولدى الشيعة مدارس منطقية أصلحت المنطق الأرسطي، أما أن يكون في المنطق الأرسطي بنود ما زالت تستصحبها الحوزة فهذا صحيح، أما أن تكون المدرسة المنطقية الأمثل، فلا.

ولأضرب لك مثالاً مقولة الإمام علي: (حُب الشيء يعمي ويصم)، هذه قاعدة عملية لا نجدها في المنطق الأرسطي، ولا يعطيها أي دور في الاستنتاج الفكري للإنسان، لكن أمير المؤمنين عليه السلام يقول: نعم إن لها دوراً. (حُب الشيء يعمي ويصم) أي يعني أنه يجعلك لا ترى الحقيقة. من تعابير أمير المؤمنين أيضاً الموجودة في نهج البلاغة، إن طهارة النفس تؤثر في استنتاج الإنسان، وكدارة النفس أيضاً.

توجد بنود كثيرة في المنطق مارسها المتكلمون، ولكن لماذا يختلف المتكلمون عن الفلاسفة؟. لأن المتكلمين يتقيدون ببنود الشريعة للمنهج الذي تطرحه الشريعة، هم يحاولون بلورة المنهج الذي تطرحه الشريعة، ومن جانب آخر عندهم الجهة العقلية قوية.

المعرفة الدينية بالذات محكومة بقوة بمدارس عديدة لا تخضع للمنطق الأرسطي فقط، إنها تستصوب من المنطق الأرسطي ما تراه صواباً، وأضافت إليه الكثير من المدارس، كالمنطق الاجتماعي مثلاً، والذي يسمَّى في لغة القرآن بالظاهرة الاجتماعية، من المعروف: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[1]، هذه ظاهرة اجتماعية يطرحها القرآن ويطرح منطقها و نتائجها وما شابه ذلك. كيف اقتنعت هذه الأمة؟. أو لمَ لمْ تقتنع؟ ولمَ صارت لديها هذه الرؤية وليست تلك، فهذا علم اجتماعي موجود في القرآن الكريم، وموجود في

---

(١) الرعد: ١١.

أحاديث الرسول ﷺ وموجود في نهج البلاغة أيضاً وفي روايات الأئمة، كالمنطق النفسي أيضاً موجود فيها، هذه المدارس المنطقية الحديثة الموجودة بشكل بوادر تأسيس أو ربما واصلوا فيها مسيرات، هذه موجودة في بحوث الفقه وإن لم تكن باللغة الحديثة..

المحاور: موجودة كآراء؟.

الجواب: لا، ليس كآراء فقط، بل كبحوث ومنهجية، لكن المشكلة الموجودة بين الحوزة وبين الشارع العام المتغيِّر هو اللغة، وليس المقصود قواعد اللغة النحوية، من باب المثال مثلاً كلمة (لعن)، بدأت نظرة فلسفية جديدة أو نظرة اجتماعية تقول ما هذا اللعن وهذه الأحقاد !؟. وفي القرآن موجودة كلمة لعن، ولكن لو أتينا بهذه الكلمة للغة الحديثة، فسوف يكون لدينا تصوُّر آخر لها، وهذه مشكلة منهجية مهمة أطرحها في القراءات الدينية، خذ كلمة (إدانة)، (شجب)، رئيس الوزراء الياباني في أول يوم وفي أول شهر من هذه السنة الميلادية، ذهب لزيارة قبور جنرالات الجيش الياباني في الحرب العالمية الأولى، ضجَّت الصين ووزارة الخارجية وحدثت مظاهرات، ما القصة؟. كان ذلك اعتراض على زيارة الرئيس الياباني لقبور جنرالات اليابان، كوريا أيضاً والتي هي في الفلك الأمريكي وفي حلف مع اليابان، حدثت فيها ضجة واعتراضات رسمية على هذه الزيارة، العام الماضي تكرر نفس الحدث أيضاً. الصين وكوريا الجنوبية تعترضان على هذه الزيارة لأنهم يرون أن هؤلاء ارتكبوا جرائم سفك دماء بشعة في حق شعب كوريا الجنوبية، ولأنهم يحملون رؤى وأفكاراً عرقية، وعندما يقوم الرئيس بزيارتهم فإنه يتضامن معهم، في حين أن عليه أن يدين مدرسة وفكر هؤلاء الجنرالات لا أن يتضامن معهم، ما معنى يشجب؟. ما معنى يستنكر؟. ما معنى يدين؟. هي تعني (لعن).

إذاً الأزمة التي أراها في إيصال الرؤية الدينية إلى الشارع العصري هي أزمة جسر (اللغة)، وإذا كان بإمكاننا بناء هذه اللغة، فيمكن حينئذٍ إيصال الكثير من التنظيرات والبلورات والرؤى والأطر في العلوم المختلفة.

المحاور: في نقد المنطق، هل تبلور شيء نظري يعيد قراءة هذا المنطق من جديد أو يعيد نقده؟.

الجواب: من باب المثال والنموذج أذكر مدرسة التفكيك..

المحاور: وإن كانت تقوم على نفي المنطق كله..

الجواب: لا، لا، هنا تنفي شيء آخر. محمد أمين الاسترابادي في كتابه الفوائد المدنية، لديه نقاشات لطيفة وبارعة للفلسفة اليونانية وللمنطق، وكذلك الشيخ جواد الآملي والشيخ مصباح اليزدي، لقد لاحظوا إشكالات على المنطق الأرسطي.

المحاور: أود أن ننتقل في هذا الجزء الثاني من الحوار إلى موضوع قراءة العقل العملي للمجتمع وفق ممارسة الحوزة، وهنا أود أن نتطرق إلى قراءة العقل العملي للمجتمع والإنسان والنصوص. من المعروف أن العقل العملي يهتم بما ينبغي وما لا ينبغي في المجتمع، ما ينبغي وما لا ينبغي كما يقول أكثرهم ينتمي إلى أحكام المشهورات، وهي أحكام يصفها بعضهم بأنها قضايا كاذبة...

الجواب: فرقٌ بين (الكاذبة) و (التكوينية). الاعتبارية، لا وراء لها وراء الاعتبار، هذه النظرية أخطئها أنا، ومذهب الإمامية يخطئها، وإن كان بعض رواد الإمامية يتبناها..

المحاور: سنتعرَّض إلى نظرية الاعتبارات، خصوصاً عند السيد الطباطبائي، لكن نريد أن نتعرَّف على وجهات نظركم في البداية، في ما يدور من نظريات في هذا المبحث، تتعلق بطبيعة القضايا من حيث يقينها ونسبيتها أو كما يقال اعتباريتها وتكوينها.

الجواب: في الواقع الاهتمام بهذا المبحث هو وراء قصة تأليفي لكتاب (العقل العملي). لقد قرأت كثيراً في فلسفات اليونان والفلسفات الغربية الحديثة، لقد كانت تشغلني أثناء دراستي لما يسمَّى بمقدمات السطوح، النظرية التي يطرحها الفيلسوف القدير الأصفهاني أستاذ العلامة الطباطبائي، هذه النظرية لا تتوافق مع ثوابت متكلمي أهل البيت من أنَّ الكثير من الأدلة النظرية ترافقها، وتعاضدها، وتنضم إليها، إضافة إلى أدلة من العقل العملي. كنت أتساءل: كيف نبني رؤى كونية على أمور اعتبارية !؟. إذن يصبح هذا الاستدلال كله ترفاً؟.

هذه (الرؤية الاعتبارية) كنت أستبعدها، والحلول التي يطرحها المرحوم الأصفهاني، مع أنها اعتبار إلا أنه لا يقول إنها عملية كاذبة، حتى الأشعرية السنة أيضاً لا يقولون إنها

كاذبة، وعندما تأتي إلى الفلسفة الغربية لا تقول إنها كاذبة، تقول هذا شيء آخر، تقول هذا اعتبار، فرضية، الاعتبار الأدبي أو القانوني هو فرضية تنظم أفعال الفرد أو الأسرة أو المجتمع، هذه الفرضية يقولون ليس لها ظاهرة كونية محسوسة مثل لون، جسم، مادة، طاقة، إنها فرضية ونحن مضطرون إليها، لأن المجتمع لا يمكنه بدونها أن ينتظم أو أن يُدار، وعلم الإدارة هو دم المجتمع ودم النظام الاجتماعي، فرضيات بمعنى اعتبارات أدبية، أي (لازم) و (غير لازم)، وهي تنظم المجتمع في كل حقوله وكل مؤسساته، حتى فلاسفة الغرب الآن أو المحدثين أو القدماء والأشعرية السنة وبعض الإمامية، لا يقولون إن هذه النظرية الاعتبارية كاذبة، ولكن يقولون ليست تكوينية، وعندما يقولون ليست تكوينية فهم يعنون أنها اعتبارية.

مصدر الاعتبار

طيِّب اعتبارية ولكن من أين أتت؟. قالوا بتوافق وتراضي الأكثر أو الكل، وحقيقتها تنشأ من الحاجة إلى النظام الاجتماعي، لأجل وصول كل فرد في المجتمع إلى كماله وإلى تلبية حاجاته، لكي لا يحصل تصادم، وهم يعبِّرون عن ذلك بأنه توجد حقائق تثمر فوائد، وتوجد حقائق هي التي دعت إليها، ولكن هو ما حقيقته نفسه؟. إن حقيقته أنه (اعتبار)، أي ليست له أية صلة بالتكويني، إنه فرضية، مثل الذرة مثلاً في العلوم التجريبية، يقولون إن تركيب الذرة من إلكترون وبروتون ونيترون ليس حقيقة علمية، ولحد الآن لا يستطيع العلم أن يدلي في ذلك، فقط هي ظواهر، رغم أنه وصل إلى الانشطار النووي، لقد توصل العلم إلى أن هذا الشيء الضئيل يمتلك طاقة، وهذه كلها تسمَّى ظواهر، شيء ولكن لا نعرف هذا الشئ ما هو، ولكن بحسب ظواهره أستطيع أن أتصرَّف فيه إلى حدٍ ما، فأستخرج منه طاقة، ولكنه هو ماذا؟. يبقى فرضية، إلى أن جاءت فرضية أخرى للعالم النابغة الإيراني الذي سبق أن ذكرته، يقول إن هذا الشيء ليس ذرة ولكن خطوط طاقية وأكملَ هذه النظرية عالم إنكليزي.

إذن يوجد فرق في نظام المعرفة حتى في العلوم التجريبية بين (الفرضية) و (الحقيقة)، هذا ما أرادوا أن يقولوه، إن هذا الاعتبار صحيح إنه ليس تكوينياً، فلا نخدع أنفسنا، هو فرضية ولكن الحاجة التكوينية تدعو إليه، وهو يثمر فوائد وكمالات ونمو وتطوُّر تكويني.

طبعاً هذه النظرية لا تقرها مدرسة أهل البيت، ربما فقط من عشرة إلى عشرين بالمئة من علماء الإمامية يتبنّون هذه النظرية، ولكن مع خلاف آخر مع الفلاسفة، هذا الاعتبار الذي يبرمجه الخالق أكفأ في البرمجة من البشر، لأنه محيط بأسراره، أما أصحاب المذهب القانوني الأنكلوسكسوني فيقولون إن البشر بحكم التجربة يكتسبون قوانين أكثر، لذلك في إنكلترا في القضاء وفي القانون، لا يوجد لديهم قانون مدوَّن، إنهم يسمونه (تجارب قانونية مدوَّنة)، والقاضي أو البرلمان أو المحكمة الدستورية، لها الحق أن تستفيد من أي تجارب قانونية بشرية موثقة، وتسن بناءً عليها قوانينها، لذلك في نظريتهم وقانونهم الأنكلوسكسوني، يقولون إننا لا نؤمن بقانون مدوَّن، ولكن القانون الفرنسي قانون مدوَّن، قد تطرأ عليه تغييرات بحكم التجربة هذا بحث آخر، لكنه لا بدَّ أن ينطلق من أصول قانونية ثابتة، وتوجد مدارس قانونية أخرى عديدة، لا أريد أن أدخل فيها لكي لا تضيع أصل الفكرة.

إذن الجميع يؤمن بالحاجة إلى الفرضية القانونية، فإذا لم يكن هناك نظام في المجتمع البشري، فسوف يصبح مجتمع غابي حيواني، والفرق بين الإسلاميين وبين الغربيين اللذين يؤمنون بهذه النظرية، هو أن الغربيين يرون أن الحُسن والقبح وأحكام العقل هي اعتبارية وفرضيات لا حقائق تكوينية. الإسلاميون القائلون بالاعتبار يقولون إن الأكفأ الذي ينظم هذا الاعتبار هو الله (عزوجلّ)، والله (عزوجلّ) له بُنية من النظم القانونية الاعتبارية الفرضية والعقلية والإلهية، هذه فرضيات ثابتة، ويوجد جانب متغيِّر في التطبيقات، فيصبح الرأس هو البُنية كما في المخروط والقاعدة هي الشجرة، البُنية الأصلية الله عز وجلّ يأتي بها، ولها درجات من الثوابت، وللنبي والأئمة عليهم السلام أيضاً أدوار في التشريع، ثم يأتي

بعدها دور الاجتهاد ودور التطبيق وهلم جرا، ودور التفريع والمشجرات المنظومية القانونية.

هذه هي نظرية القائلين بنظرية الاعتبار فيما ينبغي وما لا ينبغي، وهذا هو الفارق بشكل موجز بين الاسلاميين والغربيين، توجد بينهم مشتركات واختلافات، لكن لا يعبِّرون عنها أنها كاذبة نعم قد تكون خاطئة إذا أثبتت التجربة ذلك كما يقول الغربيون.

تمويه ابن سيناء

أما المدرسة الإمامية وهي مدرسة أهل البيت فتقول: قضايا العقل العملي تكوينية، وأستطيع أن أقول إن تسعين بالمائة من علماء أهل البيت، من مفسرين ومحدِّثين يقولون إنها تكوينية. لقد توصلت من خلال بحثي إن ابن سيناء مع الأسف كان له ريادة في هذا التمويه الفني أو التلبيس بشكل مقصود أو غير مقصود بحسن نية أو بسوء نية. وقد جعل يوهم الرعيل الذي بعده من الفلاسفة الإسلاميين: أن الفلسفات اليونانية كلها تتبنى النظرية الاعتبارية في الحسن والقبح. ولكن من خلال تنقيبي في فلسفة أرسطو وأفلاطون والفارابي والفلسفات الهندية والفهلوية والمصرية، وجدتها كلها تقول إنها ظاهرة تكوينية في بنيتها الأصلية الأولى، وليست اعتبارية، نعم قد تختلف في تفريعاتها التي يواصلها العقلاء بعد ذلك، هذا شيء آخر، ولكن متكلمي الشيعة سدوا هذه الثغرة، واستمرت مسيرة الفرضية الاعتبارية بعد ابن سيناء وأخذت في التجذر إلى زمن الكمباني الذي اعتبر الكل اعتباريات وليس لها أي نسبة في التكويني والعلامة الطباطبائي زاد التشدد في هذا الاتجاه.

أعود لابن سيناء، إن الفحص الذي أجريته خلال أربع صيفيات، أوقفني على ابن سيناء، لأن له الريادة، لقد قام بتمويه، جعل يوهم البعض من رعيل الفلاسفة الإسلاميين أن الحُسن والقُبح في(العقل العملي) عند الفلسفة اليونانية هي فرضية اعتبارية، ولعل نسبة يسيرة منه تكوينية، أما النسبة الكبيرة منه فاعتبارية، فصرت أبحث وأبحث في كتب ابن

سيناء، في الشفاء والإشارات والنجاة وغيرها، وهذه موسوعات كتب يُفترض منها أن تفسِّر وتترجم الفلسفة اليونانية، لذلك ذهبت إليها، لقد كان في ذاك الوقت أرسطو وأفلاطون وفيثاغورث. هؤلاء جميعهم يقولون خلاف ما أوهم به ابن سيناء وكذلك الفلسفة الهندية، نفس النظرية لديهم، يقولون إنه ظاهرة تكوينية في بنيته الأصلية والأولى وأصليته، إن كانت توجد تفريعات اعتبارية قد يواصلها العقلاء فذاك بحث آخر، أما نفس العقل وحكم العقل فلا بدَّ أن يكون تكوينياً، والأمر كذلك بالنسبة للفلسفة الفهلوية، وفلسفة المصريين الإسكندرانية.

وهذا خلاف ما قال ابن سيناء حتى إنني قلت من باب اللطيفة إلى المشايخ في الحوزة ممن لهم الريادة في الفلسفة والمنطق وغيره، قلت لهم: لديَّ موقف يوم القيامة مع ابن سيناء، لماذا عمل هذا العمل؟ لأنه لو لم يفعل هذا، لكانت مسيرة (الحكمة العملية) مختلفة.

ابن سيناء نابغة، بدون شك، لكني وجدت أن البراهين تقول لا، وجدت أن الفارابي لديه براهين وأرسطو لديه براهين وسقراط لديه براهين، الهنود كذلك لديهم براهين، والقرآن قبل والسنة النبوية، كلها تذهب في اتجاه يخالف اعتباريات ابن سيناء.

مغالطة الأشعري

بدأت أتساءل كيف أن أدلة الكمباني وأدلة ابن سيناء ليس فيها صوابية؟. رجعت إلى خلاف المعتزلة والأشاعرة، وجدت أن أبا الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري البصري (ت ٣٢٦هـ) لديه مغالطة أو لنسمِّها تمويه خاطئ أراد به أن يحمي نظريته، الشيعة يقولون أن الحُسْن حَسَن لا يتغيَّر، والقُبْح قبيح لا يتغيَّر، هذه ثوابت تكوينية، الله لا يضع أحكامه جزافاً ولا يجوز تقديم المفضول على الفاضل، كما في السقيفة، الأشاعرة اعتمدوا ما قدَّمه الشارع لتميز الحُسن والقبح، فلا يوجد حَسَن ثابت، ولا يوجد تكوين ثابت، فهذه كلها اعتبارات، وما يفعله الله يصبح حسناً وما لا يفعله يصبح قبيحاً، بالطبع

نحن نقول إن الله فوق كل شيء ولا يُسأل عما يفعل، ولكن ماذا تقول النظرية الإمامية؟ تقول إن منظومة الذات الإلهية وأفعالها مرسومة على حكمة، ومع أنه لا قانون يحكم الله، إلا أن الله يقنِّن القوانين التكوينية وفق حكمة لا كما تفعل الدكتاتوريات.

الثوابت التكوينية هي تجلٍّ وإفاضة من نفس قوانين الذات الإلهية، يوجد للذات الإلهية نظام ربوبي، سنن ذاتية في الذات الإلهية. ماذا قال أبو الحَسَن الأشعري في قبال قول الشيعة بالكمال والنقص؟.

قال إن الذم والمدح أمور وضعية، أي يضعها البشر كما يضعها الله، فالحَسَن يعني المدح، والقبح يعني الذم، هذه أمور فرضية وليست ظواهر تكوينية، الظواهر التكوينية فقط الكمال والنقص، وفرقٌ بين المفهومين، هذه اللعبة العلمية انطلت على ابن سيناء، وانطلت على أبي الحسن الأشعري، لأنه لم يفككها بشكل دقيق، على الأقل في فهمي ورؤيتي أنا إليه، كما انطلت على أجيال علمية كثيرة إلى أن جاء شخص في كتابه (العقل العملي) وقال شيء قد قاله أيضاً علماء الشيعة، إلا أنهم لم يبلوروها بشكل دقيق، جاء هذا الشخص وقال إن هذا المدح والذم تكوينيان.

قلت هل يجوز أن يذم شخص ما بكمال !؟ لا يمكن، هذا ذمٌّ كاذب، هل يجوز أن يمدح شخص بنقص !؟ هذا مدحٌ كاذبٌ أو خاطئ، إن المدح في أصل ثوابته لا يكون إلا بكمال، والذم في أصل ثوابته لا يكون إلا بنقص، إلا أن يمسخ الإنسان فطرته وذاته وهذا شيء آخر، ولكن، هل من الممكن أن يستحب الانسان شيئاً غير الكمال؟.

الكمال والنقص

قد يحصل ذلك نتيجة جهل أو تربية فاسدة أو علوم فاسدة أو خاطئة، أو إعلام مزيَّف، فيستحب النقص، ويعتقد أنه كمال، ولكن ما هو دافعه للشيء؟. إنه يستحبه ويستهويه، دافعه أن هذا الشيء هو كمال، هل من الممكن أن ينفر الإنسان ويتبرأ أو أن يسخر من الكمال؟.

لا، هذا خطأ، قد يسخر من النقص، والقرآن يطرح هذه النظرية في سورة الحجرات، أن السخرية بالخيرية والخيرية بالتقوى لا بشيء آخر، استهزاء، سخرية، قبح، ذم، نِفرة، هذه كلها أفعال تبرِّي، وهي أفعال ذات مراتب تقوم بها النفس، أنا أقول أن هذه الأفعال تندرج في خانة القبح، المجتمع يستحب ويستحسن فعل معيَّن، فإذا كان هذا الفعل خطأ، فإن استحسان المجتمع إليه خطأ، وقد غُرِّر بالمجتمع فاستحسن هذه الظاهرة الخطأ نتيجة تربية خاطئة أو إعلام مُسيَّس، وقد يستحب المجتمع ظاهرة معينة تؤدي إلى الإجرام، كالإفراط في الغريزة الجنسية الذي يؤدي إلى الإجرام، والجريمة إذا انتشرت في المجتمع تهدد النظام الاجتماعي والحقوق الفردية والأسرية وغيرها، فيغرر بالمجتمع فيتصوَّر أن الإفراط في الغريزة الجنسية كمال وهو أقصى السعادة.

إذن لا يمكن للإنسان أن يستحسن ويستحب ويميل إلى شيء مع علمه بأنه ناقص، قد يغلف له ويُغسل العقل الإنساني أو الإسلامي أو العقل العربي، بغسيل ثقافي فتُزرع فيه معانٍ ناقصة، لكنه يعتقد أنها كمال، لقد حاولتُ أن أثبت هذا في أخلاق الاجتماع، فالذم لا يفترق عن النقص، ولا يفترق المدح عن الكمال، كما ادَّعى أبو الحسن الأشعري، وتابعه عليه ابن سيناء والكثير من فلاسفة المسلمين، وخالفهم متكلمو الشيعة بنباهة ويقظة وذكاء، وقد ظلوا على هذا قبل أبي الحسن الأشعري وبعده، وقبل ابن سيناء وبعده، بتشدُّد وبقناعة تامَّة.

النفرة والانجذاب

صحيح أن النفس تقوم بأفعال: النِفرة والانجذاب والتبرّي والسخرية والتبجيل والإهانة، ولكن النفس تقوم بها بارتباط مع ظواهر تكوينية، تنشد الكمال فتنجذب إليه، أو تدرك نقصٍ فتنفر منه، نقص فردي أو أسري.

لا مدح ولا حمد ولا تمجيد ولا ثناء ونحوها إلا بالكمال والنفع، ولا ذم ولا قدح ولا تعييب إلا بالنقص والضرر والفساد. وأن الملاءمة والمنافرة من لوازم الشيء بلحاظ كونه كمالاً بشيء آخر أو نقصاً له.

تعتقد الدولة مثلاً أن سياسة نقدية معينة هو الذي يحقق العدالة، لأنه لا يسبب تضخماً ولا يؤدي إلى سرقة الدولة وظلم المحرومين، وينجذب إليه خبراء ونخبة، ثم يتبيَّن بعد عشر سنوات أنها سياسة فاشلة، لقد ظنوا أن هذا النظام المصرفي هو العادل، ثم تبيَّن أنه هو الذي يزيد الفاصل بين الطبقات المحرومة والطبقات الثرية، ويؤدي إلى عدم العدالة في الثروة ويؤدي إلى الاستبداد والاحتكار.

في كتابي (العقل العملي) قلت يوجد في عقل الإنسان قوتان قوة العقل النظري وهي تحدد فقط الموجود وغير الموجود، والموجب والسالب أي أنها محكومة بنعم ولا. وفيه قوة أكثر حيوية ونشاط، وهي ما نسمِّيه العقل العملي، لقد وجدتُ في بحثي أن هاتين القوتين تدركان شيئاً واحداً، وبينهما تعاون وتعاضد.

لكن يمتاز العقل العملي بالتفاعل، والحيوية، والتناغم، والانجذاب. العقل العملي هو هكذا لذلك للعقل العملي خاصية تجعله ينجذب حتى إلى الله بخلاف العقل النظري، لذلك تجد أن الفرق بين الفلاسفة والأنبياء، أن الفلاسفة ينظِّرون فقط، ولا يغيِّرون شيئاً في المجتمعات، أما الأنبياء فإنهم يجسِّدون الكمال النظري، ويجعلون المجتمعات تتفاعل، لذلك الله عند الأنبياء يختلف عن الله عند الفلاسفة، الله عند الفلاسفة ذات مجمَّدة في الثلاجة،

بينما الله عند الأنبياء حيوي متداخل مع حركات وسكنات الشعوب والأفراد والأسر والذكور والإناث، الله حيوي حاضر موجود، بمعنى فاعليته في البشر ونشاطه في البشر.

المحاور: هل الخلافات بين الذين يقولون بالاعتبار وأولئك يقولون بالتكوين خلافات لا تتجاوز المسائل النظرية ومماحكاتها التجريدية أم أنها خلافات تمس نظرتهم إلى المجتمع وإلى العلوم والعقيدة والإنسان ورؤيتهم للحياة؟.

الجواب: لا، هذه الخلافات ترتَّب عليها خلافات عملية شاسعة، مدرسة الأشعريين تقول لا يوجد ثوابت في ما وراء الاعتبار الإلهي أي الفرضية الإلهية، ما وراءها قوانين أخرى، هذه لا يوجد بها شيء ثابت، ما يفرضه الفقيه أو المجتهد أو الحاكم هو الصح، وهم ما يسمَّوْن بالمصوِّبة، ما يفعله السلطان باعتباره ظل الله في الأرض صحيح، وبالتالي من الخطأ أن نعارض بني أمية وخلفاءهم في المجال السياسي وفي المجال الحقوقي وفي مجال العدالة.

بحسب بحوثهم لن نحتاج إلى إمام معصوم، من بعد النبي لسنا بحاجة إلى تغطية من السماء في التقنين لمستجدات الحياة، الأشعرية يقولون لا نحتاج، إنهم لا يحتاجون، لأن سنتهم في الجماعة، والجماعة بحسب رأيهم لا تخطئ، هذا افتراق حتى عن الشورى، انظر إلى ما هو مطروح الآن، ستجد أن بينه وبينهم بون شاسع، الديمقراطية الغربية الآن، مطروحة، ونظرية الشورى السنية مطروحة، وافتراقها عن النظرية الشيعية الاثني عشرية، هو أنهم يقولون أن ما انتخبه الكل أو الأكثر هو الصحيح أو بحسب القديم ما انتخبه من يسمُّونهم بأهل الحل والعقد والسنة والجماعة هو الصحيح وهو السليم، وهذه هي الحرية والديمقراطية والشورى والعدالة وهلم جرا، الشيعة تقول: لا، تقول إن العدالة غير مرتبطة بالآراء وليست مرتبطة بالإدراك البشري، العدالة ظاهرة تكوينية، إن أردتم عدالة قضائية أو مالية أو مصرفية أو إعلانية أو قانونية أو حقوقية أو سياسية أو أمنية أو أسرية أو فردية أو سلوكية غيرها، فهذه كلها لها سنن تكوينية، وهذا البرنامج التكويني من الله عز وجل وهو لا يخطئ، نعم يوجد ثابت ومتغيِّر، ولكن هذه السنن التكوينية ثابت لا يتغيَّر، وإن كانت تواكب وتحيط بالمتغيِّر، مثل المعادلات الثابتة في العلوم وهي تحيط بكل المتغيرات، قد

تفترض العلوم نظرية خاطئة، ولكنها إذا تحولت من فرضية إلى حقيقة تصبح ثابتة، تصبح السنن الفيزيائية ثابتة في الكون، سواء كانت فلكية أو فضائية أو رياضية، ولكن في ظل متغيرات مختلفة.

الشيعة الإمامية تقول إن هذه العدالة التي ترونها في ظل الأطوار المتغيِّرة هي عدالة تكوينية وسننها ثابتة، من هو المعصوم؟.

المعصوم هو نخبة بشرية، والله هو خالق هذا الكون بعظمته، والله حتماً لأجل كماله وجلاله وبداعته ولطافته وحنانه، بعث (انترنت) في حالة اتصال دائم مع البشرية، قال لهم هل تريدون أن تكونوا على اتصال دائم معي؟. لا توجد نظرية وديانة وملة في البشرية في يومنا هذا، تقول الإنترنت الإلهي موجود.

لقد توصلت البشرية إلى تطور عجيب في الإدارة البشرية، ما هي الإدارة؟. هي القيادة، ما هي القيادة؟. هي الإمامة، الشيعة قبل أربعة عشر قرناً يؤمنون بأن الخفاء هو سرّ القوة وسرّ إدارة المجتمعات البشرية وسرّ الأمن البشري والمالي والاقتصادي وغيره، نحن نقول إن الإنترنت الإلهي ما زال هو الذي يقود البشرية.

المحاور: وماذا عن الخلاف داخل النطاق الشيعي نفسه بين من يقولون بالاعتبار ومن يقولون بالتكوين؟.

الجـواب: في المدرسة الإمامية، نتج خلاف، ولكن ليس بحجم الخلاف الذي نتج بين الإمامية وسنة الجماعة، توجد بيننا وبين السنة مشتركات فطرية كثيرة، ولكن يوجد خلاف بيننا وبينهم، ويوجد بيننا وبين الغرب مشتركات بشرية كثيرة، وقد تكون بعض هذه المشتركات الفطرية بيننا وبينهم أكثر مما هي بيننا وبين بعض المذاهب الأخرى.

إن المساحة بين من قال بالاعتبار، في مسار الإمامية، وبين من لم يقل به، ليست بتلك الشساعة، لأن تجمعهم أصول المذهب الشيعي العقلية والاعتقادية الوحيانية، وبالتالي ظلوا ولا زالوا في المسار الشيعي المشترك، ومع ذلك صارت فروقات منها أن العلامة الطباطبائي رحمة الله عليه والمرحوم الإصفهاني، نظرا إلى بعض الثوابت التي يعتقد الشيعة أنها ثوابت، في الجانب العرفي وفي الجانب التقنيني، نظرة اعتبارية، قالا قد لا تكون

هناك بنية تكوينية واستبعداها، وهي تظل في منطقة المتغيِّر، بينما إذا قلنا إن العقل يدركها، فهذه حتماً تكوينية وهي من منطقة الثابت لا المتغيِّر.

خلاف الطباطبائي

توجد بعض بقاع المتغيِّر، وبعض بقاع الثابت بين العلامة الطباطبائي والإصفهاني وبقية علماء الشيعة، في بعض المواضع، مثلاً الغيـــرة المتعلقة بالحياة الزوجية عند العلاّمة الطباطبائي ليست فطرية، لدينا أن (الغيرة) فطرية، وهي ترجع إلى الحُسن والقبح، والغيرة المقننة وضمن حدود، هي فطرة إلهية شريفة وغريزة أودعها الله في البشر.

العلامة الطباطبائي يقول لا، يقول إن الغيرة ليس بالضرورة في جملة بنودها أن تكون من الثابت، بينما نقول نحن خلاف ذلك، لأن العقل يدركها، خذ مثلاً نكاح الأخوات أو نكاح الأمهات، هذه من الثابت، تحريم الفواحش بعبارة أخرى خط ثابت في كل الشرائع السماوية، لأن الدين واحد، والذي اختلف هو الشرائع، ومن ضمن أركان الدين تحريم الفواحش و تحريم الربا، أصول المنكرات في كل الحقول في النظام الاجتماعي ثابتة وغير متغيرة، هي من الثابت التكويني وبالتالي من الثابت التشريعي، وما هو من المتغيرات التكوينية وليس من أصول المنكرات يرتبط بتفاصيل وحلقات مترامية بعيدة عن المركز.

إذاً أصول المنكرات تدركها الفطرة البشرية، هذه من الثوابت التكوينية، وليست من المتغيرات التكوينية، وهي يدركها العقل أيضاً وبالتالي هي من الثوابت الشرعية.

يوجد خلاف آخر أيضاً بين الصف الشيعي، المتكلمون يرون أن العقل العملي يبرهن على التوحيد، المتكلمون الشيعة يقيمون– وهذا يدل على نبوغهم العظيم– دليل الحُسن والقبح حتى على ظواهر تكوينية لا علاقة لها بالإنسان ولا بالنظام الاجتماعي ولا بالنشأة الدنيوية، حتى على أصل التوحيد وبجدارة، حتى أرسطو في الفلسفة اليونانية يقيم نفس الشيء خلافاً لما يدَّعيه ابن سيناء وينسبه إليهم، حتى الفارابي من فلاسفة المسلمين، إنهم يقيمون أدلة على التوحيد والمعاد بالعقل النظري، والمعاد ظاهرة ليست مرتبطة بالنظام

الاجتماعي أصلاً، إنها ظاهرة كونية في عالم آخر وفي نشأة أخرى، العقل نفسه رادار جعله الله قادراً على أن يكتشف أن هناك نشأة تسمًّى (معاد)، بينما العلاَّمة الطباطبائي لا يعتبر هذا دليل للمعاد، يعتبر أن العقل النظري هو يقيم دليل المعاد والتوحيد، بينما بقية متكلمي الشيعة يقولون إن العقل العملي أيضاً بديل ولا نقول أنه يلغي العقل النظري.

أيضاً من البحوث الأخرى أن العقل العملي ليست حجيته ذاتية عند العلامة، في قراءة النص الديني وفي بعض الموارد، بينما عند المتكلمين أن العقل العملي هو من الحجج، كما الكتاب وسنة المعصومين، الإجماع عند الشيعة ليس له دور، الدور للمعصوم، نحن إجماعنا شخص واحد وهو الذي له إنترنت مع الغيب، هذا الإنترنت الذي يعمل دائماً معه هو حجَّة، أما البقية الذين ليس لديهم إنترنت، فقد تتقطع ذبذباتهم أو قد توصل، وقد تأتيهم أمواج من المعسكر المعادي أو أمواج نفسانية، فلدينا القرآن والسنة والعقل النظري والعملي الذي هو حجَّة عند العلامة الطباطبائي، ولكن في مجالات ضيقة.

العلامة الطباطبائي والكمباني والإصفهاني لديهم افتراق عن ابن سيناء، وهو أنهم لا يقولون بالمشهورات بينما ابن سيناء يقول بها، وإن كان ابن سيناء في بعض كتبه يوافق العلامة الطباطبائي والإصفهاني، فيقول إن بعض هذه الفرضيات قد توافق عليها النظام البشري ولا يمكن أن يتوافق على غيرها، فيقول إن بعضها تكوينية أو ثابتة.

المحاور: كأنك ببنائك لقضايا العقل العملي على التكوينات، تُنظِّر العقل العملي، أي تجعله عقلاً نظرياً يقوم أيضاً على الضروريات والبدهيات التي لا يختلف تكوينها بين البشر كما يختلفون في الاعتباريات، وإذا كان الأمر كذلك فما الداعي إلى أن نتكلم عن العقل العملي والعقل النظري؟.

الجواب: النظرية التي أطرحها ليست هي رجوع العقل العملي إلى العقل النظري، لأن قوة العقل النظري تختلف عن قوة العقل العملي، هم قالوا إن (العقل العملي هو ما ينبغي وما لا ينبغي)، أنا لا أريد أن أفسِّر العقل العملي الذي هو ما ينبغي وما لا ينبغي كما فسروه هم، أصحاب نظرية الاعتبار.

والتفسير الذي أتبناه، وهو تفسير متكلمي الشيعة الإمامية والفلسفة اليونانية والهندية والفهلوية القديمة والاسكندرانية وغيرها، هذا هو التفسير الصحيح، هم يفسرون العقل العملي بما ينبغي وما لا ينبغي كمفهوم، فإذا كان ما ينبغي وما لا ينبغي كمفهوم، فوجود المفهوم ولا وجوده يدركه العقل النظري، العقل العملي لأنه عمليٌّ حيويٌّ عمال، لذلك العلامة الطباطبائي وابن سيناء والكمباني، في أصول الفقه للمظفر يشرح نظرية الطباطبائي والكمباني بشكل مفصل يروْن أن الفرق بين العقل النظري والعقل العملي فقط مجازي، شيء واحد، تارة يدرك وجود ولا وجود، ثابت أو عدم، موجب وسالب، وتارة يدرك ما ينبغي وما لا ينبغي، صار إذن قوة واحده، إذن المدرك هو قوة واحدة، ولذلك هم يعترفون بهذا الشيء، لأن هذا التفسير للعقل العملي يعود إلى قوة واحدة، بينما أصحاب العقل العملي وهو القوة الأخرى، يقولون العقل العملي ليس قوة واحدة (مع العقل النظري)، وليس فقط الاختلاف بلحاظ المدرك والمعلومة، لا، هنا قوتان في الإنسان، وهذا من الجهاز المعقد المذهل في النفس التي ركّبها الله، هذه النفس البشرية تارة لديها فقط رادار يدرك، فيحدِّد لك أن هناك طائرة موجودة، أو يقول لك ليس هناك طائرة موجودة، أو يحدِّد لك وجود عدو يهاجم أو لا يهاجم، إنه يدرك هذا، قد يقول لك قائل إن هناك جيشاً يتقدَّم، وعليك أن تقوم، فأدركت وجود الجيش وأدركت أنه ينبغي عليك أن تقوم، ولكن من الذي يحرِّك ويعبئ ويحمِّس؟. هذا القائد الذي يقول لك قم وعبئ وحمِّل، هل فقط يقول لك لا عليك أنت فقط أدرك، أما أن تقوم بعمل فلا.

العقل العملي حياة

ما هي فائدة هذا التجريد النظري الذي يقتصر فقط على الإدراك؟. هذا موت !! وليس حياة ! فكيف يكون ذلك !؟ نحن نقول هذا لا يمكن، الخلقة البشرية لا بدَّ أن يكون فيها معبئ وهادي يقود وينظم ويدير ويدبِّر، ونظريات التوحيد اليهودية والمسيحية، تقول التوحيد فقط بدون برنامج عملي وبدون معبئ منظم ومدير ومنظم، لا يكفي. إذاً دور العقل العملي هو جذب ونفرة، إنه يبرمج كل معلومة في النفس، يقول لك انفر إذاً عن القوة المحركة، نقول لا يمكن أن يكون هو فقط رادار يدرك، لا بدَّ أن يأتي إلى معلومات الإدارة، فتدار عملاً، أما أن يكون فقط برج مراقبة فيخبرني بوجود طائرة دون أن يرسل أية معلومات تتعلق بها، كأن يبرمج موعد هبوط هذه وموعد إقلاع تلك ! فهذا غير ممكن لأن به جانب ميِّت، لا بدَّ من إدراك القضية وتنظيمها، وليس إدراكها فقط.

العقل العملي يفوق العقل النظري، بل إن العقل النظري من جنوده، ومن جنوده أيضاً المخيلة والحواس، إن جهاز الإدراك عند الإنسان كله جنود وآلات تحت يد زعيم آخر.

نحن نقول نبوة بدون إمامة لا يمكن، نبوة بدون إمامة تعني مشروع نظري بدون إدارة، أحضر لي مقنناً ومدبِّراً، لا يمكن أن يبعث الله لي مقنناً دون أن يبعث لي مدبِّراً، المدبِّر هو الذي يقود القافلة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[1]، تعني هذه، إنه يبعث ببرنامج كامل لسنة كاملة: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾[2]، أي البرنامج الاقتصادي والمالي وإحصائيات الأموات والأحياء والمواليد والمرضى كلها عنده، وكل شيء يخطر على بالك عنده، بل وهذه المدينة والبلاد والقارات كلها عنده، كيف تفاعلت القارات مع بعضها بعضاً في النظام الاقتصادي والعسكري والأمني والسياسي والمعلوماتي وفي

---

(١) الفاتحة: ٦.

(٢) القدر: ٤.

التأثيرات الاجتماعية؟. كل هذه الأمور تأتي جميعها أولٍ بأول في ليلة القدر - كما في روايات الفريقين - كسياسة للدولة الخفية التي يديرها، فعنده سياسة وتخطيط وأفراد سريين يسمُّونهم أبدالاً وأوتاداً وسياحاً ونقباء، فلديه برنامج وخط واضح يسير عليه.

إذاً العقل العملي على هذا التعريف عقلٌ نشط وحيوي، وهو الذي فيه ظواهر عملية وسلوكية، إنَّ الإدراك وحده ليس حياة، علمٌ مع قدرة يصبح حياة، أما علم بدون قدرة فكأنه نصف حياة، كأن نصفه ميت ونصفه حيّ، والعقل العملي الذي تقول به الشيعة الإمامية والفلاسفة القدماء، قوة ليس فقط تدرك، الإمامية تقول إن هذه الحياة التي نراها في نفس الانسان تابعة لقوتين، ترى الإنسان يتفاعل مع المحيط والبيئة والناس الذين من حوله، ويتفاعل مع الطيور والجماد والنبات والفضاء وغيره من الأمور التي تحيط به، أين مصدرها هذه الأمور كلها؟ إذا كانت هي مجرَّد معلومات، فإنها لا تفسّر هذه الظاهرة، إذاً توجد قوة مؤثرة عمَّالة تارة ينجذب إليها الإنسان وتارة ينفر، وتارة تتولى وتارة تتبرأ.

تولي الحسن والجمال

التولي والتبرؤ ماذا يعني؟. يعني أنك يجب أن تتضامن مع الحَسَن والجميل والكامل، فمن لديه مبدأ عدالة وهو كمال، يجب أن تتضامن معه وتتولاه، لا تغتر بثقافات تصب في هدم العدالة البشرية، يجب أن تتبرأ منها، هذه ليست أحقاداً عندنا، عندما تربي هويتك ونفسك وجيلك على القدوات التي تحمل مشعل العدالة، وليس على القدوات التي تحمل مشعل الظلم والعدوان، فإنك تتبع المنطق الصحيح، فهذا جبر وهذا مفروض على البشرية، وليس للبشرية مفرٌ منه، والسنن التكوينية هي هكذا وسنة التاريخ.

لا توجد طبقات محرومة وطبقات مترفة كما تقول الديالكتيكية، بالطبع هذا خطأ، إذ لا يوجد ديالكتيك، توجد إرادة، إن إرادة الشعوب تحطِّم كل هذه الكيانات الظالمة، جاءنا الديالكتيك أم لا، نحن نقول إن إرادتنا موجودة، النظرية الشيعية دائماً متحرِّرة وحيوية،

والإمامة سبب ذلك، إنها برنامج حيوي متكامل يعطي دائماً الحياة والأمل، إنَّ الشيعة تعتقد بأن الإمام لا يصدر عنه نقص، وإذا أصابه نقص فإنها لا تعتقد بإمامته.

إذن العقل العملي الذي تؤمن به الشيعة يفترق عن العقل النظري، وهو يستخدم المعلومات الصحيحة ثمَّ يبرمجها برمجة عملية، إما إذا لم يستخدم هذه المعلومات، فإنها تصبح ميتة أو مجمَّدة، إنها تشبه جامعات بدون إداريين، مثل جامعات بدون تطبيقات في النظام الاجتماعي والنظام السياسي.

المحاور: العقل العملي إذاً هو عقلٌ منفذ كما يبدو من طرحك..

الجواب: ليس فقط منفذ، إنه أكثر من منفذ، قد يدرك العقل النظري كمال أو يظن أنه كمال، لكن العقل العملي بفطرته يقول إنني أنفر منه، يقول له (العقل العملي يقول للعقل النظري) هل الذي أدركته كمال؟ هل هذا النظام السياسي هو الذي يمثل الكمال؟. عقلي العملي هو الذي يرشدني، إذا كان عقلي النظري لم يرشدني ولم يدرك، عقلي العملي يقول لي إن الطائفية قد تكرست أكثر مثلاً بهذا النظام الذي يرى فيه العقل النظري الكمال.

المحاور: العقل العملي إذن يدرك ويرشِّد العقل النظري نتيجة لتجاربه في الحياة...

الجواب: ليس على أساس التجربة السابقة تنفر من هذا النظام أو ذاك، ولكن بسبب أنه أدرك النقص، حدث النقص فأدركه، هناك ركنان، دعامتان، دعامة الموضوعة ودعامة الحكم، يجب ألا يحدث خلط بين الحكم والموضوعة.

قد يقينيات العقل النظري النظرية، توغل في النظرية فيخطئ، ولا يدرك أنه أخطأ، ولكن من الذي يدرك أنه أخطأ؟. إنه العقل العملي، هنا العقل العملي ليس بسبب أنه صارت لديه تجربة الـ (١٩٧٣) فأدرك قبح الميثاق وسوئه، العقل العملي كما أدرك سوأة الـ (٧٣) الآن أيضاً يدرك سوأة الميثاق، لأنه وقع النقص والظلم والتفرقة الطائفية، أدرك وقوعها، نِفرة العقل من الظلم والتمييز الطائفي، لم تتولَّد من الـ(٧٣) ولم تتولَّد من (٢٠٠١)، وإنما وقع الظلم وتحقَّقت الموضوعة، العقل من قبل ذلك مُجهز بفطرة إلهية تنفر من الظلم والتمييز الطائفي.

إذاً العقل العملي قد يدرك قضايا لا يلتفت إليها العقل النظري، خطاب العقل العملي ولغته تعرفها كل طبقات المجتمع، تعرفها أكثر مما تعرف العقل النظري، مثلاً تأتي لأحدهم بنظرية تتعلق بالبيئة، وتقول له يجب المحافظة على البيئة، وتأتي له بأسمدة مصنعة وتقول له إنها أفضل من تلك القديمة، أو تقول له إن الطب الحديث هو الصحيح، والطب القديم تتركه برمته، وطب الأعشاب غير صحيح، وبعد أن تقتنع البشرية بهذا، تكتشف أن الضغط قد زاد، والدمار قد زاد، فينفر الإنسان منه، هذه هي حيوية العقل العملي، إنه عقل عجيب، لقد زوَّد الله كل فرد بشري به، حتى ولو لم يكن لديه علوم، منذ اللحظة التي يرى فيها ظواهر موضوعية موجودة، يبدأ راداره بالعمل، فيقول هذا خطأ لا تذهب اليه، فيأمر الإنسان حينئذٍ بالابتعاد عن الخطأ، للنبي ﷺ حديث لطيف، وإن كان هذا الحديث ليس بقاعدة عامة، ولكن إجمالاً في أصل الفكرة، يسأل رسول الله: ما هو الإثم؟. فيجيب: ما انشرح له صدرك خير. في وجدانك – بالطبع وجدانك غير المغلوط وغير المررق وغير الذي حدث له غسيل – يقصد الرسول الفطرة السليمة، في الإثم يحدث لك انقباض في ضميرك الوجداني، هذا الوجدان هذا الذي يسمَّى القضاء الإلهي، هو العقل العملي.

المحاور: لكن البشرية في مسيرتها دائماً تُخطئ كمالها التكويني. أريد أن نتحدَّث عن أهمية التجربة بمعناها التاريخي بالنسبة للإنسان، إن مقولات العقل العملي والعقل النظري ستبقى حبيسة الافتراضات النظرية التجريدية المتعالية المعتصمة بنصوصها وقبلياتها، إن لم تُدخل في اعتبارها التجربة التاريخية التي يخوضها الإنسان. إن البشرية تخطئ وتجرِّب وتصحح، حتى غدت الحقيقة عند بعض الفلاسفة خطأ مصحح. كيف تفهمون التجربة في ضوء فهمكم للعقل النظري؟.

الجواب: في الواقع إن مذهب أهل البيت، وأريد هنا أن أتحدَّث شخصياً عن نفسي، كلما أتأمل وأتدبر وأجبَهُ مذهبَ أهل البيت بتساؤلات عنيفة، أرى أن هذا المذهب يجيد الحلول ويعجزني، فأعظم وأكبر له رؤيته، مذهب أهل البيت يقول صحيح أنه توجد وصاية من السماء، وصاية إدارية في السياسة أو في العسكر أو في غيره، لكن ليس معنى

ذلك أن التجربة لا تتحرك، لا تعني هذه الوصاية أن حيوية البشر وإرادتهم واختيارهم لا تتحرَّك، لذلك أنا ذكرت في العام الماضي أو الذي قبله في محرَّم في معرض حديثي عن نظام الحكم في الإسلام، بنود هذا النظام ونظريته وأسسه وكل ما يتعلق به، هناك أوضحت أن المراقبة الشعبية في مذهب أهل البيت، حتى لحكومة الرسول، مطلوبة ويقرُّها مذهب أهل البيت، بل يوجبها، رغم أن الرسول معصوم، نعم الرسول معصوم وقانونه معصوم، ولكن جهازه من قائد الجيش أو الفرقة أو القاضي أو غيرهم، هؤلاء غير معصومين، فهل أصبحوا (فيتو) أو طبقة اشتراكية أو شيوعية تعد بتحقق أنشودة الاشتراك وشيوع الثروات بين البشر !؟ بالطبع لا، لا بدَّ أن يبقى البشر مراقبين.

المرأة والرقابة العامة

المؤمنون والمؤمنات يجب أن يكون لهم دور في الرقابة العامة، حتى المرأة يجب أن يكون لها دور في الرقابة العامة: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ﴾[١] هم (الناس أو البشر) ليسوا أولياء من السماء في أن ينصِّبوا القائد، ذاك يأتي فيه: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ﴾[٢]، إنَّ الله هو الذي يخلق ما يشاء ويختار: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[٣]، لقد حدَّدت هذه الآية من هو القائد، وشجرة هذا المعصوم الذي له انترنت مع الغيب وهو (قيادته) التحكم في سلوكياته من الله، ومع ذلك آليات مراقبة الأمة

---

(١) التوبة: ٧١.

(٢) القصص: ٦٨.

(٣) المائدة: ٥٥.

موجودة، لكن كل زمن له آلياته في المراقبة، من آليات المراقبة الإعلام والهيئة القضائية الناظرة، آليات المراقبة لم يحددها الإسلام، لقد جاءت امرأة إلى الإمام علي، واشتكت له واليه على إحدى المناطق، وأعطته شواهد بأنه ظلم، وعاث في بيت المال، وسرق هيئة التأمين وصندوق التقاعد، فأمر الإمام أن اعزلوه، لكن لم يعوض الناس من بيت المال، بل من عند من أخذها، يقول الإمام علي بن أبي طالب: ((والله لو وجدت هذه الأموال قد نُكح وزوِّج بها لاسترددتها كلها))، إذاً حيوية المجتمع لا بدَّ أن تدوم، الله (عزوجل) يقول عن النبي: [ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى][1]، ولكن الله يأرشد المسيرة ويجعل للمجتمع من الناس ومن أهل الخبرة والنخب مشاركة حيَّة وفاعلة في النظام الاجتماعي السياسي، حتى في حكومة الرسولﷺ يأمر الرسول بأمر وهو أن يشاورهم، والمشورة في منطق الشيعة، لا بدَّ أن تكون مبنية على رأي علمي مبني على النخب العلمية، يقول الرسول للنخب العلمية أشيروا عليَّ: من سيكون قائد العسكر، وعندما يقول أشيروا عليّ، فهذا لا يعني أنه لا يعرف من هو الأصلح، وإنما لكي يتعلَّم الناس منه ألا يستبدوا برأيهم، لأنهم ليسوا مثله، وهو يريد أن يربي جميع الكوادر الإدارية على هذا، إن كنتَ مالك الأشتر فلست بعلي ابن أبي طالب، وإن كنتَ حُذيفة فلست بالرسول ﷺ، هل ستقول أنا مثل الرسول: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾[1]. فلا بدَّ إذاً من أن تستشير وتفعل النخبة لكي تشارك، هذه هي الفائدة من نظرية نظام الحكم وإدارة الحياة عند الشيعة الإمامية حتى في ظل المعصوم، انظر إلى حيوية الشيعة في إيران، لقد خالف شريعتمداري والروحاني وغيرهما، والكلبيكاني لديه انتقاد، وكذلك المرعشي لديه انتقاد، قد يختلفون في الانتقاد بين حساس وساخن، كلهم لديهم تداول وأخذ وعطاء، لأن ليس لديهم نظرية أن السلطان ظل الله في الأرض كما هي نظرية الأخوة السنة، مقصودي أن أعود إلى نفس النظرية المجدولة المبوبة ضمن المعادلات في النظرية الشيعية، التجربة لا بدَّ منها، لأن الجهاز غير معصوم في عهد المعصوم، فما بالك في عهد الفقيه يكون ذلك.

---

(١) النجم: ٢.

ولاية الفقيه

إن الولاية والصلاحية المفوضة والمخوَّلة للفقيه، خمسة وتسعين أو تسعة وتسعين بالمئة من علماء الشيعة لا يرونْها عين ولاية المعصوم، حتى السيد الخميني (رحمة الله عليه) يقول في كتابه (تحرير الوسيلة) وإلى أن توفى، أن الجهاد الابتدائي حقٌ للمعصوم فقط، لماذا؟. لنفسِّر أولاً معنى الجهاد الابتدائي، بمعنى رئيس النظام العالمي الموحد، ألا ينادي به جورج بوش ويقول أنا رئيسه؟!! صحيح نحن نظام عالمي موحد والعولمة لا بدَّ منها، والتي هي مرحلة متطوِّرة عن (الناتو) وعن الأمم المتحدة، والتي هي عولمة في النظام السياسي، نحن نؤمن بها، ولكننا نقول لا يصلح لها إلا من يمتلك عصمة أو برامج علمية هائلة، وثوابت وضمانات سلوكية هائلة، فإذا وُجد شخص لديه ضمانات سلوكية هائلة، وكل ليلة قدر ترد عليه ملفات ومعلومات هائلة، حينئذٍ نؤمن بأن هذا هو قائد النظام العالمي الموحَّد، ونؤمن بأن لديه حق (الفيتو)، أما أن تعطي (الفيتو) لفرنسا وغيرها ! (الفيتو) ظاهرة بشرية، ولكن هذه الظاهرة البشرية من صلاحية من؟ نحن نقول أن صلاحيتها مرتبطة فقط مع من لديه منبع علمي وكنز وبنك معلومات لا ينضب، ومع ضمانات سلوكية، هذا يصبح (الفيتو) لديه صحيح، ويصبح رئيس النظام العالمي الموحد صحيح، أما لغيره وإن كان فقيهاً فلا، صحيح أن للفقيه صلاحيات معيَّنة مفوضة ويقيم الحكومة الإسلامية، وأن ما لا يُدرك كله لا يُترك كله، المعصوم الآن في حالة خفاء، في حالة الغيبة مقابل الظهور، وليس مقابل الحضور، نحن لا نقول الغيبة مقابل الحضور، بل نقول الغيبة مقابل الظهور، بمعنى أنه موجود، هذا جهاز مخابراتي سرِّي يعجِّز المخابرات البشرية، إنه يتحكَّم ليس فقط في الطائفة الشيعية وليس فقط في الأمة الإسلامية، إنه يتحكم في البشرية كلها، فلا يترك الثقافات الهدَّامة للبشرية ولا يترك مرض سارس ولا تلوُّث البيئة ولا يترك الأزرار النووية تنطلق، هذا لديه مفاصل في الأنظمة البشرية يشتغلون معه، ومن جنسيات مختلفة، يربطهم ببعضهم رابط التوحيد، ولديه نظريات في إدارة الأعمال لا يتوصل إليها لا مركز

التدريب ولا هارفارد ولا غيرهم. إذاً التجربة مفتوحة في النظرية الشيعية، وهذه حيوية الكائن المختار البشري، إنها مفتوحة في حين أن وصاية السماء موجودة.

المحاور: كيف تعامل العقل العملي مع العلوم الخاصــــة بقراءة النصوص وقراءة المجتمع؟

الجواب: العقل النظري في دائرة البديهيات والضروريات، هو مورد وفاق عند الإمامية سواء الإخباريين أو الأصوليين، فهو حجَّة عندهم، أما في الدائرة الثانية فهو محل كلام بينهم، الدائرة البديهية إذاً أو الدائرة الضرورية أو كما يسمِّيها بعضهم الدائرة اليقينية حجَّة، وحيث يكون العقل حجَّة في مذهب الإمامية، حينئذٍ شأنه شأن باقي الحجج يتدخل في قراءة النص، لأن النص الديني في أدواته الأولية فيه موازين وقواعد تتحدَّد وفق علوم اللغة والأدب والنحو والبلاغة وفقه اللغة واشتقاقاتها وعلوم أخرى عديدة، بعد ذلك يتحدَّد نوع من المعنى أو المعاني الاستعمالية للدلالة، ثمَّ ينحو القارئ للنص وهو الفقيه أو الأديب المتخصِّص الذي لديه خبرة في هذه العلوم، ينحو نحو المعنى التفهيمي،المعنى التفهيمي الذي يقال له معنى من الدرجة الثانية، هذا تتدخل فيه عناصر زائلة للمعنى الاستعمالي، المعنى الاستعمالي يعتبر قريب مــن المعنى الابتدائي وإن كانت تتدخل فيه عناصر ترتيبية من علوم لغة وفقه، إلا أن المعنى التفهيمي تتدخل فيه علوم أخرى، كأصول الفقه وعلم الاجتماع والحديث والتاريخ والدراية، هذه توقفنا على قرائن معينة في بيئة صدور النص وما شابه ذلك، هذه تجد لها عملاً وأثراً في الدلالة في تحديد المعنى التفهيمي.

المعنى الجدّي

ثمَّ هناك معنى ثالث وهو الأهم، نعبِّر عنه بالمعنى الجدِّي أو المعنى القانوني في قراءة النص، في النصوص الدينية التي في دائرة الفروع، (يقال لها) تقنين، أما النصوص الدينية التي تتحدَّث في المعارف الكونية والعوالم وما شابه، هذه أيضاً تجد مسارها في المعنى الجدِّي لكن لها آليات وأدوات أخرى سنتعرض لها، وكذلك النصوص الدينية حول قواعد علم الأخلاق الأسري أو الفردي أو العلوم الأخرى التي في النص الديني.

المهم أن الوصول من المعنى التفهيمي إلى المعنى الثالث وهو الجدِّي، تتدخل فيه علوم متعدِّدة في المعارف والعوالم والظواهر الكونية وما شابه، وتتدخلَ فيه حجِّية العقل العملي أو العقل النظري، وتتدخل ضروريات وبديهيات الكتاب وضروريات وبديهيات سنة المعصومين، أي أن محكم الكتاب ومحكم سنة المعصومين، تتدخل في قراءة النص، كذلك محكمات العقل النظري والعملي في البديهيات أو الضروريات، أيضاً لها دور في قراءة النص الديني، وقد يكون لها دور حتى في المعنى التفهيمي، هذا بالنسبة لقراءة النص الديني.

أما دور العقل العملي في العلوم الإنسانية، فليس مختصاً بالمدرسة الإسلامية والفلسفة الإسلامية، بل إن تأثيره في كل الفلسفات البشرية جمعاء، ومن أي ملة أو نحلة سواء كانت مادية أو غير مادية، سماوية أو غير سماوية، هذه كلها تضع العقل العملي في رأس الهرم لانطلاقة البشر في العلوم الإنسانية، باعتبار أن العقل العملي يكون البنية وهو يتدخل في الرؤية الكونية وبالتالي يتدخل في الآداب والأخلاق، التي تكون بمنزلة فلسفة الحقوق، يتدخل في بُنية الحقوق، وبعد بُنية الحقوق يأتي دور علم القانون والعلوم الأخرى كعلم الاجتماع وعلم النفس بالطبع، إذاً هو يحتل الصدارة البنيوية في رأس الهرم كما مر، أما دور العقل العملي في العلوم التجريبية، فهو يتدخل ويتحكَّم في النظام المعرفي الذي يتحكم في العلوم التجريبية أو في العلوم الإنسانية، وهذا دور آخر له في العلوم الإنسانية.

منطق النص الديني

لقد سبق أن ذكرت أن المنهج المنطقي الذي يطرحه القرآن الكريم والذي يطرحه أمير المؤمنين في نهج البلاغة، وبصفة عامة المناهج المنطقية التي يستعرضها النص الديني، لا تقتصر كما اقتصر المنطق الأرسطي على الجانب الفكري، لأن المنطق الأرسطي اقتصر على بعض القوى وإدراكات العقل، بينما المناهج المنطقية التي يستعرضها النص الديني تتعرض حتى لمنهجية القوى العملية، وتتعرض إلى الحالة الصحية في سائر قوى النفس، فإذا كانت صحيحة وسالمة، فإنه من الممكن أن تستنتج آراء صائبة، وأما الحالات الأخرى التي تنتاب قوى النفس سواء كانت القوى الإدراكية أو القوى النفسية، وحتى العوامل البيئية التي يستعرضها القرآن وسنة المعصومين، والتي هي خارج النفس وقواها فلها نوع من التأثير في كيفية استنتاج الإنسان.

توجد موازيين معيَّنة، تجعل الفرد يسلم من تأثير الجو البيئي في كيفية الاستنتاج، مثلاً: (حبُّ الشيء يُعمي ويُصمّ)، كذلك: (بغض الشيء يُعمي ويُصمّ)، فالبيئة والرذيلة تؤثر في استنتاج الإنسان، البيئة الطاهرة بالعكس سوف تؤثر في صوابية استنتاج الإنسان، هذه الأمور حددتها المناهج المنطقية التي طرحها القرآن والسنة المعصومة، وهي تجعل الإنسان يستعصم من التأثير السلبي للبيئة، وبالتالي ترسم نوعاً من المنهج المعرفي، وهذه سوف يكون لها تأثير على العلوم الإنسانية.

المحاور: علوم العقل العملي لها أيضاً فلسفة، لكن ما الدور الذي يلعبه العقل النظري في فلسفة هذه العلوم؟.

الجواب: هذا الترتيب الذي تفضلتم به، هو في الواقع رأي ابن سيناء، ورأي السيد الطباطبائي وجملة من الفلاسفة الشيعة وغير الشيعة أيضاً، ولكن الرأي الآخر الذي هو رأي الفارابي والفلسفة اليونانية القديمة ورأي متكلمي الإمامية، يذهب إلى أنَّه ليست موقعية العقل النظري فوقية بالنسبة للعقل العملي، العقل العملي في عرض العقل النظري

وبينهما خدمات متبادلة، شأنه شأن بقية قوى النفس التي يوجد بينها خدمات، بقية قوى النفس سواء كانت الإدراكية أو العملية، وإن كانت في الطبيعة الأولية أو السليمة تكون تحت تأثير سلطان أو تأثير العقل العملي والعقل النظري، ولكن المقصود هو كيف أن هذه القوى الإدراكية أو العملية النافذة في بعضها بعضاً، تتكافل وتتخادم وتتناغم مع بعضها، وفلاسفة الفلسفة اليونانية القديمة، يروْن أنهما في عرض بعض، بل لي تحقيقات زائدة والتي كنت قد واصلتها إلى حين صدور كتابي (العقل العملي)، ووجدت شواهد الوحيانية المنسوبة إلى الوحيّ وهي النص الديني، وجدتُ أن للعقل العملي دور الأمومة والأصالة حتى على العقل النظري، العقل النظري هو من خوادم العقل العملي، وليس أن العقل العملي دون أو في عرض أو في رتبة العقل النظري، لأن العقل العملي إذا تلطّف وصارت فيه نوع من الشفافية، يصل في درجات الرقي إلى تسمية أخرى، وهي تسمية القلب في القرآن الكريم، والقلب توجد له مراتب أربع كشف عنها القرآن هي: القلب والخفي والأخفى والسِّر، وهي مراتب في روح الإنسان وهي في الواقع مراتب رُقي للعقل العملي، هذه المراتب فوق العقل النظري.

ويشير إلى ذلك حديث الإمام الكاظم (سلام الله عليه)، عندما يذكر لهشام ابن الحكم، جنود العقل وجنود الجهل، لأن ما يقابل العقل العملي هو الجهل، وما يقابل العقل النظري هو العلم، لأن الجهل والجهالة شيء قبل العقل العملي، أما يقابل العقل النظري فقد يُقال هو العلم وعدم العلم مثلاً، كالأمية وما شابه ذلك، أما الجهالة فتقابل العقل العملي، المهم أنه جعل في ذلك الحديث أعلى العلم أو القوة الإدراكية كالعقل النظري، جعلها من خوادم وجنود العقل العملي، ولا ريب أن للعقل النظري دور كبير سواء في العلوم الإنسانية أو التجريبية أو في النظام المعرفي، لأنه الآلة الكبيرة جداً المهمة من آلات النفس، ويحتل نوعاً من الدور البنيوي.

المحاور: إذا كانت للعقل العملي هذه السيادة، وثبت أن العقل النظري هو الخادم له، فهل تعني هذه الخدمة في معنى من معانيها، انتصار العلوم التطبيقية على الفلسفة النظرية

المشغولة بأبعادها التجريدية والعلل الأولى؟.

الجواب: نعم في الواقع الفلسفة التي روَّج لها ابن سيناء بالتحديد، والفلسفة التي تأثرت بالمسلك الأشعري في الحكمة العملية وابتعدت عن مسلك الإمامية، نعم إن ما حوته جاف ونظري فقط، بينما متكلمو الإمامية حاولوا أن يبقوا داخل الحكمة العملية في العلوم كالذي كان عليه الفارابي والفلسفة اليونانية والهندية والفهلوية القديمة أو الإسكندرانية أو الفلسفات البشرية الأخرى، فهناك دور للحكمة العملية وكما نشاهده في الوحي ضمن الدراسات المختلفة في الديانات السماوية، لاحظ أن هذه الحكمة العملية والعقل العملي لهما دور..

المحاور: ولكن كيف يكون التوسط بين العقل العملي والعقل النظري؟.

الجواب: العقل العملي قد يكتسب معلومة كما يذكر ابن سيناء، ولكنها معلومة بتوسط العقل النظري لا بتوسط آلياته الخاصة به، مثلاً للعقل العملي قوى خادمة أخرى، مثل الإحساس العاطفي وقوة الضجر أو قوة البغض، هذه القوى العديدة التي هي في فريق القوى العملية لها آليات الإدراك المرتبطة بالحواس الخمس، ولكن لا تصل المعلومة بسرعة إلى العقل العملي، في عُرف إدراكاته الميدانية التي فيها مسح تطبيقي، لكن يستطيع عن طريق العقل النظري أن يدركها، وبالتالي يستخدمها كمعلومة، لأن النظري يدرك فقط ثبوتها أو لا ثبوتها، ووجودها أو عدم وجودها، لكنه لا يتفاعل معها، ولكن إذا أخذها إلى جو العقل العملي، حينئذٍ العقل العملي يتفاعل معها ويرسم نوع من البرنامج الإداري النفساني، فإما أن ينفر منها أو ينجذب إليها أو يدعو إليها أو يدعو إلى إزالتها، العقل النظري أيضاً له خوادم، القوة المخيِّلة وقوة الوهم، الوهم بمعنى أن بعض المعلومات، كحبك إلى شخص ما، لا يستطيع الحس ولا يستطيع الخيال أن يدركها ولكن تدركها القوة الواهمة ويوصل الوهم آثارها (آثار علاقة الحب) يعني ثبوتها أو لا ثبوتها أما القوى العملية الأخرى فتتفاعل معها، وهناك القوة المفكِّرة والمتصرِّفة وقوى أخرى عديدة، يوجد فريق من القوى الإدراكية تحت سيطرة وتحت صلاحية نفوذ العقل النظري.

العقل النظري له فريق يخدمه من قوى النفس، والعقل العملي له فريق يخدمه، هاتان

القوّتان زوّد الله بهما الإنسان لكي يدرك المعلومات - سبحان الله - لأجل تحصيل نوع من الصوابية في إدراكات الإنسان، فقد تكون القوة العملية في الإنسان مبتلاة بحالة مرض إدراكي من الحب أو البغض أو غيره، وهذا يوجب نوع من الخلخلة في كيفية إدراك العقل العملي، ولكن طبيعة العقل النظري غير عاطفية، وهو غير عملي ولا يتأثر بالهواجس النفسانية، فهو جاف وجادّ جداً، إنما يدرك المعلومة الثابتة أو غير الثابتة، ويدرك أنها موجودة أو غير موجودة.

المحاور: تصوُّرك لوجود قوى للنفس هو التصوُّر السائد في الفلسفة منذ أرسطو. إن وجود تصوُّر لقوى للنفس بينها مشاغبات وتعاون وتخادم وتنافر، تعد بمثابة فرضيات مجازية، وهي فرضيات تقوم على تصوُّرات تماماً كما تفضلت أنت وعرضت علينا التصوُّرات الموجودة حول الذرة وكيفية عملها، فقد تصوَّرها بعضهم مركَبة من إلكترون وبروتون ونيترون، بينما تصوَّرها آخرون بأنها خيوط متشابكة. إن جدل هذه التصوُّرات للذرة تعرَّض للكثير من الانتقالات والتحوُّلات. فهل تعرضت التصوُّرات الموجودة حول العقل العملي والعقل النظري لانتقالات وتحوُّلات مهمة بحيث نستطيع أن نقول إننا الآن أمام فتح جديد أو أمام فلسفة جديدة أو أمام نظرية جديدة أو أمام عقل عملي جديد أم أن هذا التصوُّر بقت كما هو هي ثابتة على مدى التاريخ؟.

الجواب: في الواقع إنه في حالة توسُّع، العلوم التجريبية مثلاً ما زالت تتوسع في اكتشاف الذرة، ولا ريب أنَّ علم معرفة النفس لا يقف عند الحدود التي ذكرتها المدارس الفلسفية، في الفلسفة الإسلامية والفلسفة بشكل عام، هناك توسع في مباحث النفس بشكل شاسع جداً، حتى في العلوم الإنسانية الآن، التي تعتمد على الاستبيانات وعلى الإحصائيات العديدة، في علم النفس الاجتماعي وفي علم النفس الفردي، وفي الظواهر العديدة، علماء الروح في الغرب لديهم جامعات وأكاديميات منذ أكثر من قرن، وهذه تقوم بدراسة تأثير العلم الروحي، حتى البرزخ يُقرُّون به وبوجود نشأة أخرى ألطف للأمواج وللمادة الفيزيائية، هذه الجامعات والأكاديميات أسست في الدول الغربية منذ العشرينات ميلادية، البارسيكولوجي، علم تأثيرات النفس عن بعد لديهم آليات عديدة، الجلاء البصري،

الجلاء السمعي، التخاطر.

العلم البشري لا يقف عند حدّ، إنه في حالة توسُّع واستصواب، قد تكون بعض النظريات التي أقيمت عليها براهين، الآن تظهر براهين أعمق تثبت أن تلك النظرية التي كان يُنظر إليها على أنها حقيقة علمية هي فرضية، وهذه شأنها شأن العلوم التجريبية، لأنه قد تكون هناك قناعة نحو قاعدة علمية على أنها حقيقة علمية ثمَّ تأتي شواهد وظواهر تكوينية، يتبيَّن للعلماء أن تلك القناعة ليست حقيقة علمية، بل لقد كانت فرضية وحسبوها حقيقة علمية.

الجواب: نعم إنها في حالة توسُّع، لكن لستُ مع الإفراط في ذلك لدرجة أن نعتبر ما تتوصل إليه سراب، ستكون أنت في ضياع وبالتالي في يأس، لا أريد أن أقول إنه خطأ، لكن لا إفراط ولا تفريط كما يُقال، لا إفراط في التشكيك في الاحتمال وعدم الجدوائية، لأننا لن نصل إلى الحقيقة في يوم ما، أو ليس بأيدينا ولا بحوزتنا أي رأس مالٍ من الحقائق، لأن الإفراط في ذلك يؤدي إلى تثبيط الظاهرة البشرية في المجالات العلمية المختلفة من العلوم الإنسانية والعلوم الأخرى، وهذا بالطبع منهاج خاطئ، ولكن لا إفراط (في النسبية) ولا تفريط، بأن نقول إن كل المسائل حقائق، هذا تعصب وإفراط، بل على الإنسان أن يستقرئ، وهو لديه حوزة ومجموعة وحصيلة من الحقائق، شأنه شأن العلوم الإنسانية والتجريبية والنظام المعرفي وغيرها من العلوم، لكي ينطلق منها، وبالتالي عليه أن يؤسس عليها أموراً أخرى. هناك ظواهر (تكوينية) يلمسها، لا يستطيع القول: ما لم أدركه بالحس لست أدركه، بل يتوسع ويتعمق أكثر ولا بأس بأن أشير إلى ظاهرة جيدة في النظام المعرفي.

نمطا التطور

يوجد في التطوُّر نمطان، سواء في العلوم التجريبية أو غيرها، هناك نمطان للمواصلة العلمية والتطوُّر نمطٌ من التطوُّر يكتشف خطأ ما سبق، ونمطٌ من التطوُّر لا أنه يكتشف خطأ ما سبق، بل هو إدراك أعمق لما سبق، ما سبق كان سطحي وهو ينزل أعمق من السطح، ثم تتواصل هذه القافلة إلى درجة أعمق فأعمق، فيُشاهد أن الذي كان سابقاً هو ظواهر كونية صحيحة ولكن سطحية وقشرية، قشرية ليس بمعنى أنها ليست حقائق بل بمعنى أنها حقيقة لم تكتمل، خذ مثلاً في علم الجبر والرياضيات والهندسة والهندسة الفراغية وهندسة الفضاء، إن المعادلات في الرياضيات، والجبر، والهندسة والهندسة الفراغية وهندسة الفضاء، تمكن العلماء من إرجاعها إلى تسع معادلات، هــذه المعادلات، يقولون إن البحث الحثيث لم يستطع أن يقرأ ما وراء هذه المعادلات التسع، ولو استطاع البشر أن يقرأ ما وراء هذه المعادلات التسع، لاكتشفنا أسرار الطبيعة وكنوز الطبيعة بشكل هائل جداً، لكــن للأسف هم يقولون لم تتوصل القدرة البشرية لقراءة ما ورائها.

في علوم المعرفة الآن الذي ينكفئ على ما سبق ولا يتقبل ما يأتي، فهذا يصعب عليه أن يتطور، وابن آدم إذا بلغ سن الأربعين يقف عقله إلا من تجربة، إذن التجربة رافد علمي للإنسان، ومواصلة العلوم وتطوُّرها رافد علمي لا يمكن أن يُقال بأنه يقف، بالعكس هذه هي فطرة الله.

إذاً، هناك ظاهرتان، ظاهرة الوصول إلى قناعة خطأ ما سبق في جملة من المسائل، ولكن هناك ظاهرة أكبر وهي تعميق ما سبق، في علوم الرياضيات مثلاً نظريات عديدة كنظرية الاحتمال والنظرية النسبية والرسم الهندسي للأعداد، وكيف هي العلاقة بين الأعداد في بعضها بعضاً، مثلاً بين أعداد المجموعة، كانوا يتحدثون سابقاً عن العدد الفرد في الرياضيات، ولكنهم الآن يتحدثون عن الأسرة العددية ودورها في التأثير والذي يكون أكثر من تأثير العدد الفرد، فيتوصلون إلى الكثير والعديد من البرامج والبحوث اللطيفة في الرياضيات، هذه البحوث الجديدة في الرياضيات أو الفيزياء أو الأحياء، ليست كلها تفنِّد أصل النظريات القديمة، بل إنها عمَّقتها، فنَّدت بعضها وعمَّقت بعضها الآخر، فصارت النظرية القديمة تعمق،

وأداؤها لم يكن كاذباً ولكنه سطحي محدود، بينما النظرية الجديدة تتناول مدى ومداراً أوسع جداً وأعمق.

المحاور: لكي نواصل هذا المبحث، حبذا لو ننظر إلى تاريخ العلوم وعلاقتها بالعقل العملي، إذا كان ما يأتي الآن بمثابة توسعة وتعميق...

الجواب: لست أريد أن أقول أنه كله توسعة وتعميق، شطرٌ منه توسعة وتعميق وشطر منه تفنيد، ولا ريب في ذلك، ولكن الذي أريد أن أقوله أن شطراً كبيراً منه توسعة وتعميق، وشطرٌ منه تفنيد..

المحاور: لماذا هذه الممانعة الدينية في تقبُّل ما تطرحه العلوم الإنسانية لقراءة النص والمجتمع والإنسان؟.

الجواب: لست أشاركك في أن هناك ممانعة و لقد طرحتُ هذا في سلسلة أبحاث ألقيتها على الأخوة المستمعين (بحوث النص والتأويل ومدارس المعرفة)، هذه البحوث في الواقع في جانب منها تخدم وتؤيد مذهب أهل البيت، كيف ذلك؟ تُرمى المدرسة الإمامية بأنها مدرسة باطنية، وأن رأس كل الفرق الباطنية في الإسلام من صوفية وغيرها،

هي وليدة التشيع، وهذه حقيقة، ولكنهم يعتبرونها وقيعة وتقريع، بينما هي في الواقع ليست مذمَّة، بل هي مِدحة، الآن علوم القراءات الألسنية قد انفتحت عليها الحوزة في هذا الجانب، لا أريد أن أشير الآن إلى شخص ألف أو شخص باء، توجد مشارب مختلفة واتجاهات مختلفة، ولكن بشكل عام، توجد مساحة واسعة في الحوزة منفتحة على هذه العلوم، وترى أنها تخدم وتفيد في بعض أطروحاتها المدرسة الإمامية.

لقد كانت المذاهب الإسلامية الأخرى على مدى أربعة عشر قرناً، توجِّه أسهم الهجوم على المذهب الإمامي، لأنه يتوغَّل في قراءة النص ويتعدد وينوِّع قراءة النص، ويستخدم آليات متنوعة ولا يقف عند حدّ، وهذا خراب للدين وهدم للدين، يقولون إن ما تعلمته الصوفية في قراءة النص من التشيع وهي بذلك تهدم الدين، انظر إلى ما يُقال عن ابن عربي وغيره من الصوفية اللذين تأثروا بنهج الأئمة عليهم السلام ونهج الشيعة، هذه حقيقة لا نأباها، لقد ولدوا من بيئة شيعية في طريقة التفكير والمعرفة.

كنوز القرآن والقراءات الحديثة

إن الشريعة فيها كنوز، والقرآن الذي نزل من ربٍّ السماء له كنوز لا تقف عند حدّ، في هذا الجانب العلوم تثبت ببراهين سواء في القراءات الألسنية أو الهرمونطيقية أو في التعددية (البولي رياليزم) أو في العلمنة، هذه كلها تثبت في جانب منها، النظرية الإمامية وتفنِّد النظريات الأخرى، التي تعتنقها المذاهب الإسلامية الأخرى، أو أتباع الشرائع السماوية الأخرى، طبعاً الشرائع السماوية الأخرى التي نعتبرها في منظورنا محرَّفة.

أما الجانب السلبي والمؤاخذة التي تؤخذ أو التي توجهها الحوزة، أو الإصحاح الذي توجهه الحوزة في القراءات الألسنية هو أنه لا بدَّ من ضبط هذه القراءة وتوزينها وأرشدتها بموازين، لا ريب بأن هناك قراءات، وهذا هو معنى التأويل ومعنى قراءة النص ومعنى التعمق ومعنى استجلاء القرآن في كل عصر وزمان، وهذا هو معنى مواكبة الشريعة لمتغيرات الزمان، ولكن الكلام في أننا لا بدَّ أن نمشي على موازيين.

مثلما أن هناك جانب متغيِّر، فلا بدَّ أيضاً من جانب ثابت، أما المتغيِّر المطلق فإنه يؤدي إلى السفسطة، والثابت المطلق بلا متغيِّر أيضاً يؤدي إلى الموت وعدم الحركة والسكون. إذاً يجب أن يكون إلى جانب الثبات الجانب المتغيِّر.

الفقهاء لا يمكن لهم أن يفهموا المعرفة الدينية بدون الطبقات الأخرى النخبوية، لأن الدين هو تفاعل بين نشآت مختلفة وعلوم مختلفة وموضوعات مختلفة، قد يوجد فقيه وهو عالم اجتماع أو هو عالم فيزياء، وقد يكون فيزيائي وله دوره في الفقه، إذاً ليس الكلام في الشخص بل في العلوم نفسها، أصحاب هذه العلوم ليسوا معصومين، بالتالي فهم يحتاجون إلى بعضهم بعضاً، وهذا هو العلم الجمعي والعقل الجمعي .

توزع الحقيقة

الآن ما هي الدرجة التي وصلت إليها الحضارة والمدنية البشرية؟. إنَّ أرشد مسيرة هو العلم الجمعي، حضارة المعلومات والاقتصاد والارتباطات ماذا تعني؟. التعددية ماذا تعني؟. تعني توزُّع الحقيقة، وهذا في نطاق غير المعصوم صحيح ويفنِّد الاستبداد في كل طرقه، فتكون المشاركة جماعية مع حفظ الرتب، فكما أن البُنية لا تُفنِّد الفروع والفروع لا تُفنِّد البُنية، فإن المتخصص لا يمكنه أن يفند غير المتخصص، إذاً لا بدَّ أن يحتاج البعض إلى بعضهم الآخر، ولا بدَّ أن تكون المسيرة جماعية مع وجود الرتب مترتبة في حلقات.

إن نظرية الشورى السنية أو الشورى في الديمقراطية الغربية تختلف عن النظرية الشيعية يقال: الشورى من (شور) ومشاورة أي أنها بنك معلومات لا تحكيم إرادة، بينما في نظرية الشورى بالمعنى الذي يطرحه مذهب أهل السنة، أو حتى في الديمقراطية الغربية، تقول إن الأكثرية إذا أرادت فتجبر لأنها تكون هي الصواب، وهي الحق وخلافها خلاف الحق، بينما في النظرية الشيعية تقول الشورى أي شاور، وسمِّيَ المشتري مشترياً لأنه يختبر المبيع، والاستشارة ليس فيها فرض المُشير على المستشير، ولكن فيها تفتح آفاق وتبادل معلومات فيها شعار الحضارة الحديثة، الذي نادت به النظرية الشيعية قبل أربعة عشر قرناً، لا تسجن نفسك في أفق رؤية معيَّنة، فما دمت غير معصوم، افتح الرؤية على القنوات المعلوماتية لكي تضخُّ إليك وأنت تضخُّ إليها، فتتكون حينئذٍ بيئة ونظم معلوماتية ضخمة في العلم الجمعي.

المحاور: وكيف تكون نهاية القرار، أي يتخذ القرار النهائي وفق النظرية الشيعية كما سمَّيتها؟.

الجواب: نهاية القرار تتخذ بحسب نفس ترتيب العلوم مع بعضها بعضاً في بنيتها، ولكن لا أحد يتفرَّد بالقرار حتى لو اتخذه ذو موقعية علمية، مثلاً المحكمة الدستورية لها موقعية في رأس الهرم على أجهزة الدولة المختلفة، لكن حيث إن المحكمة الدستورية غير

معصومة، فلا يعني أن تتفرَّد بالقرار، إذا كان البحث مرتبطاً بالبيئة مثلاً، فلا بدَّ أن تحكِّم ذوي الخبرة في البيئة، فيصبح تزاوج في استصدار الحكم وإن كانت موقعية القانون موجودة في رأس الهرم، الآن حتى القضاء تخصصي، قضاء في التجارة، قضاء في الطب، وقضاء في الزراعة وغيرها، وهذا هو العقل الجمعي أو العلم الجمعي، مع حفظ الرتب وهي لا تعني التفرد والاستبداد، لماذا؟. لأن طبيعة غير المعصوم هي هكذا. بل حتى حكومة الأنبياء والمعصومين كما مرَّ بنا، والتي يكون فيها المعصوم في رأس الهرم، ولا تعوزه معلومة في العلوم المختلفة حسب عقيدة العصمة، ومع ذلك لا بدَّ من مشاركة كل الطبقات، وهذه هي حيوية النظرية الشيعية الإمامية، إنها ليست كالنظرية الكنائسية ولا كنظريات المذاهب السنية الأخرى.

في حكومة المعصوم لأهل الخبرة دورهم، لا لحاجة المعصوم لهم، بل لحاجة نفس المجتمع البشري لهم، ولحاجة الدولة لهم، لأن ليس كل أعضاء الدولة معصومين، فقط الرأس معصوم، الأجهزة، الوزارات، الدواوين كلها غير معصومة، وبالتالي أولئك في كيفية استصدار القرارات لا بدَّ أن تتحكَّم النخبة، والمعصوم لا يشرف على كل صغيرة وكبيرة بل يشرف على المسار العام، لذلك لا بدَّ أن تتحكَّم النخبة.

المحاور: ولكن في النهاية، ألا تقول النظرية الإمامية، أننا بحاجة إلى رعاية من سلطة علياً؟.

الجواب: في الأمور التي يصل إليها الهدي البشري لا، أما في الأمور التي تبقى نظرية ومجهولة في الهدي البشري، فالرعاية تكون لرب السماء.

المحاور: دعنا نناقش هذا الموضوع الآن بأسئلة عملية، لنأخذ التجربة الإيرانية باعتبارها ممثلة للتصوُّر الشيعي الإمامي..

الجواب: هل تقصد أحد التصوُّرات؟.

المحاور: نعم، أقصد تصوُّر ولاية الفقيه، كيف تنظر أنت إلى هذه التجربة من خلال المنظور الذي تحدَّثت عنه الآن؟.

الجواب: ما حدث في إيران ليس إلا نوع من التجربة، ولا يمثل تمام النظرية الشيعية، كما

يعبِّر السيد (رحمة الله عليه) أن هذه جمهورية وليست حكومة إسلامية، ولا زلنا في الطريق إن شاء الله إلى الحكومة الإسلامية، بل إن قناعات الإمام نفسه تذهب إلى أن المدينة المثالية التي تنشدها البشرية، لا تتحقق إلا على يد معصوم، ولكن تحققها على يد المعصوم لا يعني عدم انبراء الكفاءات البشرية المختلفة في رسم التجارب التطبيقية لإرساء العدالة.

لا يمكن إذن تحميل النظرية الإسلامية أو النظرية الشيعية لكل من أقام التجربة الموجودة في إيران، لأنها ليست إلا تجربة، وهي محاولة ومثابرة لكيفية التطبيق، ومع هذا التطبيق والتجربة توجد لها رؤى معاصرة في حوزة قم أو النجف أو غيرها، تتفاعل معها وهي ترتئي أن تُرشِّد التجربة بنحو آخر، وهذه هي التي يسمِّيها الغرب معارضات وما شابه، هذه في الواقع نوع من التعددية في الرؤية لكيفية أرشدة التجربة بشكل أكثر وأكثر.

إننا لسنا ننفي كل إيجابيات الديمقراطية، والعلمنة كذلك لا ننفي إيجابياتها، فلا بدَّ من الاستفادة من الإيجابيات التي في الديمقراطية والعلمنة، فهناك آليات متطوِّرة في مراقبة الشعب في استصدار القرارات، هذا من الأمور التي يؤمن بها مذهب أهل البيت بقوة، أصلاً جهاد سيد الشهداء في هذا المطلب، لكي يحيي في الأمة المراقبة على الجهاز الحاكم، وأحد أهداف أهل البيت أن النخبة وعموم طبقات شرائح المجتمع لا تقف متفرجة على الحاكم، هذا مصيرها، بل لا بدَّ أن تقف وقفة المشارك الفاعل المراقب في كل صغيرة وكبيرة.

الفيتو والمعصوم

لذلك ذكرتُ أنه حتى في النظرية الشيعية وفي حكومة النبي وحكومة المعصومين، حتى في رؤيتها للمعصوم، ليس المعصوم كما نتصوَّر أنه فيتو الأمم المتحدة، رغم أن (الفيتو) في بعض منطقه له أهميته، لا بدَّ أن يصير القرار للفيتو أحياناً، قضية (الفيتو) ليست هي نظرية إمامية فقط، هي لغة موجودة حتى في القانون الحديث، ويحتاج إليها البشر إلى درجة معينة، مثلاً إذا كان القرار نظرياً ولم تستطع النخب أن تبتّ فيه، لأن المسيرة العلمية لم تستطع أن تصل إليه ، يصل الأمر إلى حسم الأعقل فوق العقلاء والأعلم فوق العلماء والأكثر خبرة فوق ذوي الخبرة، لأنه من غير الممكن جعل الأمر في مداولة الجميع، لأنه لو كان الأمر بيناً وواضحاً فليس للأعلم أن يخالفه، حتى في البديهيات العلمية في مذهب أهل البيت ممتنع للإمام أن يخالفها، ولو خالفها لما كانت له الحجِّية – و العياذ بالله – وهو لا يدخل في ذلك، وكما في مخاطبة الإمام الصادق عليه السلام لأحد الغلاة، يقول: ((لو أمرناهم بعبادتنا لكان لازم عليهم في عقولهم أن يأبوا علينا ذلك))، أي لا يطيعوننا، يقول: ((وكيف بنا ونحن نأمرهم بأن يعبدوا الله ويوحدوه)).

لقد ذكرتُ أن تسلسل الحجج مبدؤه العقل، ثم الوحي، الوحي يخاطب عقل الإنسان، وإن كان الوحي فوق العقل يعني أنه يرشده، يعني بداية الانطلاقة للإنسان من العقل، فلا يمكن تشطيب دور العقل ودور التغذية العقلية حتى في مسيرة الوحي، هناك في بعض المذاهب الإسلامية تشطيب دور العقل، لذلك يقولون عن مدرسة أهل البيت أنها عقلية مفرطة، نعم لا بدَّ من وجود الدور العقلي فيها، حتى في الوحي وحتى في ولاية المعصوم، ما دام الوحي يخاطب العقل فلا بدَّ أن يكون في نطاق العقل، والوحي يغذي العقل في مخاطبته له، وهذا إذن نوع من المشاركة في الحكم وفي الرؤية، وحق المناقضة موجود في منطق نظرية أهل البيت عليهم السلام.

المحاور: كيف هو موقفك من مفهوم العلمنة للوحي في علاقته بالعقل، أي أن نجعل العقل

يسبق الوحي؟.

الجواب: الخطاب الإسلامي الشيعي في جانب كبير منه، مثلاً العلاّمة الطباطبائي استفاد من الكثير من العلوم الحديثة لأجل البرهنة وتوسعة المعرفة الإلهية، ونرى مدارس عديدة في الحوزات العلمية منفتحة على الجانب الإيجابي من هذه العلوم، إن إلغاء دور العلوم الحديثة يعني عدم الاستفادة من الآليات الحديثة التي تصل إلى البشر، وهذا يعني انكفاء مطلق، ولا يعني هذا أن يكون هناك انفتاح مطلق بحيث أقبل دون ميزان، إن لعقلي دوراً في النقد والتقييم، فأنا أقبل العلوم الحديثة شريطة أن أزنها بميزان علمي، أو أوجد على الأقل لها نظام ميزان، نظام معرفة علمي، وإن شاء الله الحالة الوسطية هي الكفيلة بالنمو والتلاقح البشري، إن الانفتاح على الحديث والحداثة والحداثويين فيه الكثير من الإيجابيات، وكذلك الاحتفاظ بالتقليد فيه أيضاً إيجابيات كثيرة، حتى في العلوم التجريبية يوجد تقليد في أمور قديمة معهودة، حتى في علوم الرياضيات والفيزياء والكيمياء والعلوم الإنسانية وغيرها، فهناك تراث سابق في كل العلوم في المعرفة البشرية وفي المعرفة الدينية، وهناك انفتاح وآليات حديثة، ولكن الآليات الحديثة لا تعني أننا لا نقيِّم ولا نؤسس موازين ونناغمها ونقارنها بالموازين السابقة ونؤرشدها.

المحاور: أليست المشكلة أننا باسم الموازين وباسم المعايير نمارس أشد أدوار انغلاقنا واستبدادنا وترجعنا وعدم قدرتنا أو جسارتنا على أن ننفتح على هذه العلوم وعلى هذا العصر؟.

الجواب: هو كما تفضلتم بهذه الملحوظة، إنها كعالم الرياضيات الذي يغار على الرياضيات القديمة فيأبى الرياضيات الحديثة، أو كالطبيب الذي لديه حمية على الطب القديم، فيغار على الطب الحديث. أنا أجد أن هذا من باب: ((لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض))، ولهدِّمت إنجازات البشرية في التطوُّر، فالذي يتشدَّد في التقليد أو فيما سبق هو في مقابل من ينفتح بإفراط على الحديث وعلى ما هو متغيِّر وما هو إنجاز جديد، بلا أن يتزن في كيفية التلقِّي، إن تشدُّد هذا الطرف، وتشدُّد الطرف المقابل له، يخلق حالة وسطية موزونة.

المحاور: لكن ألا ترى أن الخطاب الاجتماعي الديني الذي يُلقى في المسجد وفي المأتم وفي الملتقيات الإلكترونية، يخلق تجاذباً حادّاً في المجتمع بحساسيته المفرطة من كل ما هو جديد؟. وطالما يمثل خطاب رجل الدين مرجعية أحادية في المجتمع، فكيف يمكن أن نؤسس لخطاب يحتضن كل هذه التنوعات والتجاذبات المختلفة؟.

الجواب: في الواقع هناك عدة توصيات، أولاً لا بدَّ من تحكيم جو الحوار والتفاهم والبحث العلمي، ولكن بعض الخطابات من هنا وهناك، كأنما وهي في طور البحث تتبنى وتقصف مبنى معيَّن، وهذا هو الذي يسبب إثارة الهيجان النفسي، لنفرض أن هناك نظرية حديثة أريد أن أتبناها، وطبيعة الإنسان إنه يحب أن ينفتح ويطَّلع على الجديد، وهذا أمرٌ إيجابي، لكن السلبية تكمن فيما إذا تبنَّيتُ هذه النظرية وحاولت أن أسفِّه وأهاجم كل ما هو سابق وكل ما هو تقليدي وما شابه، بدلاً من أن يكون هناك بحث ومعركة علمية، تصبح المعركة نفسية، فالمطلوب من كل باحث في أي جانب ومن أي فئة أن يعتمد خطاباً غير مثير، وكثيراً ما تحدث هنا في الشرق إثارات لبعضنا بعضاً، بسبب أن الخطاب المستخدم مثير للجانب النفسي بدل الجانب العلمي.

إثارة الجانب العلمي شيء وإثارة الجانب النفسي شيء آخر، مثلاً عندما أتبنى نظرية وأعتبر النظرية الأخرى سفيهة وبليدة وأستخدم ألفاظاً نفسية تسبب إثارة. أو كما يحدث في بعض البحوث النظرية، حيث يكون الباحث ما زال في طور البحث، ويطرح ما لديه بشكل تبنِّي نهائي وبشكل ترويجي لها، وقد يكون في قرارة نفسه يعلم أنه ما زال في صدد البحث، وقد يطرحها على الشارع العام الذي يسير على نظام معيَّن، فإذا لم تحصل هذه النظرية على تصويب علمي من الأطراف المختلفة، لا يمكن أن تعتمد، وتتخذ كمنهاج سلوكي.

فرضاً توجد نظرية طبية في كيفية العلاج قد توصَّل لها أحد الأطباء، ويريد هذا الطبيب أن يعمِّم نظريته ويمارسها في بلدٍ معيَّن، دون تصويب ومصادقة وزارة الصحة العالمية واللجان الطبية الدولية، لا ريب أنه سوف تُرفع عليه شكوى في محكمة لاهاي لو طبَّق نظريته دون أن يحصل على موافقة بذلك، إن من حقه أن يبتكر ويجدِّد ولكن يجب أن يمر

ما توصل إليه عبر القنوات الرسمية، لكي توافق على تطبيق ما توَّصل إليه، ولا بدَّ لهذه القنوات الرسمية أن تنفتح على النظريات الجديدة، هذه القنوات والروافد للإدراك عندما تتلقى معلومة، فلا بدَّ أن ترسلها إلى الأجهزة المختصة من أجل التصديق والاعتراف، أما أن هذه الإدراكات تريد أن تمرِّر هذه المعلومات إلى القوى العاملة في النظـــام العام دون أن تمر بالقوى الرسمية التي بيدها الاعتراف، فهذا يخلق حالة بلبلة وتموُّج بين روافد المعلومات، وتكون النتيجة بالتالي أن يُحرم المجتمع من طاقات بعضه بعضاً، لذلك من أجل توازن العملية وكما هو موجود في العالم في الطب والهندسة وغيرها من العلوم، يوجد النادي العلمي الخاص والبحث العلمي، وقل ما شئت وليس عليك أي تقييد، وأنت حرٌّ في طرح كل ما تريد، أما إن كنتُ أريد أن أوصلها إلى الشارع العام العالمي وأطبقها في بلد من البلدان، فهنا يأتي دور المحكمة، لتقول لي أن ليس لي الحق في ذلك، إلا بعد أن يصادق عليها بإنها نظرية صائبة ثم تطبق.

المحاور: إنني أتحدَّث عما له علاقة بالدين والإسلام والتشيع والإنسان والمجتمع، وبكل هذه المفاهيم التي تعيشها الناس وتسمعها وتدخل فيها وتعيش بها وعليها..

الجواب: توجد كلمة بديعة لأمير المؤمنين (سلام الله عليه) يقول فيها:

((حياة العلم بالبحث والنقد))، وهذه كلمة خالدة موجودة في نهج البلاغة، فالبحث والنقد لا بدَّ منهما، ولكن مشكلتنا نحن بين بعضنا بعضاً، بين الأندية والنخب المختلفة. إن الطريقة المنهجية لممارسة البحث والنقد، نمارسها بطريقة نفسانية بدلاً من أن نجعلها علمية، لنفترض أن هناك نظرية فيزيائية معينة...

المحاور: أمثلة الفيزياء والكيمياء هي مسائل لسنا مبتلين بها...

الجواب: بل إننا مبتلون بها، يبدو أن الفكرة التي كنت أريد أن أوصلها ما زالت غير واضحة، الذي أردت قوله هو أنه في البحث والنقد يجب اعتماد الخطاب الذي ليس فيه إثارة وعاصفة نفسانية، السخرية مثلاً في أي خطاب ومن أي باحث استهزاء يهيج الطرف الآخر، والقرآن يوصي بعدمها، أما عندما أطرح تساؤلاً بجفاف علمي دون لغة عاطفية،

فأنا أنتج بحثاً آخر، أنا لا أريد أن أوجِّه اللائمة على الطرف الآخر، لقد قلت حتى التشدُّد في عدم الاطلاع يوجب عدم حيوية الشريعة، ويوجب عدم خلود الشريعة، ويوجب الإقرار بأن الشريعة لا تواكب الحياة.

في الشعائر الحسينية توجد نفس هذه الجدلية، هل ننفتح على الآليات الحديثة أو نرفضها مطلقاً؟. هل ننفتح على الخطاب السياسي في الرواديد أم لا؟. أنا ذكرت نظرية ثالثة إنني أحاول أن أمتص إيجابيات النظريتين وأترك سلبياتهما وأكوِّن منهما نظرية ثالثة، وهذه مطروحة منذ القديم في الحوزة، لأن نظريات الآليات الحديثة تختلف في كل عصر، نظرية التقليد تقول إن لدينا هوية أصيلة، والآليات تكون كالظرف يُعبأ فيه المعنى، هي جسور لأداء معنى، والمعنى الأصيل غير موجود فيها وبالتالي يتكوَّن لنا معنى ليس هو المطلوب، فتضييع حقائق المعاني التي نهدف إليها، لكن هذا التحفظ من التقليدي له مبرراته ولكن له سلبياته أيضاً، و ذاك الانفتاح المطلق كما ينادي البعض بأن نلغي كل الشعارات القديمة ونستخدم شعارات حسينية جديدة، هذا إفراط وتفريط.

الطب القديم: سوف أضرب مثالاً قد وصلت إليه البشرية حالياً، وهو موضوع الطب القديم في الشرق الأوسط، فيما عدى إيران وپاكستان والدول الآسيوية والهند، فإن الجميع رفض الطب القديم الذي يعتمد الأعشاب والمساج وغيرها. يوجد أربعون نوعاً من الطب القديم والحديث، أما الطب الحديث ولأغراض تجارية ماذا صنع في الشرق الأوسط ولا سيما في الدول العربية؟. لقد حارب الطب القديم من أجل أن يروِّج لتجارة الطب الحديث، والآن فهمت البشرية أن الطب القديم جدير بالاهتمام، الصين مائة بالمائة أدويتها طبيعية، ولا يوجد لديها حتى بنسبة واحد بالمئة أدوية صناعية، كندا لديها أربعون بالمائة إن لم يكن ستون من الأدوية الطبيعية، لقد التفتوا في مؤتمر طبي في أمريكا إلى (الطب الأم (و (المستشفى الأمثل) وهو المزاوجة بين الطب الحديث والطب القديم.

لقد توصلوا إلى أن المستشفى النموذجي – وقد تابعتُ ذلك متابعة حثيثة – هو الذي يمازج بين الطب الحديث والطب القديم، ويكون في المستشفى النموذجي هيئة تتكون من الأنواع الأربعين للطب القديم، حتى في النظام الاقتصادي الآن يبحثون في نفس المطلب،

البعض يدعو لنسف النظام الاقتصادي القديم الذي منه النظام الزراعي، أليس هذا خطراً وخطأ؟!! وعدم الانفتاح على هذه الأنظمة الاقتصادية أو المالية الحديثة أيضاً خطأ، إذاً السلامة الآن في ماذا؟ هي في أرشدة الحديث بالتقليدي وأرشدة التقليدي بالحديث.

الفهرس